

شروت أياظة

# قصص على السند





شُرُوشُ أَبَا ظَهْرٍ

# قَصَصُ عَلِيِّ النَّبِيِّ

دار تحف مصر للطبع والنشر  
القاهرة - القاهرة



## ( ١ )

في استعلاءه وكبره ، يقف قصر أحمد بأشأ شكرى • يشرف على النيل الذى يجرى من تحتته في تطامن وهدوء ، فإن رأيته حسبت أن النيل لم يجر إلا ليكمل هذا القصر على هذه الروعة وعلى ذلك البهاء • فهو غارح إلى السماء ، عريض ضخم ، كل ما فيه يوحي إليك أن هنا مجدا قديما لا يزال جديدا ، وأن هنا عزا عزيزا ، وخيرا وفيرا ، وكرما عتيدا ، ورقدا وهناء •

يفصل القصر عن النيل حديقة منسقة ، ويصل القصر بالنيل سلم من الحجر يفضى إلى النيل ذاته ، إذا شاء سكان القصر أن يستعملوا قاربهم البخارى الراسى هناك ، خلصوا إليه بسلمهم هذا •

كان القصر إذن يفضى إلى النيل بهذا السلم : أما باب القصر ذاته ، فقد كان من الناحية المقابلة للنيل ضخما رائعا ، مفتوحا على مصراعيه طول اليوم ، لا يلتقى مصراعا إلا في الهزيع الأخير من الليل •

كان الوقت أحسبلا ، حين بلغ البوابة شباب في مقتبل العمر ، قد يروعك منه أول ما تراه ، قوام مليء وطول فارح ، ولكنك إن أنعمت النظر في وجهه وملابسه لم يرك في وجهه شيء من القسامة ، ولا راعك في ملبسه شيء من الانسجام •

— سلام عليكم يا عم ادريس •

وقام البواب واقفا في أدب :

— وعليك السلام يا بك ورحمة الله •

— الباشا نزل ؟

— والله يا بك لا أدري ، ولكن لا أظن •

— طيب انتظره حتى ينزل •

— تفضل يا سعادة البك •

ويدخل سليمان بك شكرى سراى عمه أحمد باشا ، كما تعود أن يدخل ، فالدار مكان مباح لأقارب الباشا ، يجلسون في أبنائها ، ويطلبون ما يشاءون من قهوة أو غيرها ، سواء كان الباشا موجودا أم غير موجود • فالباشا أب لهم جميعا وهم في داره أصحاب دار • ولم تكن هذه الأبوة من الباشا مقصورة على أقاربه الأدين أو غير الأدين ، وإنما كانت تتسع فتشمل كل شاب يعرف الباشا ، ويتصل به في معترك السياسة ، فالباشا من روادها •

جلس سليمان في حجرة المكتب ينتظر نزول عمه الباشا ، ولم يطل به الانفراد ، إذ سرعان ما دخل عليه ابن عمه وصفى ، وهو شاب حاصل على اجازة الحقوق جميل الصورة ، حسن السميت ، له شهرة واسعة في الأدب السياسى ، وقد استطاع أن ينجح في الانتخابات ، فتحدت مكانته السياسية ، وأصبح من الفواب الظاهرين في مجلس الفواب •

— أهلا وصفى •

— أهلا سليمان • ألم ينزل عمى ؟

— لا والله لم ينزل بعد .. أراك باسم .. هل وراء ابتسامتك  
خبر جديد ؟

— لا ، ولكنى لاحظت أنك تأتي هنا في كل يوم منذ عدت من  
أوروبا .

— وأى عجيبة في ذلك .. ألا تأتي أنت كل يوم ؟

— نعم ، ولكن عشرة أيام متتالية لا تنقطع يوما .. ألا ترى أنها  
غريبة بعض الشيء ؟

— يا أخى عشرة أو عشرين . ما شأنك أنت ؟

— لا شأن لى ولكنى ألاحظ وأبتسم .. ألا تعطينى حق الابتسام ؟

— الله .. أتظننى سمسد باشا وتريد أن تتعب قلبى أنا أيضا ..  
لا يا حبيبى ، أنا لا أحب المناقشة ، ولا أحب السياسة ، ولا أحب هذا  
الكلام المزوق الذى يخفى وراءه معانى أخرى .. أنا رجل مهندس ،  
أضع قالب الطوب على الآخر فيتم البيت .

— واضح .. واضح .. قلو لم تكن مهندسا لما حشرت سعد  
باشا والسياسة وقالب الطوب في ضحكة .. مجرد ضحكة !

— وبعد .. أما فرغت ؟

— يا أخى ، أنا لم أفتح الحديث ، وإنما أنت الذى فتحتة .

— فهل تسمح لى أن أقفله ؟

— على كيفك ، ولكن أريد أن أفتح معك موضوعا آخر .

— افتح ، ولكن ترفق بى وحياة والدك .

— لم أجلس معك وحدثنا منذ عدت من أوروبا ، ماذا فعلت هناك ؟ ..

- حصلت على دبلوم الهندسة •
- هذا أعرفه جيدا •• أقصد في حياتك الخاصة •
- أكاد أفهم •• وإن كنت غير متأكد من موضوع سؤالك ••
- أتقصد •• ١

— الحريم •

— الحريم ؟

— نعم •

— ليس هناك شيء اسمه الحريم •• ولكن ما الذى جعلك تدخل من موضوع مجيئى هذا إلى موضوع الحريم ؟

— أتريد أن أقول السبب • وأذكر الصلة بين الموضوعين • أم تفضل أن تتكلم أنت في السؤال من غير شرح منى لهذه الأسباب والصلات •

- لا • أفضل أن أتكلم في الموضوع • فأنا أعلم أنك طويل اللسان •
- عظيم •• قل • ما حال الحريم هناك ؟
- ليس هناك حريم • بل إن هناك نساء •
- لا أجد فرقاً بين الاسمين ••

— بل الفرق بعيد •• الحريم عندك وعند المرجعيين أمثالك نساء محجبات • يضعن على وجوههن الستار الأسود • وإن كان قد أصبح شفافاً • وهن عندك لابد أن يلبسن المعاطف • ويضعن على رءوسهن القلائس • بل لعلك تريدهن محجبات باليشمك والخبرة • أما النساء في أوروبا فأداة نافعة •

- ومن قال لك إن النساء في مصر أداة غير نافعة ؟
- تقصد نافعات في الطبخ وإخراج الأولاد وتربيتهم •
- وهل هذا قليل • وما الأطفال ؟ أليسوا هم رجال الغد ؟؟



— لا ، إن المرأة في أوروبا أقوى من ذلك وأنفع ، فصاحبات المواهب  
يزاحمن الرجال في أعمالهم ، وهن مع السياسيين أمثالك يخرجن في  
الانتخابات مع أزواجهن •

— إننا هنا نحترم المرأة أكثر مما يحترمها الغربيون ، نحن نراها  
جوهرة يجب أن تظل بعيدة عن أيدي الطامعين ، وعن أنظارهم أيضا •

— فتحبسها !؟

— ألم تكن لك صديقة في أوروبا ؟

— بل كان لي •

— أترضى لابنتك ، أو نزوجتك أن تكون صديقة لرجل ؟

— ماذا تعنى بالصداقة ؟

— أعنى الصداقة التى كانت بينك وبين فتاتك في أوروبا •

— يا أخى أعوذ بالله .. أعوذ بالله •

— أرايت .. أترضى أن تخطب واحدة تعرف أنها كانت تلتقى

بآخر .. لقاء بريئا ؟

— طبعاً ، لا •

— فما هذا الدفاع الحار ؟

— عن الحرية •

— حرية المرأة هى الطريق إلى هذا الذى تأنف أنت منه ، لن ترى

المرأة إذ ذاك في الرجل ذلك الشيء المقدس الذى لا يمكن أن تلتقى به

إلا إذا كان زوجها لها ، والرجل أيضا سيفقد لذته بالمرأة في زوجته ،

ما دام يلتقى بالنساء في الطريق وفي العمل • سيجد كل منهما أنه من

الطبيعى أن يلتقى ، وإذا التقيا ..

— وما البأس إذا التقيا وتعارفا ثم تزوجا ؟

— الخشية أن يتزوجا قبل الزواج •

— فإذا كانا عاقلين واقتصر الأمر بينهما على اللقاء البريء ؟

— ما رأيك أنت ، إذ التقيت بفتاة وبادلتها حبا •• حبا شريفا ••  
أتزوجها بعد ذلك ؟•

— لا •• لا •• لا أظن •

— أرأيت ، إننا نصب أن نثق بزوجاتنا •• نحبهن لنا بجميعهن ،  
بذكرياتهن وأحلامهن وآمالهن ، ولا نصب هذه الذكريات أن تبدأ إلا  
بعد الزواج ، فكل ما قبل الزواج لا نعترف به نحن الشرقيين ، حتى  
وإن كنا نحن الطرف الآخر فيه •

— ولكن يا أخى ••

وقطع عم ذهب خادم الباشا الخاص النقاش ، وهو يفتح الباب  
قائلا في جد حازم :

— سعادة الباشا •

ووقف الشابان ينتظران قدومه ، وما هى إلا لحظات قلائل ، حتى  
أقبل الباشا مبتسما كمادته ، كان الباشا رجلا في الحلقة السابعة من  
عمره ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، سمح الوجه ، ترى في وجهه  
طيبة ، فإذا أنعمت النظر في عينيه من وراء نظارته ، رأيت فيهما عمقا  
وذكاء ولمساحية ، مارس الباشا السياسة ومارسته ، وشهد أحداثها  
وشارك فيها ، ولكنه أبى أن ينضم إلى حزب من الأحزاب ، بل كان  
دائما يقف من هذه الأحزاب موقف الناقد الحر ، يؤيد هذا حيناً ،  
ويهاجمه حيناً ، دون أن يبعثه إلى التأييد أو المهاجمة باعث شخصي ،  
إلا ما يرى فيه صالحا للبلد • وقد اكتسب بهذا لنفسه احترام جميع

السياسيين ، كما اكتسب بهذا ذاته لنفسه كره جميع السياسيين ومن تبعهم ، فلم يكن له بين الشعب مؤيدون ، وهكذا كان دائما ، بعيدا عن الحكم ، إلا إذا جاءت وزارة محايدة ، أو وزارة مؤقتة ، فهو إذن عضو من أقوى أعضائها شخصية ، ومن أوسعهم نفوذا .

دخل الباشا الغرفة ، وحيا ولدى أخويه وجلس دون أن يلحظ أنظار وصفي التي كانت مشدودة إلى النافذة المطلة على الحديقة ، ولم يلحظ وصفي أن عمه قد جلس وأنه قد آن له أن يجلس هو الآخر ، وإنما ظل شاخصا إلى تلك المرأة التي دلفت إلى الحديقة تحمل فوق رأسها بقعة مصرورة ، تهدلت جنباتها فوق رأسها ، إنها أم وديدة تحمل الأقمشة التي تعرضها على حريم الدار ، وتحمل أيضا موافقته على موعد الليلة .. وأفاق وصفي من سرحته على صوت عمه ينبهه ..

— خير يا سي وصفي ، أراك سارحا ، أتراك تفكر في خطبتك الجديدة ؟

وارتج وصفي لكلمة الخطبه ، وصحا إلى عمه يسأله في جزع وحيرة :

— أي خطبة .. أي خطبة يا عمي ؟

— يا أخي ، أنا قلت خطبة ، أقصد خطبتك في مجلس النواب ، ألا تنوى مهاجمة أحد غدا ؟

— والله يا عمي ، سعد باشا أصبح رجلا عسيرا على المهاجمة ، فهو منذ تولى رئاسة مجلس النواب ، وهو يعمل على ضم الكلمة .. لو كان سار على هذا النحو منذ أول عمله بالسياسة لأراحنا .

وقال الباشا باسم :

— الواقع أن العيب الأساسي في سعد أنه استغل الدكتاتورية الشعبية ، وهى دكتاتورية تعطى لصاحبها سلطات واسعة ، وتجعله يعمل وكأنما هو وحده صاحب البلد •

— ولكنه في هذه الأيام الأخيرة أصبح يستعمل الدكتاتورية الشعبية استعمالا معقولا •

— ما أحب إلينا أن يظل سائرا على هذا النحو ، مالك ساكتا يا سليمان ؟

— يا عمى أنا لا أفهم في السياسة •

— آه صحيح •• نسيت هذا ، ونحن أيضا لا نفهم في الهندسة ••  
فما رأيك •• ابحث لنا عن موضوع نتكلم فيه •  
فقال وصفى وقد هفت نفسه إلى مداعبة ابن عمه :

— كنا نتكلم قبل قدوم سعادتك عن المرأة في الغرب ، والحريريم في الشرق • ويظهر أن أخانا سليمان يخالفنا نحن اشرقيين في أفكارنا عن المرأة •• قل رأيك لعمى •

وتقلص وجه سليمان واحتقن وتلجلج لسانه ، وأصبح لا يدرى ما يفعل ، وضحك وصفى ضحكة مستورة • فهو يعلم أن سليمان لن يستطيع أن يقول رأيه أمام عمه المعروف بالمحافظة ، وأحس العم أن وصفى قد ألقى بابن عمه في مأزق دقيق فغير مجرى الحديث •

— هيه يا سى سليمان ، ماذا عملت في المصلحة ؟

وقبل أن يجيب سليمان أدرك وصفى أن في عينى ابن عمه حديثا آخر يريد أن يفضى به إلى عمه في خلوة فخرج من الغرفة في هدوء دون استئذان • وأقفل الباب من خلفه • وشكر سليمان لابن عمه هذا الادراك الدقيق • وراح يجمع صوته ليسأل عمه في حشركة :

— ماذا فعلت لى يا عمى ؟

وكان الباشا يدرك تماماً ما يقصد إليه السؤال ، ولكنه لم يشأ أن يجيب فى وضوح ، خشية أن يكون ما أدركه غير ما يقصد إليه ابن أخيه ، فهو يسأل :

— ماذا فعلت لك فيم ؟؟

— ألم تقل لى أنك ستسأل سهير ثانية إن كانت تقبلنى ؟

— سألتها •

— وبماذا أجابت ؟؟

— • • •

— لا شك أن فى رضا سعادتك كل الكفاية •

— يا أخى ، أنت تعرف أننى رجل محافظ ، وابنتى لا ترد لى أمرا •  
ولكن الزواج شأنها وحدها ، ولا أستطيع أن أرغمها •• أنا سأتركها  
بعد حين ، فبماذا تراها ستذكرنى إن أنا زوجتها بمن لا تريد ؟

— يا عمى نحن فى مصر لا نسأل بناتنا عن يتزوجن •

— ولكنى أنا أسأل •

— • • •

وأحس الباشا أنه أغلظ على ابن أخيه ، وأدركته عليه الشفقة ،  
ولم يشأ أن يجمع عليه الرد الخشن ورد خطبته فى آن ، فهو يقول  
له فى تطف :

— أمثلك ، وأنت المتعلم فى أوربا ، يقول هذا الكلام ، وماذا أعمل •  
إنى ألححت عليها ولكن بلا فائدة ، ولم أشأ أن أرغمها أرغاماً حتى

لا تقوم الحياة بينكما على أمر. جاف صدر منى ، على كل حال أترك  
تلك فرصة أخرى .

— أمرك يا عمى .

— طيب يا سيدى .

وَأدرك سليمان أنه لم يعد ما يدعو لبقائه ، فقام وقد اكفهر وجهه ،  
واستأذن عمه وخرج .

لم يكن سليمان جميلا ، ولكن ما أصابه في زيارته تلك زاده قبحا ،  
فلو قدر له أن ينظر في مرآة حينذاك ، لما تمالك نفسه عن أن يقول :

— نعم ، إنها محقة أن ترفضنى ، ولو كنت أنا امرأة . . . ولو كنت  
حتى امرأة فقيرة ، ولست ابنة بائسا ، لو كنت ، ونظرت إلى هذه  
الخلقة لرفضت الزواج بصاحبها .

كان خليقا أن يقول هذا لو إنه نظر إلى مرآة ، ولو أنه أصاب  
بصيصا من ضمير ولكنه — والحمد لله — لم ينظر إلى مرآة ، ولم  
يصب شيئا من ضمير ، فهو ينقلب إلى بيته ، لا يفكر إلا في هذه الثروة  
التي يوشك أن يفوتها عليه ذكاء بنت عمه ، وقبح خلقته .

## ( ٢ )

خرج وصفى من الحجرة وأغلق الباب من خلفه ، ولكنه لم يقصد إلى الباب الخارجى للمنزل ، بل هو يقصد إلى الحديقة الخلفية يتمشى فى أنحائها رويدا ، وكأنما لا يهدف لغير الاستمتاع بضوء القمر الذى ينسكب على الحديقة ، حتى إذا بلغ السلم المؤدى إلى النيل ، نزل عليه فى سرعة ، وفى لحظة أخفاه الجدار الأبيض القاتم هناك عن الحديقة والمنزل جميعا .

هنا المرعد .. موعده مع سهير .. ترى ماذا تخفى لهما الأيام . إنها سهير بجمالها الرائع ، بذلك القوام الفارع ، وهذه الضحكة العذبة التى لا تغرب عن شغرها .. شغرها ذلك الحلو الذى يلقي الكلام رقيقا جريئا ، عميق المعنى حلو الرنين ، سهير بذلك الوجه الذى يميل إلى الطول فى امتلاء ، ويهذين الخدين الناعمين ، يشع فيهما زهو وثقة ، وبهاتين العينين ، وفيهما بريق أخاذ يكاد فى ضوء القمر ينسكب مع ضوء القمر .. إنها سهير بروحها تلك الحلوة وبحبها العنيف له .. ماذا تخفى لهما الأيام .. إنه لن ينسى .. لن ينسى يوم جاءته أم وديدة تهمس فى أذنه أن انتظر اليوم عند مرفأ القارب ، وكاد العقل يرده ، ولكن الشباب دفعه .. وهناك التقيا فى أول يوم .. ومنذ ذلك اليوم لم تنقطع عنه أم وديدة بالموعد المأموس حينما ، أو بالموعد المكتوب حينما آخر ، وبين هذه المواعيد استقبل وصفى أسايب من السعادة لم يفكر يوما إنه سيلتقى بها . ولكن إلى أين ؟

إنه يحبها .. يحبها .. يحب فيها شبايه البكر ، ويحب فيها  
أمسياتها الناعمة في ضوء القمر ، أو في ضوء المصباح المعلق على  
القارب ، يحب فيها استيقاظه القلب الأولى ، وصحوة النبضات  
الناعمة .. يحبها ولكن إلى أين .. أزواجاً ؟

نعم هو يعلم أن عمه لن يتردد في قبوله ، وهو يعلم أنه جدير  
بها ، وهي جديرة به . ولكن الزواج ؟ إذا ما شغلتنى الحياة ، وإذا  
انصرفت عن الحب حيناً إلى ذلك المعترك الضخم الذي ألقيت بنفسى  
فيه .. ماذا تعمل سهر .. ولكنه يحبها .. بل هو لم يعرف للحب  
معنى إلا هنا .. هنا .. هنا بجانب هذا القارب وعلى ضفاف هذا  
النيل ، وفي ظل هذا القصر ، وفي ضوء هاتين العينين .. عيني سهر ..  
يحبها ، وهي تحبه ولكن الزواج ثقة .. أجننت ؟ ألا تثق بابتسامة  
عك ؟ لا .. لا .. أثق .. أجننت ؟ لم أجن ألم تسع هي إلى هذا  
الموعد ؟ ولكن هذا لم يكن إلا من أجنك أنت .. أنت وحدك ، من أجل  
شبابك الريان ، ومن أجل جمالك هذا ، من أجل عينيكَ الرائعتين ،  
وشفتيك الرقيقتين يعلوهما ذلك الشارب الذي تعنى بتجميله . ومن  
أجل شعرك الأسود تحت طربوشك المائل ، يا لك من غر !! أتذكر  
جمال سمكك أنت رجلاً ، نعم .. إني رجل .. رجل عظيم كاتب ،  
أديب سياسى يخشى كبار السياسة قلمه ولسانه ، وأنا رجل وطنى ..  
أحببت وطنى وهاجمت أعداءه ، وأثرت القلق في نفوسهم فقبضوا  
على مرات لما زادنى هذا عتد وطنى ومواطنى إلا إعزازاً وحباً ،  
وأنا أيضاً عضو بمجلس النواب .. وأصفر النواب سناً ، وأنا أيضاً  
غنى . وأبى باشا مثل أبيي .. نعم فما كانت لتسعى إلا إلى .. إلى  
أنا بكل هذه الأمجاد التى تجتمع فى .. ولكن ؟ ولكن ماذا أبها



العربيد ، ألتلتقى بها وتبثها الهوى وتقابل هواها ثم نتردد • نعم إنى  
أتردد •

إنها قد تسعى إلى غيرى كما سعت إلى •• بل إن أمى قد ألفت إلى  
فيما ألفت أن كلاما غير كريم يدور حول سهر • أليس بحسبى هذا  
الكلام حتى لا أتزوجها •• ومتى رأيت الناس يصدقون ، لعلمهم وشاة  
يكذبون ، ولكن الشرف سمعة ، وكرامة الفتاة منوطة بسمعتها ،  
فما للناس يتحدثون عنها ولا يتحدثون عن فتاة أخرى • لعلمهم ينفسون  
عليها جمالها وغناها •• كم من الفتيات جميلات وذوات غنى ولا نسمع  
عنهن شيئا •• لابد انها هى انتى أتاحت الفرص لهذا الحديث أن  
يدور •• ثم •• أليس فى لقائها بى ما يدل على أنها جريئة لا تراعى  
التقاليد •• ولكنها تلتقى بك أنت وحدك •• لا •• إن من تقبل أن  
تلتقى بى لا ترفض أن تلتقى بآخر •• الزواج أمر خطير ، قد لا أفرغ  
لها •• قد تشغلنى السياسة ، فما يمنعها أن تواعد آخر كما تواعدنى ••  
لا •• لا •• لا أستطيع •• الزواج •• الزواج !

إن أمى محقة حين فكرت أن تخطب لى هند بنت اسماعيل باشا  
مصطفى • ومن أدراك أن هذا لا تلتقى بابن عم لها كما تفعل سهر ؟  
أيها المتشكك •• وكيف لهند أن تلتقى وهى فتاة صغيرة لا ترأل فى  
أكمام الصبا لم تعده إلى الشباب •• تلك هى الزوجة •• تربية تركية  
صارمة ، تخرج من يد المربية إلى يد الزوج • بلا لقاء ولا مواعيد  
ولا أقارب فى الفيل ، ولا ستار من جدار أو ليل ولا أم وديدة حمالة  
المواعيد • ولكن سهر •• سهر •• ماذا أنت قائل لها ؟ ماذا أنت  
قائل لها ؟

وحينذ سمع أقداما تقترب ، وسرعان ما بدت سهر على رأس السلم

وراحت تجوس الحديقة بنظرها هيئة ، ثم نزلت السلم في سرعة  
محاذرة أن يصدر منها صوت واستقبلها وصفى :  
— تأخرت .

وضحكت سهر وهي تقول :

— انتظرت حتى خرج أبى .

— عمى خرج ؟

— نعم .. ظللت أرقب باب الخروج ورأيت الباشمهندس الثقيل  
يخرج ، ثم خرج أبى بعده بقليل ومعه عبد البديع أفندي كاتب  
الزراعة .

— أنت تظلمين سليمان !

— أعوذ بالله .. لا تذكره لى .

— ولماذا ؟

— يا أخى هذا كارثة .. مصيبة .. بلوى .

— لماذا .. لماذا هذا كله .. هل جلست معه ؟

وتضحك سهر وهي تقول :

— نعم يا سى وصفى ! ؟ كيف أجلس معه ؟ .. أأقابل الرجال ؟

وابتسم وصفى وهو يقول :

— وما أنا ؟ هل أنا ست ؟

وابتسمت سهر ، ولم في عينيها بريق وهي تنظر إلى وصفى نظرات  
عميقة جعلت الزهو يملكه ويروح يحاول أن يخفيه بالرجوع إلى  
الحديث عن سليمان ، فقد كان ذمه يرضيه ويرتاح إليه كما يرتاح  
لحديث سمعه عن نفسه .

— فكيف عفت أنه كارثة ومصيبة وبلوى ؟

— أوه .. يا أخى ، أترك سيرة هذا اللوح .



وبيقهة وصفى قهقهة توشك أن تملو ، لولا أن تسارع سهير فنضع  
يدها على فمه فيقبلها ويمسك بها ، ويعيد سؤاله وهو ما يزال محتضنا  
يدها بيديه :

— كيف عرفت أوصافه هذه ؟

— يكفي أن هذه رابع مرة أرفضه ، وهو يصر على طلبى ..

— رابع مرة ؟

— طبعاً ، عد معى ، مرة قبل أن يسافر ، وأجابه أبى دون أن يسأل  
رأبى بأنفى ما زلت صغيرة ، ومرة وهو مسافر بخطاب لم يرد أبى  
عليه ، ومرة أرسل أمه وسألنى أبى فرفضت . وهذه المرة التى لا يزال  
يلح فيها .

— والله مكافح .. من يعلم لعله ينال أمنيته .

وانتفضت سهير جازعة . وانحبس صوتها وهى تسأل فى لهفة  
جازعة :

— ماذا .. ماذا تقول يا وصفى ؟

وأطلق وصفى ضحكة صغيرة وهو يقول :

— يا ستى أنا أضحك .. ألماذا الحد تكرهينه ؟

— بل لهذا الحد أحب غيره .

واغرورقت عينا وصفى بالدموع ، ولم يجد شيئاً يفعله إلا أن يميل  
على يد سهير ، يقبلها فى خشوع حائر ، وفى قلق مريب . إذ أحسسته  
سهير لما صبرت أن تلقى بنفسها إلى النيل ، وأوشكت سهير أن تميل  
على رأسه تقبله وهو مكب على يدها ، ولكن ردها عن ذلك كبر لم  
يمحه الحب ، ورددها عن ذلك أن مسعد إليها وجهه وصفى والدموع  
تتغشاه بعد أن فاض منها سكب" على يدها .

### ( ٣ )

عاد وصفى إلى منزله أول الليل . وجلس إلى أمه التي استقبلته  
وقد ردت على فمها ابتسامة . أدرك وصفى أنها تخفى وراءها أمرا .  
ولم يشأ وصفى أن يستعجل أمه لتنتهي إليه ما تخفيه ابتسامتها . فهو  
يعلم أنها سرعان ما تفضي إليه بما تخبئه .

كانت السيدة اجلال أم وصفى سيدة في الحلقة السادسة من  
عمرها . تركية المولد والنشأة ، وكانت بيضاء الجبين . لم يخط الزمان  
على وجهها خطوطا كثيرة . وإنما ترت صفحة وجهها صافية يلعب فيها  
البشر ، فقد عاشت مع المرحوم زوجها عيشة رضية . فلم يتزوج عليها  
ولم يشتر جوارى أخريات شأن أمثاله من الأغنياء وإنما أفردا بحبه  
وعنايته ومنزله . ولكن هذا جميعه لم يستطع أن يمحو من عينها وميض  
قلق ألم بها منذ اختطفها اللصوص وهي طفلة تلعب في مدارج الصبا ،  
وأتوا بها إلى مصر حيث بيعت ببيع الرقيق إلى جد وصفى الذي زوجها  
لولده أدهم باشا شكري . لا ، لم تمتح الأيام من عينها هذه النظرة  
القلقة ، ولم يستطع أدهم باشا بكل حذبه عليها وجبه لها أن يزيل هذه  
الآثار الدارسة من بقايا القلق التي ارتسمت في عيتها منذ ذلك الحين  
البعيد . ولم تنجب اجلال هانم لزوجها غير وصفى ، فحمد ربه على  
ما أعطى . وعاش لا يرجو من دنياه إلا أن يمد الله في عمر ولده ويحفظه  
من شر العاديات .

وكان وصفى خليفاً أن يبيع منتهزاً فرصة انفراد به بأبوة أبيه وبنوته له لولا أن اجلال هانم أدركت ما يحيط بالفتى من خطر ، فقامت على شأنه في نسوة رحيمة وحزم واع ، وهياً له أبوه مناهل العلم ومجالس العلماء ، فشب الفتى قويم الخلق واللسان ، أديباً محباً للعلم ، وصار إلى مكانه المرموق هذا مدركاً أن الفضل في ذلك يرجع إلى أمه وأبيه .

وحين انتقل أبوه إلى جوار ربه عاش الفتى وليس له أرب في بيته إلا أن يرضى أمه فلا تفتقد شيئاً كانت تجده أيام أبيه . . اللهم إلا فقدانها لزوجها ، وذلك الذي لا يعوضه مال أو بنون .

لاحظت اجلال هانم أن وصفى لم يحفل أمر ابتسامتها التي وضعتها على فمها حين أقبل . فوسعت الابتسامة مرة أخرى عساه أن يسألها ، فقد كانت تدبر الحديث في ذهنها قبل أن يأتي ولدها ، وكانت تريد أن يسألها « ماذا وراء ابتسامتك » حتى ترد سؤاله بما تريد أن تخبره به، ولكن ها هو ذا ابنتها يأبى أن يسألها ولا تعرف هي كيف تبدأ الحديث .

وأدرك وصفى أنها تريد أن يسألها عما تخفيه ، وشاء أن يداعبها بصمته فسكت لا يسألها . وطال الصمت بهما وازدادت الابتسامة اتساعاً ، وازاد وصفى تشاغلاً عنها حتى ضاقت الأم آخر الأمر .

— أما انك بارد !

وضحك وصفى وهو يقول :

— لماذا يا أمي ؟

— أما ترى أنني أبتسم وأبتسم ، أما ترى أنني أريد أن أقول

شيئاً ؟ !

— فما يمنعك يا أمي أن تقوليهِ ؟

— لأنك لا تسألنى عن سبب ابتسامتى •  
— الأبد أن أسألك حتى تخبرينى •• أنا أعلم أنك لن تسكتى  
أو تقولى ما بعث هذه الابتسامة الحلوة الى شففتيك •  
— والله لأسكتن فلا أخبرك •  
— ولماذا يا أمى ، أنا أعرف أنك تريدين أن تخبرينى عن خبر  
هام ، فلا تضايقى نفسك وقولى الخبر •  
— أنا أضايق نفسى ، إنه أنت الذى يتوق إلى معرفة ما أخفيه •  
— أنا يا أمى !  
— نعم أنت ولكنى لن أخبرك •  
— حسنا •• نعمل تجربة ، الذى يتكلم أولا يدفع للآخر خمسة  
جنيهات •

— أما أنك بارد !  
— هيه •• ما رأيك •• نعمل تجربة •  
— طيب •• سبرى •  
وسكت الاثنان وقد ازدادت الابتسامة اتساعا على وجه اجلال  
هانم ، حتى لتوشك أن تنفجر عن ضحكة مرحة فرحانة • ولم يطل بهما  
الصمت بل تلفتت اجلال هانم حولها وهى تقول :  
— أين كيسى •• ها هو ذا ••  
وفتحت اجلال هانم كيس نقودها وأخرجت منه خمسة جنيهات  
وقالت لابنها :

— خذ واسمع •  
وراح الاثنان يقهقهان فى مرح ، ثم قالت اجلال هانم :  
— احزر من زارنى اليوم •  
— حرم اسماعيل باشا مصطفى •

وفغرت الأم فاما عاجبة من ولدها هذا الذى حيرها •  
— وكيف عرفت ؟

— عرفت من ابتسامتك الأولى •

— طيب هات الجنيهاات الخمسة • • أتضحك علىّ يا ولد ؟  
— وفييم أضحك عليك ؟

— أتكون عارفا بالموضوع كله وتدعى الجهل به ؟

— يا أمى • • وهل لك عمل منذ قبلت أن تخطبى لى هذا إلا بيت  
اسماعيل باشا مصطفى ، وهل لك حديث إلا عن الخطبة ، وعن صداقتك  
لسمية هانم منذ أيام الطفولة ، وعن فرحك لهذا النسب الجديد •  
يا أمى اننى أعلم أنك لا تحملين أخبارا إلا هذه ، فمنذ فتحت هذا  
الموضوع وأنت لا تتحدثين عن شيء آخر •  
— آه لقيم • • هات الفلوس التى أخذتها •

وقال وصفى جادا :

— وماذا قالت لك سمية هانم ؟

— أرايت • • انك أنت الذى تتوق إلى هذا الحديث •

— على كل حال لا بد لى أن أعرف •

— يا سيدي ، الباشا وافق وهو مسرور جدا ، وقالت لى أنه

منتظرك غدا لتحدد موعد الخطبة •

وقال وصفى فى شيء من القلق :

— غدا ؟

— غدا •

— بهذه السرعة ؟

— وما المانع ؟

وسرح وصفى بنظرة وهو يقول :

— نعم • • صحيح • • ما المانع ؟



## ( ٤ )

واندفع وصفى فى تيار رغبة عنيفة أن يتم زواجه هذا ، لقد كان يخشى الأيام ، أو هو يخشى نفسه أن مرت عليه الأيام ، كان قد وصل إلى قراره هذا بعد تردد ، وكان العقل وحده هو الدافع إلى هذا الزواج ، كان يريد زواجا مستقرا غير مفرع بأشباح من الماضى ، وخيالات من رعونة الشباب .

كان يعلم أن قلبه نافر من زواجه هذا إلى هواه الأول ، وكان قلبه الشاب قوى النبض ، عنيف الحجة ، ولكن استطاع فى لحظة أن يضع حول قلبه سياجا من المنطق . فخفضت النبض هونا ، وانبعث وصفى فى غفوة من قلبه يتم الزواج ، فاندفاعه خائف ، وفى سرعة قلق ، وفى عزم حيران .

يصبح الصباح فيندفع وصفى إلى التليمون يطلب إلى العميلة أن تحمله بمنزل اسماعيل باشا مصطفى ، وبعد هنيهة يكون وصفى على موعد أن يلتقى بالباشا فى منزله فى الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم ذاته .

وفى الساعة الخامسة يكون وصفى قد أخذ مكانه من اسماعيل باشا مصطفى ، والباشا يرحب به فى اجلال فهو يعرفه من زمن بعيد ، ويلاحقه كاتبيا وسياسيا ، ويحمل له فى نفسه إلى جانب الحب اكبارا ، وقد كان وصفى عالما بمكانه من نفس الباشا ، ولكن علمه لم يمنع الخجل أن يلغثم لسانه بعض الحين . . بعض الحين فقط ، ثم سرعان

ما جرى الحديث فيما قسدر له أن يجرى وسرعان ما تحدد موعد  
الخطبة •• وصفى متعجل والباشا مسرور بهذا التعجل ، وصفى  
يخشى أن يطغى عليه قلبه إن تراخى الموعد ، والباشا يظن تعجل  
وصفى عدم صبر عن لقاء عروسه •

وانتقت الرغبةتان وإن اختلفت البواعث والظنون • وانتهى الحديث،  
واستأذن وصفى وخرج • وعند باب المنزل التقى وصفى بأم وديدة  
تحمل فوق رأسها بقجتها ، فحياها تحية عابرة ، وانصرف عنها باهتة  
ذاهلة إن لم يمل وصفى على أذننها ولم يتح لها أن تميل على أذنه •

ركب وصفى عربته وأمر السائق أن يسعى به إلى بيت عمه  
أحمد باشا ، وما إن أتم إصدار أمره حتى صكت حوافر الخيل  
مسامع أم وديدة وهي في طريقها إلى باب الحريم •

## ( ٥ )

كانت حجرة المكتب في بيت الباشا خالية لا يشغلها إلا كاتب زراعته عبد البديع أفندي الذكر شاب يفتتح الحلقة الثالثة من عمره ، صورة قوية المعالم للفلاح المصرى ، مغلفا بعبادات الريف ، لم ينزع من غلافه شئ ، لن تخطى عيناك حقيقته ، ولن تخدعك منه هذه الحلقة التى يضعها على نفسه كلما اقتضت الأعمال أن يزور الباشا في المدينة . فقد شب في القرية ، وفي مكتب الباشا ، يتلقى عن أبيه أحمد الذكر فنون حساب الدوبيا ، ومحاسبة الأنفار ، وصرف التقاوى والسماذ ، وظل بالقرية وبمكتب الباشا عمره جميعه حتى مات أبوه ، فتولى هو عمله .

ولم يكن مجيئه هذه المرة في عمل ، وإنما جاء ليستأذن الباشا أن يكمل نصف دينه بالزواج من خطيبته التى خطبها له أبوه منذ هو طفل ، ومنذ عروسه وليدة ، أنها ابنة عمه « محبوبة » .. محبوبة العمر كله .. كم يشفق إليها .. إلى الزواج بها ، وإلى أن تخلو بهما حجرة ، ويقفل عليهما رتاج . إنه يحبها ، ويخفق قلبه لرؤيتها ، وتتمور الدماء في عروقه حين يلتقى بها وقد ألقت على رأسها خمارها الأسود . وهو منذ يومين لا يطيق صبرا ، فقد رآها في صحن دارها ، وقد لبست جلبابها الأحمر الهفهام الذى لم يكن قد رأى منه إلا طرفه الأقصى حين كان يتدلى تحت جلبابها الأسود ، رأى الثوب جمبعه ، رأى ظهره ، ورأى أكمامه وقد انشمرت عن ذراعيها .. ذراعيها هي ،

بل لقد رأى أيضا ساقياها تحيطان بالطست رأى ذلك جميعه حين ولج  
بيت عمه الذى كان مفتوحا .. رأى محبوبه فتملاها مليا ، حتى إذا  
أحس أنها توشك أن تلتفت خلفها سارع عائدا بظهره إلى باب الدار ،  
ومن هناك قال :

— يا ساقتر •

وقامت محبوبه عن الغسيل ، ومن وراء باب حجرتها قالت وهى  
تدرك من المنادى :

— من ؟

— أنا عبد البديع يا محبوبه .. عمى هنا ؟

— لا .. خرج .. تفضل •

— لا .. استأذن انا .. سأعود إليه فى العشية •

هو منذ تلك اللحظة لا يطيق صبرا ، ولولا أن الأعمال كانت  
متراكمة لركب القطار إلى الباشا لحظة ترك محبوبه ، ولكنه صبر  
نفسه يومين بغير نوم ، لقد كانت ساقا محبوبه وذراعاها تطارده  
فى النوم والصحو على السواء حتى لقد خشى أن يخطئ فى الحساب  
فجاء .. جاء منذ الأمس ، ولكنه لم يستطع أن يحدث الباشا فقد  
كان جالسا طوال الوقت إلى ولدى أخويه فلم يره إلا . وهو فى طريقه  
إلى السيارة ولم يتسع الوقت إلا لأن يسأله الباشا سؤالا عاما عن  
حال الزراعة ، ثم طلب إليه أن يبيت إلى الغد • وبات ليلته فى بيت  
الباشا ، وخرج فى الفجر ليصله حاضرا فى سيدنا الحسين وحين عاد  
كان الباشا قد خرج • ثم ها هو ذا ينتظره وقد اقتربت الساعة من  
السادسة وأنه يخشى أن يبيت هذه الليلة أيضا دون عودة إلى  
القرية .. إلى محبوبه •

هكذا كان يفكر عبد البديع حين ففتح الباب ودلف إلى الحجرة  
سليمان • وقام عبد البديع في أدب بالغ ، وقد اشتعل في نفسه كره  
عنيف لسليمان ، فقد كان يريد أن يحدث البائسا على انفراد ، والآن  
لم يصبح هذا الانفراد ميسورا ، ولكن هذا لم يمنع عبد البديع  
أن يقول :

— مرحبا سعادة البك •

— أهلا عبد البديع أفندي •• لى زمان لم أرك •• كيف حالك ؟

— الحمد لله يا سعادة البك •• أطال الله عمرك •

— كيف حال الزراعة عندكم ؟

— ماشية يا سعادة البك •• بركة البائسا كبيرة ••

— كم يرمى الفدان ؟

— من القطن يا بك ؟

— نعم •

— خمسة •

— فقط ؟

— نعم •

— والقمح ؟

— من خمسة إلى ستة أراذب •

— فقط ؟

— نعم يا سعادة البك ، طيب ، والله إن أرضنا تنتج أحسن

محصول في الجهة •

— لا •• لا يا عبد البديع أفندي •• لا بد أنكم لا تحسنون

الخدمة •

— يا سعادة البك الحال عندنا لا يقاس بالحال في أوربا •  
— ولم لا ؟

— لا حول ولا قوة إلا بالله • • هناك أوربا • • وهل أوربا يا بك ،  
مثل العواسجة • • شتان يا سعادة البك • • شتان •

— المسألة خدمة أرض فقط • • لو خدمت الأرض أعطتك •  
— إنها أرض عمك وأرضك بجانبها • • أوصل لنا في مرة وأرشدنا ،  
وتحن ننفذ أوامرك •

وقبل أن يجيب سليمان ، يفتح عم ذهب الباب قائلاً في لهجته  
الحازمة :

— سعادة الباشا •

ويدخل الباشا إلى الحجرة ويسلم على سليمان وعبد البديع أفندي ،  
ويقعد ، ويقعد سليمان ، وينظر الباشا إلى عبد البديع منتظراً أن  
يخرج ولكن عبد البديع يقول :

— سعادة الباشا يسمح لي •

— ماذا ؟

— كلمة صغيرة ، فأني أريد أن أسافر الليلة إن أذن سعادة  
الباشا •

ويتململ الباشا في كرسيه ، وينظر إلى سليمان راجياً أن يفهم  
ويترك الحجرة ، ولكن سليمان لم يتحرك من مكانه ، فلم يجد الباشا  
مغراً آخر الأمر من أن يقول لابن أخيه :

— اتركنا دقيقة يا سليمان •

— أمرك يا عمي •

— ويقوم سليمان خارجاً حاقداً على عبد البديع أن يخفى عنه

سرا .. فقد كان يحسب أنه يريد محادثة الباشا في شأن من شئون الزراعة ، وقد كان يحب أن يعرف كلا شئون الزراعة .. زراعة عمه الباشا بالذات \*

قال عبد البديع في لجلجة :

— أطلال الله عمرك يا سعادة الباشا وأبقاك .. سعادة الباشا يعرف أفتنى خاطب لابنة عمى محبوبه منذ زمن بعيد \*

وقاطعه الباشا :

— عظيم .. عظيم ، وتريد أن تتزوج ؟

— أطلال الله عمرك يا سعادة الباشا \*

— طيب اكتب أمرا إلى نفسك أن تصرف خمسين جنيهها تتزوج بها \*

وسمع عبد البديع الرقم فتحجرت عيناه هنيهة ، ثم فاض منها دمع فرحان ، فما كان يطمع في غير عشرين ، وانكب عبد البديع على يد الباشا متشبعا بها ملقيا عليه بغمه ، ولكن الباشا يختطفها منه في حزم :

— ماذا جرى يا عبد البديع ، متى رأيته أسمح لأحد أن يقبل يدي .. أستغفر الله يا ابني ، واستغفره أنت أيضا .. اذهب يا ابني ... أنت ابني \* اذهب بارك الله لك في زوجتك وبارك لها فيك \*

وقال عبد البديع والدموع تجري على خديه :

— وبارك لنا فيك يا سعادة الباشا ، وأطلال عمرك ، ولا أرانا فيك سوءا أبدا يا سعادة الباشا \*

وخرج عبد البديع ونادى الباشا :

— يا سليمان .. يا سليمان \*

ودخل سليمان الحجرة . وتبعه وصفى الذى كان قد وصل لتوه ، وجلس كلاهما إلى الباشا وقد غشيهم الصمت ، أما الباشا فمفكر فى عبد البديع وفى زواجه مقارنا بينه وبين ابنتيه اللتين تعقدان الزواج تعقيدا يوشك أن ينتهى بهما إلى بوار . ومفكر أيضا فى سليمان هذا وفى وصفى ، فقد كان يتمنى أن يخطب وصفى إحدى ابنتيه ، ولكنه صامت لا يبين عن رغبة . ولا تبدو منه بادرة تفكير ، ولو كان يطيق أن يرفض سليمان دون الرجوع إلى ابنته لفعل حتى يضمن بعده عنها ولكن لا يستطيع فهو ابن أخيه وإن كان فقيرا ، ويخشى أن يرفضه فتغضب الأسرة جميعها . فقد استقر العرف بينهم ألا يكون المال سببا فى قبول أحدهم أو رفضه . فكلهم أسرة ، وكلهم سواسية : لا يرفع المال واحدا منهم ولا يخفض آخر . ولكن الحمد لله . فان سهر ترفض وتتمسك بالرفض وما يظنها تقبله أبدا . فان وجهه هذا — وهو يعلم أنها رأت من وراء الشباك — كفى بأن يجعلها تزداد تمسكا برفضها له كلما عرض عليها .

وأما سليمان فقد كان يفكر فيما غال عبد البديع أفندى لعمه وفى الثروة الضخمة التى يشرف عليها هذا العبد غير البديع ويتوق فى أعماق نفسه أن يشرف هو عليها . آه لو تقبله سهر .

وأما وصفى فقد كان يفكر فى الوسيلة التى سيلقى بها إلى عمه خبر خطبته . فقد كان يحب عمه ويقدره . ولا يريد أن يسمع خبر الخطبة من غيره . وكان يعرف أن عمه يريد . لإحدى بنتيه : جاهلا ما بينه وبين سهر . جاهلا أيضا أن هذا الذى بينه وبين سهر هو نفسه الذى منعه من التقدم للخطبة .

وهكذا صمت ثلاثتهم حتى فتح عبد البديع أفندى الباب وتقدم إلى



الباشا فى اتحناء ، مقدما إليه إذن الصرف ، ووقع الباشا الإذن بين دعوات عبد البديع أفندى المتلاحقة ، والتفت الباشا إلى وادى أخويه :

— باركا لعبد البديع أفندى ، فانه سيقزوج •

وهنا الشابان عبد البديع أفندى الذى شكر لهما تهنئتهما وخرج ، ولحق به وصفى إلى خارج الغرفة ، وفى البهو انتحى وصفى بعبد البديع ناحية وأخرج من حافظته عشرة جنيهات أعطاها له ، وتأبى عبد البديع هنيهة ، ثم قبل الهدية وهو يشكر وصفى ويدعو له ••

وعاد وصفى إلى الحجرة ، فوجد الصمت ما يزال يأخذ مكانه بين عمه وسليمان • وكان الباشا قد أدرك ما دعا وصفى إلى الخروج ، وأراد أن يغمز سليمان فقد كان يريد أنه هو أيضا أن يهدى كاتبه شيئا •• أى شيء مهما يكن تافها ليتمكن لنفسه احترامها عند الخدم • قال الباشا لوصفى :

— ما كان لك أن تفعل ، فقد أعطيتك أنا خمسين جنيها •  
وتردد وصفى ثم قال :

— يا عمى أنا أعرف ذكائك الخارق ، ولكنى ما كنت أحسب أنك تعرف الغيب أيضا •

— لا غيب ولا حاضر •• لم يكن هناك ما يدعو لخروجك إلا هذا ، وأنا أعرف عنك أيضا أنك كثير العطاء •• وسع الله عليك يا ابنى •

ولم يشعر سليمان بغمزة عمه وإنما شعر بحقده يزداد على عبد البديع لزواجه ، لنيله هذه الأموال فوق ما ينهبه من الزراعة • وشعر بحقده على وصفى يزداد أيضا لغناه ، ولأنه استطاع

بهذا الغنى أن ينال هذا الدعاء الجميل من عمه ، كما استطاع من قبل بغناه ومركزه أن يكون المرشح الأول في إشاعات الأسرة للزواج من سهير .

وافتهز وصفى الفرصة الفسحة من الحديث عن الزواج وقال لعمه:

— وأنا يا عمى سأتزوج عن قريب .

ودهش الباشا ، وتسارعت الدقات بين ضلوع سليمان .

ليس هذا أسلوبا يخطب به الفتى الفتاة إلى أبيها ، ولم يكن الباشا يقدر أن وصفى سيخطب غير واحدة من بنتيه . وانتفض قلب سليمان ذعرا متخيلا أن وصفى سيخطب سهير . ولم يتح وصفى لهذه المشاعر أن تبلغ مداها ، بل سارع قائلا :

— لقد خطبت اليوم هند بنت اسماعيل باشا مصطفى .

وتمالك الباشا نفسه في سرعة قدرة مرن عليها في مجالات السياسة والحياة وقال :

— مبروك .

ولم يستطع أن يزيد ، بل لم يستطع أن يشفع التهنئة بابتسامة . .  
أى ابتسامة مهما تكن باهتة . . قالها مبروك . . بريئة من كل فرح ، مجردة من كل معنى للتهنئة ، أما سليمان فقد جاهد نفسه أن يخفى فرحته وأطلق :

— مبروك .

تحمل سرورا عاتيا راقصا . ولكنها مع ذلك لم تكن تحمل كل ما في نفسه من سرور .

وأحس وصفى راحة إلى اللقاء هذا النبأ . . راحة الحيران القائه يصل إلى مستقر ، مهما يكن هذا المستقر مخالفا لما كان يتمنى . .

ولكنه مستقر على آية حال • أحس أنه أتم عزمه •• وتغلب على قلبه ، واطمأن إلى مستقبله في ظلال بيت هادىء لا تدور فيه أعاصير الهوى ، وإن كان يتمنى أن تترقرق فيه نسيمات من الحب الناعم ، تنمو ولا تدوى ، وتكبر مع الزمان ، ولكن في هدوء ووقار وإيناس •

ولم يلبث وصفى كثيرا •• فقد أحس بالصدمة التي يعانيتها عمه من خيبة الأمل ، وبالفرح الذى يعانى سليمان فى كتمانته أن أمه قد يتحقق •

وما ان بلغ وصفى الباب الكبير ، حتى التقى هناك مرة ثانية فى يومه هذا بأم وديدة ذاهلة حائرة ، تتخفى منه فى بقجتها ، وتميل عن طريقه فى ازورار •• وأحس وصفى فى أعماق نفسه كرها لأم وديدة •• كرها شديدا لم يعرفه لأحد من قبل •• انها هى •• هى وحدها التى فرقت بينه وبين هواه •• انها هى التى وضعت هذا الحائل بينه وبين سهر • وأدرك وصفى ان النبأ فى طريقه الى سهر مع بقجة أم وديدة ، وأحس حينئذ أن سهر ستحس هذا البغض نفسه نحو أم وديدة •• وأحس فؤاده يختلج فى صدره خلجه الطير الجريح •• انه سيجتمع هو وسهر على كره أم وديدة فى وقت معا ، كما اجتمع هو وسهر على حب أم وديده فى وقت معا •

( قصر على النيل )

## (٦)

صعدت أم وديدة الى الطابق الأعلى وهناك لقيتها الأسرة جميعها بالترحاب وخاصة سهير التي راحت تدور حولها في فرحة نشوانة ، يبتعثها في نفسها هذا اللقاء الذي مهدت له أم وديدة في أمسهم الذهاب ولم يكن فرح سميحة أخت سهير بأقل من فرح أختها بأم وديدة ، فقد طالما كانت تهمس أم وديدة لسميحة أن أختها الكبرى ستتزوج عما قريب ، وعما قريب ستلحق هي بها وتتزوج من فتى أحلامها سامى الذى لا يمنعه عن طلبها إلا أن أختها الكبرى لم تتزوج بعد ، ولم يكن فرح الأم بأقل من فرح البننتين ، فقد كانت أم وديدة تقرأ لها الفنجان وتطمئننها أن فرحين لا واحد سيقامان عما قريب ، بعد نقط ثلاث فقط ، فى القصر . فيطمئن مضطربها القلق ، ويهدأ ثأثرها المفزع دائماً بتلك القالة التى تشيعها أخوات بناتها من زوجة الباشا الأولى ، من سهير وسميحة ستظلان عانسين بلازواج .

راحت البنتان تتواثبان حول أم وديده ، جاعلتين السبب الظاهر لفرحتيهما أنها قد جاءت لهما بما طلبته كل منهما فى أمس من ملابس وأقمشة .

واستقبلتها السيدة تفيدة فى فرح هادىء شارع فى وجهها كله ، وأطل من عينيها الطيبتين ومن صوتها وهى تقول بعد أن صفقت بيديها :

— يا بنت هاتى القهوة .

وواجهت أم وديدة هذا الاستقبال القرحان بوجمة حزينة ،

ووجه شاحب كالثلج ، وعقل مذهب ، وقد وضحت آلامها جميعا  
في صوتها وهي تقول :

— اعملى انقوه سادة يا نبوية •

واكفهر وجه الست الكبيرة وقالت :

— لماذا يا أم وديدة كفى الله الشر !

— والله يا ستى كنت عند جماعة وسمعت — ويا شوم ما سمعت

— حكاية — بعيد عنك — ومن ساعتها وأنا مخرى داير وربنا يستر •

— خير يا أم وديدة ؟

وانطفأت الفرحة عن وجوه الأسره جميعها ، وارتدت الفتاتان  
إلى الأرض بجانب أم وديدة ، وأشرأبت إليهما رأساهما ، وجف  
فهما ، فما تطيقان كلاما . وما تطيقان صمتا •

— خير يا أم وديدة ؟

— والله يا ستات لا خير أبدا • لا إله إلا الله •

وقلت السيدة تفيدة :

— يا أختى قولى ، نشفت ريقنا •

وخلست أم وديدة نظرة إلى سهر ، ثم أطرقت وصعدت تنهيدة

عميقة ، وقالت :

— لا حول ولا قوة إلا بالله •• كان بودى يا ستى سهر أن

يحمل غيرى الخبر ، ولكن لا عليك يا بنتى ، غيره أحسن منه •

وحملت عينا سهر في أم وديدة ، وأوشكت أن تصرخ « وصفى »

ولكن أمسك بلسانها وجود أمها وأختها ، وأمسك بها استدراك

أم وديدة السريع بصوت رفعتة حتى يطفى على ما قد ييدر من  
سهير :

— وصفى يا ستى الكبيرة .. سيدى وصفى بك •

ودقت السيدة الكبيرة صدرها وهى تقول :

— ماله يا أم وديدة .. ماله وصفى ؟

وقفزت سميحة واقفلة ذاهلة :

— ما لوصفى يا أم وديدة ؟

وبقيت سهير مكانها وكأنها تعرف أن وصفى بخير ، وكأن الأمر  
لا يعنيهها ، فهى مطرقة تشتعل نفسها بنيران من الغيظ والألم  
والحسرة ، والسكبر ذل من بعد كبر ، والكرامة أهينت من بعد  
كرامة •

واستطردت أم وديدة :

— خطب يا ستى انسكبيره .. خطب هند بنت اسماعيل باشا  
مصطفى •

وتمايلت الست الكبيرة نفسها فى كبر وهى تقول :

— وماله ؟

وحاولت سميحة أن تقلدها وهى تقول :

— آه .. وماله •

وقامت سهير إنى حجرتها فى هدوء وبطء وفى وجسوم ، فكأنما  
وجهها قد من صخر فهو قائم لا يبين عما يسده فى نفسها من  
ثورات • حتى إذا خلت بحجرتها أقفلت الباب وأحكمت رتاجه ،  
ثم ارتمت على السرير ، شعلة لا تريد أن تخفف وقودها بماء ، وإن

كان هذا المساء دمعاً ، لا وإن كان هذا الماء دماً • انها تريد شعلة  
نفسها أن تظل مشتعلة تحرق وتحرق وان يكن الوقود نفسها ••  
وان يكون الوقود حياتها •• ارتمت على السرير وألقت بوجهها  
الى الجدار الصلب ، لا تذرف دمعاً ، ولا تفكر فى شيء غير أمس  
عند القارب ، وغير الأمسيات التى سبقت أمس هناك حيث قتلت  
كرامتها ، وأهدرت كبرها ، ولم تنسل حباً لقاء كرامة ، ولا وفاء  
لقاء كبير • قتلته نيران الشعلة ولتكن نفسها الوقود ، وما النفس  
بلا كرامة ، وبلا كبير ، وبلا حب ، وبلا وفاء •

لقد أدركت أن الذى قضى على مستقبلها هو القاؤها بوصفى  
مهما يكن لقاء بريئاً •• لقد كانت تعرف وصفى رجلاً متشبعاً  
بالتقاليد ، يقدسها ويدافع عنها •• ألم تكن تقرأ له مقالاته التى  
يعارض بها من يطالبون برفع الحجاب ، أما كان هذا رادعاً لها أن  
تلتقى به •• والسكن هى أم وديدة أوحى اليها أن لقاء سيتم بينها  
وبين من تحب • وهيات لها أنه أمر ميسور ، فانصاعت فى سذاجة  
الهوى ، وفى رعونة الشباب الأولى •

صامته سهر لا تبكى ولكن تشتعل وتحترق بلا نور من الشعلة ،  
ولا بصيص من ضياء يبعثه الحريق ، حريق أسود داكن كآمالها ،  
كمستقبلها ، كماضيها ، كحياتها جميعاً •

وطرق الباب فقامت إليه لم تسأل الطارق من هو وما يريد ،  
وانفرج الباب عن سميحة التى دخلت صامته وأقفلت الباب من  
خلفها وسارت مع أختها إلى السرير ، وعادت سهر إلى استلقائها  
وجالست سميحة بجانبها :

— لا عيك يا ••

ولم تكمل سميحة الجملة ، فقد كانت تدرك أن آمال سهر  
معلقة بوصفى ، وقد كانت العائلة جميعها تذكى هذه الآمال  
بما تطلقه من شائعات وأقاويل .. كانت تدرك ذلك ولكنها كانت  
تجهل مواعيد أم وديدة ولقاء الأمسيات .. لم تكمل سميحة الجملة  
فقد وجدتها سخيصة لا تفيد شيئاً ، ولم تجد شيئاً تقوله غير دمعات  
فاضت صامتة أول الأمر ، ثم انفجرت عن بكاء ونشيج ، راحت  
سميحة تكتمه بالوسادة ، وقد ألقت وجهها إليها ، وسهر صامتة  
لا تتكلم ، وكأنما هي وحدها في الغرفة بلا بكاء جازع حزين قد  
ألقيت أختها في غمرته . وطرق الباب مرة أخرى وانفتح عن  
أم وديدة تقول :

— ستنى سهر .

ولم ترد سهر على أن تقول :

— مع السلامة يا أم وديدة .

وعادت أم وديدة في نغمة توشك أن تكون نغمة نصح :

— يا ستنى سهر ..

ولم تكمل لفظ سهر ، فقد قاطعتها سهر في صوت حازم يحمل  
حقاً ويحمل أمراً :

— مع السلامة يا أم وديدة .

وأقفلت أم وديدة الباب وانصرفت . وخلت الحجرة بالأختين  
مرة أخرى ، ولكن سهر تريد أن تنفرد بنفسها ، فهي تقول لأختها :

— اذهبي إلى حجرتك يا سميحة .. أريد أن أنام .

— ومن سيلبس أبى حين يعود ؟



وقالت سهير في تصميم :

— أنا طبعاً .. سأصحو قبل عودته .. اذهبي الى حجرتك •  
وفهمت سميحة أن أختها تريد أن تخلو الى نفسها ، فقامت  
وتركت لها وحدتها •

\* \* \*

عاد الباشا متأخراً بآدى التعب ، وأحست سهير وقع أقدامه  
في البهو ، فقامت اليه جامدة محاذرة أن تتقى عيناه بعينها ،  
ودخلت معه حجرتة ووقفت وراءه لتخلع عنه سترته •

وقال الباشا وهو يخلع ملابسه :

— لا أدرى يا سهير لماذا أحس بتعب الليلة ؟

— لعنك تحتاج الى النوم يا أبى .. أبى ..

وقال الأب فى اشفاق :

— نعم يا بفتى •

— ماذا كان سليمان يعمل عندك اليوم ؟

وأدرك الباشا ما يهفو اليه حديثها ، ولكن لم يستطع أن يميل  
بالموضوع الى آخر • فهو يقول متظاهراً بعدم الاهتمام :

— انه يجىء كل يوم يا بفتى ..

— نعم أعرف ..

وأدرك الباشا أنه لا بد له أن يلقى الأمر مواجهة ، فسكت  
حتى لبس جلبابه ، وقعد على الأريكة ، ثم نظر ملياً الى وجه ابنته  
وقال لها :

— أتعرفين ما تريدين يا سهير ؟

وقالت سهير :

— تمام المعرفة يا أبى •

— لعلك غاضبة الليلة من أمر ما ، فيحسن أن تروى فى الأمر ،  
وتفكرى فيه وأنت بعيدة عن غضب لحظة •• انها حياتك يا سهير ••  
حياتك كلها •

— أبى ، اذا كنت أنت لا تريدنى أن أتزوج من سليمان فأمرك  
ولا أخرج عن أمرك •• أما أنا •• أما أنا ••

وجمعت كل قواها الباقية لتكمل الجملة قائلة :

— أما أنا فأقبله يا أبى •

— أواثقة أنت يا سهير ؟

— كل الثقة يا أبى •• انى أقبله •

وكان الباشا صادقا مع نفسه ، وصادقا مع قومه •• لقد قبلت  
ابنته الزواج من سليمان ، ولا بد له أن يوافق ، فهو ابن أخيه  
ولا يستطيع أن يرفضه ، وقد كان أمله الوحيد فى الرفض معلقا  
بأبنته . ولكن ها هى ذى تقبل •• فماذا بقى له انها حياتها ••  
وهى فيها حرة •• ويل لها من الأيام •• أياكون سليمان زوجا  
لابنتى هذه •• ويل لها من الأيام !

## (٧)

أصبح الصباح على الباشا ، فاذا بوعكة الأمس تصبح مرضا فهو لا يطيق أن يبرح فراشه ، وجاء الأطباء واجتمعوا حول سرير الباشا وقرروا ألا يبرحه لمدة شهر على الأقل ، ووصفوا له العلاج وخرجوا ، وانشغل المنزل جميعه بمرض الباشا ، ونسيت السيدة تفيدة في غمرة علاج الباشا ما كان بالأمس من خطبة وصلى . وانشغت سميحة بأبيها أيضا ، أما سهير فقد راحت تنفذ أوامر الأطباء في صرامة قاسية ، باذلة أقصى جهدها في خدمة أبيها ، ولكن دون أن تنسى ، وكيف لها أن تنسى .

ومرت أيام والدار مقصد زوار لا ينقطع لهم سيل ، فأما في الدور الأعلى فسيديات الأسرة حزنهن حزنان ، حزن لمرض الباشا ، وحزن يظهرنه وان لم يتمكن في نفوسهن لخطبة وصفى لسهير .

وكانت بنات الباشا الكبيرات مع الزائرات وان كن يظن من آمد الزيارة ، وقد يطيب لأحدهن أن تعيظ زوج أبيها . فتبيت ليلة أو أكثر من ليلة في قصر أبيها . وكن اذا جلسن الى زوج أبيهن أبدين أسفا لمرض أبيهن ، وأسفا آخر مستترا بالحديث الملفوف لخطبة وصفى ، مبيديات انشغالهن على مصير أختيهن . حتى اذا خلت بهن حجرة ، راحت كل منهن تبدى سخريتها الموحدة لما أصاب القصر من مصائب ، مرددات أن هذه المصائب انما هي ذنب أمهن المسكينة التي تزوج أبوهن عليها دون ذنب أو جريوة ، ولكن هذا لم يمنعهن أن يشققن على أبيهن ، وأن يتمنين له الشفاء .

وأما الدور الأسفل فقد كان يحفل بالرجال ، لا يصعد أحد منهم إلى الدور الأعلى ، فإن الباشا كان لا يلقى أحدا ، وأحد لا يستطيع أن يصعد إلى الدور الأعلى ما دام الباشا لا يلقاه ، فما تلقى السيدة إلا اخوتها هي دون أخوة الباشا ، فهم لا يصعدون وإنما يمكثون بالدور الأول يتعرفون الأخبار من الأطباء حين قزولهم ، ويلقون الزوار ويشكرون زيارتهم .. كان رجال الأسرة جميعهم يلتقون بالدور الأول ويظلون به الساعات ، لا فارق ثمة بين أخوة الباشا وأبناء اخوته وبين غيرهم من أفراد الأسرة فالجميع له أخوة وأبناء أخوة .

وكان وصفى وسليمان على حالهما من المواقفة ، يظلان بالقصر ما اتسع لهما الوقت . وكانت خطبة وصفى قد عرفت في مجال الأسرة ، فراحت التهنئات تنثر إليه ، ولكنها تهنئات ذاهلة .. أذهلها اخلاف الخطبة لظنونهم ، وأذهلها انتظام وصفى في المجيء إلى دار عمه رغم خطبته : وكانت تهنئات واجمة أيضا فقد كان مرض الباشا يخيفهم جميعا .

لم يكن سليمان يعلم ما جرت به الأمور بعد خطبة وصفى .. ومن أين له أن يعلم ؟ ! ، ولكن آماله كانت قد تضخمت ، فهو أكثر رفعا للكلفة في القصر ، وهو من يجلس في الشرفة الخارجية ليكون أول مستقبل للزوار ، وهو من يودع الزائر حتى عربته أو سيارته -

وتحسنت صحة الباشا ، واستطاع أن ينتقل من السرير إلى الأريكة دون أن يبرح الغرفة ، واستطاع أن يلقى اخوته بين حين وحين على أن يتباعد ما بين الحين والحين . واستطاع أيضا أن يذكر آخر حديث له مع سهر قبيل مرضه ، وأن يذكر أن الحديث قد

مرت عليه أسابيع ، فهي ينتهز فرصة تخلو به الغرفة وبابنته  
فيسألها :

— هيه يا سهر .. أمصمة أنت على قبولك لسليمان ؟

— نعم يا أبى •

— أواثقة أن هذه رغبتك بلا أى تأثير ؟

— نعم يا أبى •

— شأنك يا بنتى .. ولكن اذكرى حياتك كلها أنك أنت من  
اخترت ، فإذا مت فاذكرى أنى سألتك رأيك .. وألححت فى  
السؤال .. أنت وحدك المسئولة عن حياتك منذ هذه اللحظة •

— أطال الله عمرك يا أبى •

— على بركة الله •

وعلم الباشا أن سليمان بالقصر ، فأمر أن يخلى الطريق الى  
حجرته من الحريم ، وأن يصعد سليمان اليه •

وقصد سليمان الى عمه الذى استقبله فى محاولة هزيلة للبشر ،  
وقاله له :

— مبروك يا سليمان .. مبروك عليك سهر يا ابنى •

وهوى سليمان على يد عمه يقبلها ، فتركها له الباشا ، فهي  
قبلة ابن اختار يد أبيه موضعاً لها .. وقال الباشا لسليمان وهو  
ما يزال مكبا على يده :

— يا بنى الشكر يكون بمعاملتها هى معاملة ترضينى ..  
ترضينى وأنا فى قبرى .. انها ابنتى .. قطعة منى .. وهى أحب  
بناقى الى .. أحببها هى .. أحببها هى يا سليمان ، فهي بغير كل

ما حولها من مال وجاء جديرة بالحب ، والله على ما أقول شهيد ..  
أكرمها يا سليمان تكرم أباك وعمك •

ولم يقل سليمان شيئاً في غمرة فرحته الا جملة واحدة ظنت  
تتردد على لسانه ، دون أن يفكر فيها ، ودون أن يجد لها في نفسه  
صدى •

— أطال الله عمرك يا عمي • • أطال الله عمرك يا عمي • •

لم يكن تفكيره في الثروة التي انهملت عليه ليسمح له أن يفكر  
في شيء آخر ، ولم يكن ليسمح له أيضاً أن يستمع إلى كلام عمه  
حتى يفهمه • • وانما هي جملة تعلقت بلسانه ، فراح لسانه يردد  
، وكأنها اسطوانة وضعت على حاك خرب •

## ( ٨ )

كانت الأيام التالية أيام أفراح .. أو هي ان شئت الحق الخالص أيام زيجات • فقد تزوج عبد البديع من محبوبه ، وقد كانت هذه هي أولى الزيجات ، وقد كانت ناحية الأفراح فيها مترعة خالصة لا يشوبها الا الهناء والسعادة •

فقد عاد عبد البديع الى انقرية وبلغها في الهزيع الأخير من الليل فما رده التأخير أن يقصد إلى بيت عمه • وطرق الباب في شيء من التهييب ولسكن في اصرار وجاءه صوت عمه جازعا غاضبا بعض الغضب من هذه اليد العابثة التي تطرق عليه الباب في بهيم الليل ، فهو يثوب من نومه العميق :

— من ؟

— أنا عبد البديع يا عم .. لا مؤاخذه •

— خير يا بنى •

— خير وكل الخير يا عم .. افتح •

وقال العم وهو يفتح الباب غير مطيق أن يفتح عينيه :

— يا ابنى الصباح رباح .. خير .. متى جئت من مصر ؟

— الآن يا عم الآن ..

— وكيف حال الباشا .. عسى الله أن يكون بخير •

— بخير يا عم الحمد لله .. أبقاء الله لنا ومد في عمره .

وراح عبد البديع يقص على عمه الأخير الذى سكب عليه الباشا وابن أخيه وصفى بك ، ولم يفته أن يذكر جمود سليمان . واتفق عبد البديع مع عمه على أن يكون الفرح بعد أسبوع وأن يكون المهر ثلاثين جنيها ، بدلا من العشرين التى كان متفقاً عليها .

ولكن الصباح أقبل عليهم بمرض الباشا فتأجل الزواج ، وجعل موعده شفاء الباشا ، حتى يكون الفرح فرحين ، وظل عبد البديع يتعجل هذا الشفاء حتى علم به وعلم بخطبة سهير هانم الى سليمان بك ففرح بخبر الشفاء فرحا غامرا وان اعترضت غمرته غصة بهذا الزواج الذى اختاره الباشا لابنته ، ولكنه سرعان ما قال فى نفسه « أطل الله لنا عمر الباشا .. هالنا نحن ولسليمان » .

وأقيم فرح عبد البديع وخلت الحجرة به وبزوجته وارتاح المصنى الى المصنى بها وهداً للالعج المستمر من هوى شب على المسنين الطوال ، وازداد أجيج من نظرة عارضة عجلت بالزواج . وانصرف الجمع الذى ظل ملازما لباب الحجرة ، يعلو خواره وتنشق حناجره عن أصوات مرتفعة تريد أن تلتهم فى هديرها تلك الصرخة التى تودع بها الفتاة عهد العذارى .

خلت الحجرة بالزوجين وبدأت بهما حياة جديدة .. جديدة عليهما ، قديمة على العالمين منذ بدء العالمين .



وفى القاهرة . وفى ذلك القصر المطل على النيل كانت العدة تعد لفرح آخر ؟ ولكن أهو فرح ؟ يحمل من معنى هذه الكلمة شيئا ..



على كل حال هو زواج دعى الى شهود حفلة قوم كثيرون ، هم خيرة أبناء مصر وقادتها ، وسيحيى ليلته خير المغنين .. بمبه كشر عند الحريم ، وعبد اللطيف البنا عند الرجال . فهو فرح اذن ! ولكن العروس .. مصدر هذا الفرح وسببه ، حزينه لا تعباً من أمر هذا الفرح بشيء ، وانما هي جامدة لا تتحرك خالجات وجهها عن نأمة من بشر أو سرور ، تسألها أمها عما تريد فتترك لها الأمر جميعه ، لا تريد أن تساهم فيه بأكثر من تلك الموافقة التى قسرت نفسها عليها قسر ، ويسألها أبوها عن طلباتها فلا تزيد على الدعاء له بطول العمر .. دعاء صادقاً من عميق قلبها وأن يكن صدقه هذا يخفى مشاعر أخرى لا تبين عنها لأبيها . كانت سهر لا تريد أن تشارك في هذا الجرم الذى تقتصره نكايه بنفسها أكثر مما ساهمت .. فبحسبها اعناتاً لنفسها وانتقاماً أنها وافقت على الزواج من سليمان . أما أن تشارك في تجهيز نفسها لهذا الزواج ، فهذا ما لا تطيق أن تفعل ، لقد استنفذت جهدها جميعاً لتقول لأبيها أنها تقبل هذا الزواج ، ولم تبق منها بقية تجهز بها له .

وكانت الأم تعرف ما يعتلج بنفس ابنتها ، ولكنها تكتم علمها ذاك فلا تبين عنه ، فهي تخشى أن تشمت بها بنات زوجها ، وهي تخشى أن تنكأ في نفس ابنتها جرحاً تعرف أنه يسيل ، وترجو من الزمان أن يرقأ دماء المسفوحة ، فهي صامتة تلهي نفسها بالشراء والاشراف على شأن الزواج وحفله ، ولكن هذا الشراء وهذا الاشراف لا يمهدان لها وقتاً طويلاً ، فقد تم الاتفاق على أن يقيم سليمان مع زوجته في قصر أبيها الباشا ، فالأمر لم يعد محتاجاً لغير أثاث حجرة نوم واحدة تستبدل بالقديم الذى كانت تنام فيه سهر ، والشئ الوحيد الذى طلبته سهر هو ألا يباع أثاث

حجرتها القديم ، وألا يبارح الطابق الأعلى أو القاهرة الى منزل  
الريف طلبت ذلك ولم تبد لطلبها سببا ، وأجيبته إلى طلبها دون أن  
تسأل عن السبب . لقد شهدت هذه الحجرة أسعد أيامها ، وهي  
تريدها أن تبقى قطعة من سعادتها الزاهية .

لم تكثر الأم اذا من الشراء انما هو أثاث حجرة واحدة فصم  
وضعته بدلا من أثاث حجرة سهر القديم ، وابتسمت لسهر ،  
وهي تقول :

أما أثاث حجرتك القديم فهو كما طلبت ، سيظل هنا معنا  
في هذا الدور ، سأجعله في الحجرة المجاورة لك ينتظر الأولاد .

وذعرت سهر ، الأولاد ! ؟ وهل ستأتى بأولاد أيضا ، نسيت  
سهر أن الزوج في غالب أمره ينتج الأولاد .. الأولاد .. أولاد  
منها ومن سليمان .. لم تفكر في هذا الأمر إلا حين ذكرته أمها ،  
وقد ظنت بعد ذلك ليالى تفكر في هذه الكارثة الجديدة التى  
ستصاحب ما وقع وما أوقعته هى على نفسها من كوارث ..  
وأوشكت ، بل وهمت أن تقول لأمها ارفضوا الزواج . ولكن  
معها خوف راعد ، خامت الصدمة التى سيصاب بها أبوها ان هى  
قالت « لا » بعد « نعم » ، وخافت أن يرغمها أبوها على الزواج  
ارغاما وقد كان خليقا أن يفعل ، فهو لا يقبل أن تمس كرامته بسوء  
وان كلفه هذا حياة ابنته جميعا ، وخافت أيضا أن تطفىء هذه الفرحة  
الغامرة التى تمرح أختها سميحة فى أسكوبها ، مظهرة أنها فرحة  
من أجل أختها وقد غيبته أن أختها تعرف تماما بأمر حبها لسامى  
وحب سامى لهما وانتظارهما زواجهما هى ليتزوجا هما أيضا .

لم تكن « لا » اذن ذات غائدة فقد فات حينها ، بل انها كانت خليفة

أن تجعل الزواج يتم في ظلال قاتمة من الارغام والقهر والزجر  
والتهديد ، بدلا من اتمامه في ظلال من العطف والاشفاق والحنوب  
والحب . . نعم فقد كان البيت الذى ينتهى للزواج الجديد ، مغمورا  
بهذه الظلال من العطف والاشفاق واحبب والحب ، وهى ظلال  
كما ترى خالية من الفرح كل الخلو . فهى ظلال بلا اشراق ، كان  
القصر المقبل على الزواج بعيدا عن الفرح كل البعد . ولم تجدر  
الزغوردة التى كانت تطلقها بعض الخادومات من حين الى حين ،  
عندما يقبل العريس وينتظر عمه فى الدور الأسفل ، أو عندما تقبل  
قطعة من أثاث جديد أو قمائس أو فستان للعروس ، لا ولم تجد  
تلك الضحكة العريضة التى كانت تضعها الأم على شفتيها ، لا ولم  
تجد هذه الرقة الحنون التى كان يصطنعها الأب كلما حادث ابنته  
العروس ، بل ولم تجد الفرح الحقة التى كانت تعيش سميحة في  
أنعامها ، لم يجد شىء من ذلك فى أشاعة قبسة من فرح فى هذه  
الظلال التى كانت تسود القصر الذى ينتهى للزواج الجديد ، وأن  
تكن الظلال مسكوبة من عطف واشفاق وحنوب وحب ، الا أنها  
ظلال أبدا لم تعرف ومضة الفرح .

ومع ذلك جاء اليوم الموعود ، وسمى اليوم يوم الفرح . واستقبل  
الأب اليوم أشد ما يكون اشفاقا وضيقا ، فقد كان يعلم تماما  
ما تقاسيه ابنته ، حتى لقد كان يوشك أن يقتل ابن أخيه هذا ،  
كان يرى فيه جلاد ابنته الذى اختارته هى لنفسها فى لحظة انهدمت  
فيها آمالها . لم يكن لفقر سليمان أى أثر فى ضيق الباشا به ، فهو  
ابن أخيه ، وقد كان أخوه حبيبا الى نفسه ، ولقد طالما نهاه عن  
السرف والقمار والمصاربة ولكنه لم يستمع ، بل انه كان فى كثير  
من الأحيان يدفع عنه ديونه وان تضخمتم ليبقى عليه أرضه ، ولكنه

لم يسكن لينتهي حتى أنهى ماله جميعا وأتى عليه ، فلم تبسق منه  
الا أو شال ضئيلة لا تعدو ثلاثين فدانا ملاصقة لأرض الباشا ، ومع  
ذلك فقد كان الباشا يحبه ، وظل يرعى ولده بعد وفاته حتى عاد  
من أوروبا ، وكم كان الباشا يتمنى أن يكون سليمان على خلق  
سوى ، وترفع عن الدنيا واعتزاز بالنفس ، ولكن سليمان لم يكن ،  
كان كل شيء الا خلقا سويا أو ترفعا أو اعتزازا ، كان هينا .. هينا  
على نفسه فرآه الناس أهون ، وكان دنيئا لا يعرف السمو ، وكان  
ذليلا يطلب الأمر اليسير فيبذل في سبيله كل كرامة ، حتى لم تنق له  
كرامة ، لا يعف عن قول خسيس ، ولا تمتد آماله الا الى توافقه  
الأمور بلا طموح . أكر آماله هي تلك التي ينالها الآن ، زواج  
من ثروة ، وركون الى هذه الثروة ، واستزاده لها دون أن يفكر  
حتى فيما سيتمتع به في ظلال هذه الثروة .

كان الباشا يعرف هذا جميعه عن سليمان ، فهو ضيق به أشد  
الضيق ، لا يفكر في فقره ، فقد كان يعلم أن غنى ابنته كفيلا أن  
يضمن لها ولزوجها حياة ميسورة ، ولكن زوجها نفسه بما فيه من  
خلق ، أو بما ليس فيه من خلق ، هو ما يضيق به الباشا ، ولكن  
ماذا يفعل ؟ لقد تم الأمر وحل اليوم . ولات حين رجوع .

أقبل سليمان على قصر الباشا في ائصبح من يوم الفرح ،  
واستقبله الخدم في اجلال صامت ، وصعد خبر مجيئه الى الباشا  
وانطلقت زغرودة أعقبتها صمت . وظل سليمان منتظرا عمه متوقفا  
الأعصاب . يدعو الله في نفسه أن يتم هذا اليوم على خير .. الكتاب  
فقط يا رب .. الكتاب على خير يا رب ، ولا أريد غير هذا منك  
يا رب .. انه كل ما أطلبه منك يا رب ، لن أطلب منك بعد اليوم  
شيئا يا رب .

وكان الله يضره أن يطلب هذا السليمان شيئاً ، أو كائنه يخادع ربه ويمتنيه أن يريجه بعد ذلك من طلباته ، أم لطفه كان لا يسدرى ما يفعل ، أو ما يقول ، فظل يدعو ربه في الحاج تحوده مع عبيد الله ، فلا حرج عليه ان هو بذله عند المولى .

ولم يطل به اندعاء . فقد نزل عمه متجههم الوجه وان حاول أن يلقي على وجهه بعض البشاشة :

— صباح الخير يا سليمان .

وأقبل سليمان على يد عمه فقبلها :

— صباح الخير يا عمى .

وجلس الباشا . وجلس سليمان ، ومرت فترة صمت ، ثم قال الباشا .

— سليمان ، هل أعددت المهر ؟

وآخذ سليمان لحظة ثم تلعثم وهو يقول :

— نعم .. نعم .. نعم يا عمى .

— كم ستدفع ؟

— أمرك يا عمى .

— لا بل أمرك أنت .. انى أريد أن تدفع شيئاً مهما يكن قليلاً ،

حتى أحس أنك أجهدت نفسك لتقال أملك .

— والله .. والله ..

— اسمع يا سليمان .. افنى أعددت لك هذا المبلغ .

وأخرج الباشا من جيبه ظرفاً منتفخاً ، وأكمل حديثه :

ألفان من الجنيهات ..

واتسعت صدقتا سليمان ، وفغر فاه ، واستعصى ريقه على  
البلع ، حتى ليكاد يسيل ، وأكمل الباشا حديثه :

— ستدفع منها ألفا هي المهر • وأعطيك الألف الأخرى لك  
لتظهر أمام زوجتك في الشهور الأولى مظهرا يرضى كرامتها ،  
ويشعرها أنها تزوجت من رجل يريد ما هي ولا يريد مالها ••  
هذا المبلغ كبير يا سليمان كما ترى •• فأكرم به نفسك أمام زوجتك  
ولكني أريد أن تكتب لي كمبيالة بخمسمائة جنيه •• هذا هو  
المبلغ الذي أريدك أن تقدمه لي مهرا ، وأما بقية الألفين ، فإنه هدية  
منى لك لمناسبة زواجك •

وهب سليمان الى يد عمه وانكب عليها يريد أن يقبلها ، ولكن  
الباشا سارع فجذب يده وهو يقول :

— لا •• لا يا سليمان في هذه المرة لا •• لا تقبل يدي لأنني  
أعطيتك نقودا ••

وأخذ سليمان المال . وانحط على كرسیه ، ولم ينظر الى عمه ،  
ولو فعل لرأى وجهها ينكره •• لو فعل لرأى وجه عمه الذي كان  
يحاول أن يكسوه بالعشاشة ، وقد انقلب الى وجه حزين كسيف  
جازع ملئ بالكره والاحتقار ، لقد فعل الباشا ما فعل ، وكان  
يتمنى أن يتأبى سليمان أو يظهر بعض التمنع ، أو يعرض أن يكتب  
كمبيالة بالمبلغ جميعه ، أو يظهر بأى مظهر فيه بعض كبرياء ، أو بعض  
رجولة ، أو بعض خلق • أما أن ينكب على يده كما فعل عبد البديع  
فواضيعتا لك يا سهر !!

أحس الباشا الألم الذي أمرضه يعوده ، ولكنه جاهد نفسه ،

ولم يبين عنه ، وقام تاركا القصر جميعه ، ومن ورائه ابن أخيه ،  
وحين حاول أن يركب معه سيارته قال له :

— لا أظن طريقنا واحدا •

ثم أمر سائقه فسر ، وأخذ سليمان وجهته الى داره ليشرح أمه  
بما سكب عليه عمه دون أن يشعر بما يكنه له عمه هذا ، ودون  
حتى أن يشعر بما في رد عمه له عن ركوب السيارة من كراهية  
واحتقار •

\* \* \*

وكان الفرح الثالث هو زواج وصفى ، وقد كان هذا الزواج  
محوطا بشيء كثير من الفرح ، فأهل هند في فرح غامر يعدون  
للزواج والسعادة تنغم نفوسهم ، وكانت هند ذاتها سعيدة غاية  
السعادة •• سعيدة لأنها ستتزوج ، وقد شبت وهي تسمع أن الزواج  
معناه فرح ، فهي لا تعطى فقيرا الا دعا لها بالزواج والفرح ، وهي  
لا تجلس الى أمها الا رأتها تتمنى لها زواجا من رجل عظيم لتقيم  
لها فرحا تتحدث عنه الى أولادها وأولاد أولادها ، وهي لا تجلس  
إلى زائرات إلا دعون لها بالزواج والفرح ، وها هي ذى تتزوج ،  
ومن رجل عظيم مشهور طالما سمعت عنه من أبيها ومن أعمامها  
وأخوالها وهو ابن باشا وغنى ويقولون انه جميل كالأمير الذى نرى  
عنه الأقاصيص ، والذى نشهده فى التمثيل حين تصحبها أمها الى  
التمثيل فى يوم السيدات •

ها هي ذى تتزوج اذن ، وها هو ذا الفرح يعد له اعدادا  
ضخما رائع •• فهي اذن فرحانة •• يبارك أبوها فرحتها وتنتشى  
بها أمها •

وكانت السيدة اجلال سعيدة أيضا بزواج ابنها . فهي زيجة

طالما تمتتها وسعت اليها .

الوحيد الذى انشغل عن أن يفرح هو وصفى ، وقد أراد  
لنفسه أن يانشغل . . لا يريد أن يفكر في هذا الزواج ولا يريد أن  
يعرف حقيقة شعوره نحوه . . انه زواج فقط ، بلا مشاعر حوله  
من ضيق أو فرح أو أمل أو ألم ، انه زواج يتم في حياته كجزء  
من طريق حياته ، ولا بد له أن يقطعه فهو لا يستقلبه بشعور معين ،  
وانما هو يشغل نفسه بالسياسة ، ويندفع في غمارها يريد منها أن  
يحقق أمله في الجهاد ، ويريد أيضا أن تشغله عن تفكير آخر ،  
وعن زواج آخر . لم يعد يريد أن يذكره أو يذكر صاحبتة . .  
سهير .



## ( ٩ )

أقيم فرح سهير الحزينة ، فكان على أروع ما أريد له أن يكون . وطرب الزوار وانتشوا بالغناء ، فكانوا هم ومعهم سليمان وسميحة رمز الفرح في القصر .

كان سليمان فرحاً يغشى فرحه بعض اضطراب . فهو ان يكن قد ربط جأشه وسكن مضطربه بعد كتابة عقد الزواج ، الا أنه عاد لنفسه يسألها : ماذا هو قاتل في ليلته تلك ؟

ماذا هو قاتل لسهير في لقاءهما الأول . انه لا يفكر فيما هو فاعل ، لأن أمه منعتة أن يفعل شيئاً في ليلته الأولى ، فشان العروس في الليلة الأولى أن تكون مضطربة ، ويجب على العريس أن يطمئن روعها ليلة أو أكثر من ليلة حتى يزول عنها الروع ويهدأ المضطرب .

فماذا هو قاتل اذن . . لو أنه كان مثل وصفى لفتح للحديث أبواباً ، أما وهو لا يستطيع حديثاً فماذا يفعل . . آه لقد تذكر . . ألم يكن يحكى على صديقاته في أوروبا ما يجعلهن يضحكن حتى تسيل الدموع من عيونهن ، أو لم يكن أترابه وأصدقائه هناك يضحكون منه هم أيضاً . . نعم انه لم يجد بمصر منذ عاد من يضحك من حديثه الا أن هذا لن يقف به عن المحاولة ، فان عروسه مثقفة ولا بد أنها ستضحك كما كان أصحابه يضحكون . . لقد هداه الله الى الحل . . وانه لتبعه فبالغ ما أراد لنفسه أن يبلغ في ليلته .

وراح سليمان يعيد على ذهنه ما كان يحكيه بأوروبا لأصدقائه ،

منصرفا عن الفرح الى تلك الأيام المزدهرة في حياته ، والمدعوون في شغل عنه إلى الغناء وإلى أصدقائهم ، لا يحفل واحد منهم شأن سليمان . فلم يكن ذا شأن بينهم أو بين غيرهم ، فهو من أولئك الذين اذا حضروا أو غبوا لم تحس حضورهم أو غيابهم . وقد كان في هذه اللحظة حاضرا غائبا ، يفكر ويبتسم ويفرح .. لقد هدى الى الحل . ووفق الى السبيل !

وكانت سهر في الطابق الأعلى ، يعينها على ستر ما بنفسها من ألم وحسرة الخجل الذي تنتشع به العروس في ليلة زفافها ، فهي صامتة عن ألم ، وتظن المدعوات أنها صامتة من خجل ، والله يعلم ، والباشا وأما . على أي لاجع من أسي يتطبق صمتها .

وانتهى الفرح . وخلا العروس الى عروسه . ولم يجد سليمان من كل ما كان يعده في رأسه الا :

— مساء الخير .

وتظرت اليه سهر .. انه في القرب أبشع منه في البعد ، وجاهدت نفسها أن تجيب ، فلم تستطع فأشاحت متخذة من خجل العروس وقاء لها من الإجابة .

وتمطى سليمان وألقى نفسه إلى كرسى وهو يقول :

— متعب الفرح .

وسفرت سهر في نفسها من كلمة الفرح ، وظلت في صمتها .

— أليس عجيبا أن تكوني ابنة عمى ولا أراك الا الليلة ؟ عادات سخيفة .. عندنا في أوربا كان النساء يقابلن الرجال حتى الأغراب .. تصويرى ..

عندنا في أوربا .. لا .. لا أطيق .. أجمع إلى قبح المنظر ،  
وصفاقة الوجه ، ثقل الدم أيضا .. لا .. لا يارب .. لم أقدر  
لنفسى كل هذا العتاب .. الفجاء يا رب النجاة .. عندنا في  
أوربا .. ويقول تصوورى .. أنا متصورة .. أنا عارفة فلا حاجة  
بى إلى التصور .. النشء الوحيد الذى لا أتصوره هو أنت يا زوجى ،  
يا شريك حياتى يا مستقبلى كله ، يا بقية عمرى .. وأخشى والله أن  
تكون بقية العمر طويلة .

— كان النساء يجلسن معى ، ومن لا يعرفننى .. وكنا نتكلم  
ونتبادل الأحاديث ..

ثم يضحك سليمان في غرور شائه ثقيل :  
— كن يعجبني بى اعجابا كبيرا .

بك أنت .. لا .. انى أعلم .. لقد كن يضحكن منك لا لك ..  
كنت سخرية الأصدقاء والصديقات .. ويلي أنا ، لقد كنت تقيم  
مع الواحدة منهن ساعة أو يوما أو شهرا ، ثم تتصرف عنك ،  
ولا يمكن أن تتصرف أنت عنها لأنك صفيق ، أما أنا فالعمر ..  
العمر كله .

— تعرفت هناك بينات كثيرات .. جميلات .. ولكنهن طبعا لسن  
في مثلك جمالك .

وتغازل أيضا .. يا لها من مصيبة ! .. انه يستعرض أمامى  
مهارته مع النساء ، ويغازلنى في وقت واحد . كأن من المفروض أن  
أفرح أن كان له سوابق مع أخريات .. نعم والله كنت خليقة أن أتعزى  
لو أن هذا الذى يرويه حق .. كنت خليقة أن أعزى نفسى بأن أخريات  
يخبن به قبلى ، ولكن من أدرانى أنه الحق !!

— أنت غيرى .. أليس كذلك .. لا .. لا .. لا تغارى ، فقد  
انتهى ما كان بينى وبينهن ، ولقد شئت أن أقص عليك هذا الحديث ،  
حتى أكون صريحا معك منذ أول ليلة .. هيه لا تغارى •  
أغار ! .. عليك أنت .. ألم ينظر فى مرآة هذا الثور .. أنا أغار  
عليه ؟ !

وقام سليمان عن كرسيه واقترب منها فى كرسىها الذى جلست  
اليه ، وقد ألفت برأسها إلى كفىها تدبير إجاباتها على زوجها فى ذهنها  
ولا تنطق منها بشئ .. اقترب سليمان من زوجته ووضع يده على  
كتفها .. ولم تكن رآته وهو يقوم عن كرسيه مقتربا منها .. لم  
تر شيئا من هذا ولم تحس إلا بيده تهبط على كتفها ، فلم تشعر بنفسها  
إلا وهى فى آخر الغرفة ، تصطك أسنانها من المقت والخوف ، محدقة  
فيه مذعورة ، لا تنطق بلسانها شيئا ، وإن كانت عيناها قد نطقتا بكل  
شئ •

ولم يكن سليمان يفهم من لغة العيون شيئا ، وإنما قال فى  
نفسه « ان أمى خبيثة .. انها تدرك الذعر الذى تلتقى به العروس  
فى ليلة زفافها الأولى » •



وفى الصباح يكرت سهر تخرج من غرفتها ، وتركت زوجها  
نائما هادىء البال مطمئنا ، لم تجد أحدا صاحبيا ، فالتحذت لنفسها  
مكانا فى البهو ، وراحت تفكر فيما أصابت به نفسها ، وحاولت  
جهدا أن تنفى عن نفسها هذه الأفكار ولكن الأفكار كانت  
أقوى منها ، فهى تمر بعقلها فى ثورة عارمة ، فليس لها منها نجاء •

قامت سهر تمشي في أرجاء البيت ، وقصدت الى الشباك  
المطل على باب البيت والشارع ، وكانت الحياة قد بدأت تدب  
هونا في الطريق ، فبائع الفول يدفع عربته لم تتحلق حوله الخادمت  
والخدم بعسد ، وبائع اللبن يسير حاملا بيده اناء اللبن ، وفوق  
رأسه ذلك اللوح الكبير الذي استقرت عليه أطباق القشدة وأوعية  
لبن الزبادى الفارغة ، والموظفون يسيرون فرادى ، والتلاميذ  
يسيرون جماعات ، وعم ادريس يصلى ، وقد وضع بجانبه  
موقدا من الفخار اشتعلت فيه النار واستقر عليه اناء الشاي والعيش  
ورأت سهر النار تشتعل وتكاد تلتهم العيش ، فما يملك عم ادريس  
الا أن يخرج من الصلاة بغير انتهاء ، بل انه حتى لا يستأذن ربه  
في الخروج من ساحته بأن يلقي السلام على الملائكة الذين يحفون  
به وهو قائم .. لا يفعل شيئا من هذا ، بل هو يتوك الصلاة في جزع  
عاجل وينكفى على النار ، يختطف منها العيش أن تلتهمه قبله .  
وتلوح ظل ابتسامة على شفتى سهر كانت جديرة بأن تكون ضحكة  
عريضة . لولا ما بالقلب من ألم . وتظل سهر رافية الى عم ادريس  
والى الشارع . وقد ماجت فيه الحياة وتسارعت فيه الخطوات ،  
وجرت به العربات تجرها الجياد ، مطهمة حيناً أو كسيرة وائبة  
الخطوة حيناً آخر ، وقد ترى من حين الى حين سسيارة تخرق  
الطريق في زهو ، مدلة بسرعتها وأناقتها ، فتلقاها الخيل وسائقوها  
يكبر ، كبر صاحب الأصل الدارس صار الى الفقر ، وما يزال  
متشبها بأصله العريض ، وان يكن قد تهدى الى غقر وارهاص  
جزوال .

واستطاعت الحياة أن تلهي سهر عما يمور بنفسها بعض الحين ،  
فلم تنتبه من وقفها الا على عربة مطهمة الجياد تقف أمام بيتهم

وينزل منها ابن خالها سامى عبد الحميد ، أمل أختها سميحة  
وفتاها • وحين تركت النافذة خشية أن يراها سامى ، سمعت جرسا  
يبدق ، فأدركت أن أباه قد صبا ، فذهبت إلى غرفته ، وقالت  
وهي تفتح الشباك ، وقد حملت جرائد الصباح في يدها :

— صباح الخير يا أبى •

وقال الأب فى بعض دهشة :

— صباح الخير يا بنتى •• صاح الخير يا عروسة ••

وكانت سهر قد أصبحت بجانب سرير أبيها ، تضم الكلة  
المسدلة عليه ، وهى تقول :

— أرو أن تكون جقد نمت نوما هائئا ؟ !

— أرجو أن تكونى أنت قد نمت نوما هائئا ، لقد صحت

مبكرا يا سهر •• خير يا سهر •

— خير يا أبى •

— تونى يا سهر •• هل أنت مرتاحة ؟

ولم تستطع سهر أن تحتمل حزنها أكثر مما احتملت ••  
لم تستطع أن تسكتم الدموع الطفرة من عينها ، فأدارت وجهها  
عن أبيها ، وانهملت دمعبت صامتة ، وألح الأب فى السؤال ،  
والدموع ما تزال تتراحم فى عيني سهر ، حتى اذا عجزت عن  
وقف دفعها جلست على سرير أبيها ، وألقت برأسها على حافته ،  
وقد تشبثت يداها بهذه الحافة وبكت •• فى مهمة خافتة أول  
الأم ، ثم ما لبثت أن انفجرت عن بكاء صاخب ، تكاد تذرف  
فيه قلبها ، وأمسك أبوها بها ، واحتواها فى صدره ، فازداد



بكاؤها غفلا ، والأب الراسخ الصلب لا يجسد ما يفعله سوى أن يربت كتفها ، وقد ثارت في نفسه عاطفة الأبوة جياشة ، رقراقة عنيفة ، حتى لم يستطع ، وهو الرجل عرك الحياة وعركته ، إلى أن مسار من الحوادث كالجبل الأشم ، تسدور به الريح فلا تنال منه .. لم يستطع أحمد بأشا إلا أن يسكب دموعات ، سارعت يده إلى تجفيفها قبل أن تراها ابتته .

وأحست سهر في حضن أبيها بعض راحة ، وأحست أن بكاءها لن يفيد لها شيئا إلا أن تعذب أباه ، فتمالكت وانتفضت عن سرير أبيها إلى خارج الغرفة ، لم تغب عنها كثيرا ، بل هي تعود إلى الأب الحزين ، وعلى شفقتها شبح ابتسامة باهتة ، وتجد أباه يختتم صلاته ، فتجلس رائية إليه في حب ، حتى إذا قام عن السجادة قالت :

— ان أكن قد آلمتك يا أبي هذا الصباح ، فاني أحمل لك خيرا تفرح له .

— والله يا بنتي لا أعلم أن شيئا يفرحني وأنت حزينة .

— لا عليك مني يا أبي ، ان سامي قد جاء الآن ويرجو لقاءك .

— وأي شيء يفرح في هذا ؟

— ألا تدري يا أبي ، انه يريد أن يخطب أختي سميحة ، فبحياتي عليك يا أبي الا قبلته .

— سامي ابن حلال ، ولكن هل سميحة تريده ؟

— نعم يا أبي ، اني سألتها .

— هل أعتمد على قولك هذا وأقبله ، وأحمل عن نفسي مسئولية

سؤالها وخجلها ؟



— نعم يا أبى •

— اذن فأرسلنى اليه من يصعد به الى هنا ، واخلو له الطريق •  
وما هى الا دقائق ، حتى صعد سامى الى زوج عمته التى كانت  
قد صحت هى أيضا ، وانضمت الى زوجها فى حجرته • وما هى  
الا دقائق أخرى ، حتى خرجت تفيدة هانم من الحجرة ، وأعلنت  
الى ابنتها سميحة أن أباهما قد قبل خطبة سامى لها ، وانطلقت  
الزغاريد فى القصر ، صاحبه فرحة هذه المرة ، لا يعوق انطلاقها  
نىء •

وصحا سليمان من نومه على هذه الزغاريد ، فظن أنها موجهة  
له ، وحدث نفسه أنه لا يستحقها بعد ، ولكنه لم يستطع أن يصرح •  
ووضع على نفسه معطف المنزل ، وقصد الى حجرة عمه • وهناك  
عرف ما أطلق هذه الزغاريد من عقالها • فهنا سامى وأصاب  
نفسه غصة ، فقد كان يعلم أن سامى أغنى منه • ولكنه تذكر ما نال  
من عمه فى أمسه ، فنارت فى نفسه فكرة جاهد أن يكتمها • انه  
يريد أن يدعو زوجته الى رحلة خارج القاهرة ، ينمتعان فيها بشهر  
العسل ، حتى يظهر لعمه أنه سينفذ أمره له بإظهار كرمه أمام  
زوجته ، وحتى يستطيع أن يتيح لزوجته أن تأنس به من تلك  
الوحشة التى عرفها منها فى ليلة البارحة • وكان يجاهد نفسه  
ألا ينفذ هذا العزم ، حرصا على الأموال ، واحتفاظا بها ، ليشتري  
قطعة أرض يضيفها الى تلك الأفدنة القليلة التى تركها له أبوه •

وبيعما كانت هذه الأفكار تتصارع فى نفس سليمان ، كان  
القصر يموج فى فرحة غامرة • فسهير مع سميحة تحضنها ، وتبكي  
بكاء اختلط فيه الفرح بالحزن • فرح بأختها وحزن على نفسها ،

وتجيبها سميحة بالبكاء ، لا يبتعثه الا الفرح الخالص ، تشوبه  
الأحلام الوردية عن الثناء التي ترفو اليها في ظل هذا الزواج  
السعيد .

وكانت الأم غرحة هي أيضا ، فرحة بريئة ساذجة ، ولكنها  
لم تسعد بهذا الفرح كثيرا ، فهي تنظر الى وجه زوجها فتجد فيه  
أما يجاهد في إخفائه ..

— خير يا باشا .. أنت متعب ؟

— والله يا تفيدة نعم .

— ومالك لا تقول ؟

— اتركني النبات يفرحن .

— النبات لا يفرحن الا بك يا باشا .. صحتك أهم من كل شيء

وانكتم الفرح في الصدور ، وانكتم معه حزن سهر ، وحيرة  
سليمان الذي وجد في مرض الباشا قرارا حاسما ، اذ لا يمكن أن  
يدعو زوجته الى رحلة وأبوها مريض .

وسرعان ما جاء الأطباء . وهروا سامي ليشتري الدواء ،  
وتكاسل سليمان متظاهرا أنه يريد أن يظل الى جانب عمه ، مرتئيا  
في هذا العذر اعفاء له من دفع ثمن الدواء . وجاء الدواء ، ولكن  
متى نفع الدواء ، وقضاء الله مقضى ، سبحانه يهب الحياة ويفتارها  
الى جواره .. هو وحده صاحب الأمر فيها مبتدئة ومنتية .

## ( ١٠ )

لم يستطع شيء أن يعسوق سليمان عن حقوق الزواج ، وإن يكن الحزن قد أجل نيل حقوقه بضعة أشهر ، ولكن أين المهرب لسهر والحياة طويلة ، ما الشهور فيها إلا قطعة صغيرة من الزمن ، يبتلعها الزمن . ويبقى الزمن ، وتبقى الحياة ، ويبقى زوجها ، وتبقى حقوقه .. وقد نالها ، ولكن سهر كانت تحس دائما أنها كأنما ترتكب اثما حرمه الله ، كان يداخلها شعور بالخزي والعار ، ولولا أن عقلها ما يلبث أن يذكرها بأنها أوامر الله لما زایل هذا الشعور نفسها .

ولم يكن الجنين يعلم أن أمه لا تحب أباه ، ولم يكن يعلم أنه يتكون على رغم أمه ، ولم يكن يعلم أنها تتمنى أن تموت قبل أن يصبح هو طفلا ، ولو كان يعلم ما استطاع أن يفعل شيئا ، وماذا بيده أن يفعل .. انه يتكون ويكبر على رغم أنفسه وعلى رغم أمه ، ويكتمل وينزل الى الحياة .

واستقبل القصر الطفل الأول لسهر .. وقد كان اسم الطفل معدا له قبل مجيئه « أحمد » وقد رحب سليمان بالطفل ورحب أن يسمى أحمد ، وتخلّى عن ببذل أى مال للحكيمة المولده أو للخدم ، فقد تعود الخدم منه ألا يعطيهم شيئا وإن يكن بعض الأمل قد داعب نفوسهم أن تسخو نفسه الجامدة ، يوم مولد طفله الأول ، إلا أن هذا الأمل كان ضعيفا واهنا ، لم يحسوا في انهدامه برزء الأمل المنهدم .

( قصر على الفيل )

وكانت سهير قد عرفت عن زوجها هذا البخل القاتل ، ولم تشأ أن تنبئه الى موقفه من الخدم ، فقد كانت تعلم أن لا أمل يرجى من تقبيله ، وضمت هذه السوءة الى ما اجتمع فيسه من سوءات وسكتت . وقد كانت تعلم أنه مهما يعطهم فانه لن يطيق أن يصبر نفسه عن ارتكاب الصغائر أمامهم . فقد استطاع سليمان في مهارة حاذقة أن يرغم زوجته على احتقارة ، فأصبح كرهها له كرهين ، ومقتها له ألوانا من المقت ، عديدة لا يخفت لها أوار .

استقبلت سهير طفلها أحمد ومقت أبيه يمهدها ، وحينما رآته في يد الحكيمة يطلق صرخاته الأوى في وجه الحياة لم تحس نحوه شيئا من عطف ، ولعلها لم تحس نحوه شيئا على الإطلاق ، لولا أنها تذكرت ما يتناقله الناس من حب الأمهات لأولادهن . فطوت نفسها على شعورها المبهم ، ونامت بعد أن عرفت أن وليدها طفل ذكر . وما كان يعنيها أن يكون ذكرا أو أنثى . . كل ما كان يعنيها ألا يجيء هذا الطفل ، أما وقد جاء فسيان عندها أن يكون ذكرا أو أنثى ، فهو ان يكن ذكرا فقد يرث عن أبيه شر أبيه ، وهو ان يكن أنثى ، فهي قد تثرث عن أمها تعاسة أمها .

صحت سهير من نوم عميق ، فوجدت أمها بجانبها تشرف على طعامها . حتى إذا أصابت ما قدموه لها ، دفعت أمها اليها طفلها لترضعه . وحين وضعت ثديها في فم الطفل راح سؤال يدور في ذهنها . . وأنت ما ذنبك ؟ ما ذنبك أنت يا ولدى العزيز . . العزيز . . أعزيز أنت . . أى شىء فيك عزيز ؟ ! أنت بلورة شقائى . . انت تجسيد الأسباح القاتمة في ظلال حياتى ! أنت تعاستى حيه وترجم منى وأغذيها . . لا عليك يا ولدى ، فانى كما أتيت بك الى الحياة

أتيت بشقائي الى الحياة .. انها أنا يا بنى التى خلقت شقاءها  
بيدها ، وهانتذا شقائي جاء من أحشائي مجسما بعد أن كان  
فكرا .. انسانا بعد أن كان خيالا .. حياة بعد أن كان رؤى ..  
حياة وان تكن شقية حزينة آسية . الا أنها حياة ، وأنا صاحبها ،  
وأنا من أغذيها . سأغذك يا بنى كما غذيت شقائي دائما ، وكما  
خلقت شقائي هذا .. لقد ولدتك أحشائي . كما ولد عقلى شقائي ..  
أنت بك أحشائي على رغم أنفيا . وولد عقلى شقائي مختارا  
لينتقم .. لقد خلت انى أنتقم ممن هجرنى : غادا أنا أنتقم من  
نفسى ، فويلى من ظالمة ومظلومة . وقاتلة وقتيل .. أنا هى جميعها ،  
أنا الظالمة والمظلومة والقاتلة والقتيل .. ولكن أنت .. أنت  
يا ولدى .. ما ذنبك ؟ فاطعم .. اطعم يا بنى هنيئا لك ما ينساب  
الى جوفك الطاهر البرى ، الندى .. وأرجو الله اللطيف بعباده  
ألا ينساب فى دمي الذى يغذك هذا الشقاء الذى خالط دمي  
على الأيام .. اطعم هنيئا ، فأنت يا ولدى لا ذنب لك .

واقترح سليمان الغرقة على زوجته . فألقت فضلة ثوبها على  
صدرها ، ومال سليمان على جبين زوجته . فطبع عليه قبلة ليس  
فيها الا ضم شفتين وانقراجهما عن صوت مرتفع مزعج وقال لها  
« كيف أنت يا سهير » ولم ترد سهير على أن تقول « الحمد لله »  
وحين حاول أن يجذب للحديث أطرافها لم تمكنه سهير مما يريد .  
فقد كانت فى غمرة من هذه المشاعر التى زحمت نفسها ، ولم يدرك  
سليمان شيئا مما يخالجهما ، فما كان يدرك شيئا فى نفسها ، واطمان  
باله الى أنها متعبة لا تطيق الحديث . وخرج فرحا من الغرفة ،  
تشيعه نظرات سهير الصيرة ، وقد ازداد جسمه امتلاء ، فأصبح  
مسمينا ضخما ، لا يذكر ان رأيتة الا بالعجل قواما وتفكيراً .

وبعد أيام قليلة من ميلاد أحمد عبرت باب القصر في خطوات  
وانية محبوبة زوجة عبد البديع ، تحمل على كتفها ابنها السيد  
وتمسك في يدها سلة كبيرة ، يغطيها البرسيم ، ويسير من خلفها  
زوجها عبد البديع ، يحمل هو الآخر سلة كبيرة مغطاة بالقماش  
خيطت أطرافه الى حوافي السلة . ان الأسرة قد جاءت الى قصر  
الباشا تقدم تهنئتها الى السيدة سهير وتحمل معها الهدايا التي  
ينتجها الريف الكريم ، وقد كان هذا المجيء يحمل في طياته شكرا  
عميقا من هذه الأسرة الى السيدة سهير فهي التي مدت حمايتها  
على عبد البديع فأبقيت عليه في وظيفته حين حاول سليمان أن يطيح  
به مدعيا أنه لص ، عاجزا في الوقت ذاته عن أن يثبت عليه شيئا من  
انحراف الضمير .

وقد أحست محبوبة بالرهبة وهي تستقبل القصر ، ولكن يد  
زوجها من ورائها ألقت الى نفسها الطمأنينة ، فخطت باسم الله  
وبستره الى الرحبة الواسعة ، وسعت بين مغاني الحديقة الى  
القصر الكبير .

ولكن سيد أبي أن يجعل السيد يطمئن بهم ، فهو ينشق عن  
صراخ عال وعويل مزعج ، جاهدت أمه في كتمانها ، ولكن بلا جدوى  
فقد أبي حتى ثدى أمه الذي أخرجه لتسكته به .

ويلغ العويل مسامع السيدات ، فسألن وجاءهن النبا عن زيارة  
عبد البديع ، فمست هذه الزيارة نفس سهير بنسمة طيبة أحست  
في عبيرها وفاء وحبا ، وان يكن صراخ الطفل قد أزعجها .

وقبل أن يختفى عبد البديع وأسرته الصاخبة في الباب الداخلي

سمع ضجة سيارة تقف عند باب القصر ، فالتفت وعرف فيها سيارة سميحة هانم ، فقال لزوجته :

— أسكتى السيد ، وإذهبى لتسلمى على الست سميحة تهنيئها بوليد أختها •

ثم انتقل عبد البديع الى داخل المنزل ، ولم يطع السيد أوامر أبيه ، ولم يُجد فى اسكاته جهد أمه ، ولكن هذا لم يمنعها أن تتقدم من سميحة هانم التى كانت تسير وتُيَدة الخطى يمنعها عن الاسراع أنها تحمل هى الأخرى وليدا غائبا فى ظلمات أحشائها • وقالت محبوبة :

— الحمد لله على سلامة الست سهير يا ستى سميحة هانم •

— الله يسلّمك يا محبوبة •• أهذا ابنك ؟

— نعم يا ستى • أتعقبى لك •• نفرح بالمحروس ، وتقومين بالسلامة مجبورة الخاطر ان شاء الله •

— لا ، فى هذه المرة أريد بنتا يا محبوبة •

— بنت يا ستى ! لا قدر الله •

— ولماذا يا محبوبة ؟ •• أنا عندى حسام •• ألا يكفى ولد واحد ؟

— لا يكفى أبدا يا ستى •• ولد يا ستى ان شاء الله وند •

— يا شيخة اسكتى ، فانى أخشى أن يسمع الله دعائك •• بنت يا رب •• بنت •

— لا حول ولا قوة إلا بالله •• أمرك يا ستى ، بنت يا رب •••••  
نولها ما تريد يا رب ، واجبر خاطرها •

— ألم ترى سهر بعد ؟

— لا والله يا سنى . كنت داخلة ورأيتك فجئت أسلم عليك .

— تعالى تصعد معا .

وصعد ثلاثتهم . وسيد لا يكف عن صراخه الا بمقدار ما يلقف  
في حلقومه بضغ شهبات من الهواء ، ما يلبث أن يخرجها عالية  
الضجيج . تنفض على الهدوء الذى كان يسود القصر فتمزقه  
تمزيقا .



## ( ١١ )

كنت الكلمات لا تسكاد تستقيم على شففى أحمد ، حين دخل  
الى حجرة يجلس فيها أبوه الى أمه وقال :

- بابا .. هات لى شكولاتة •
- ولماذا .. أليس عندك شيكولاتة ؟
- عندى ، ولكن هات لى أنت •
- ولماذا أنا ؟
- لأن نينه تحب أختى هناء ، وأنا لا أحب نينه •
- ومن أدراك أنها تحب هناء ؟

— كل يوم .. كل ساعة أراها تحتضنها وتجعلها تبوسها ،  
فى صدرها .. بوسة طويلة .. طويلة .. وتقول انها ترضعها ، وأنا  
لا أبوسها الا بوسة قصيرة فقط ، وبعد ذلك تتركى لتجعل هناء  
تبوسها ..

وكانت الأم غارقة فى الضحك ، بينما أكمل الأب نقاشه مع  
ولده :

- طيب وما شأن هذا بالشيكولاتة ؟
- انشيكولاتة التى عندى من عند نينه .. هات لى أنت  
شيكولاتة •
- ومن أدراك أنها من عند نينة ؟

— كل ما عندي من عند نينة .. هات لي أنت شيكولاتة .

— طيب يا سي أحمد .. أمرك .

ويخرج الطفل مطمئنا الى وعد أبيه ، فقد كان طفلا ، ولم يكن قد عرف أباه بعد .

وكانت الأم لا تزال في ضحكها من حديث ولدها حين قال سليمان :

— ألا يجب علينا أن نذهب اليوم الى وصفى لتهنئته ؟

وفجأة تجمد الضحك على شفتيها . فقد كان اسم وصفى لا يزال ذا رنين في نفسها .. واستطرد سليمان :

— يجب أن نذهب لتهنئته .

— ولماذا ؟

— لأنه ابن عمنا .

— انه ابن عمنا منذ ميلادنا ، ولم نفكر في زيارته أو تهنئته

قبل اليوم . فما الذي جعلك تذكر هذا الآن ؟

— كنت مخطئا ، وأريد أن أصحح خطئي .

— سليمان .. قل الحقيقة .. انك تريد منه شيئا .

— لا والله .. ولكن ..

— ولكن ماذا .. انه رزق بجعفر ولم تهنئه ، بل انك حتى

لم تشكره على الهديتين اللتين أحضرهما عند مولدي أحمد وهناء ،

واليوم تريد أن تهنئه لأنه أصبح سكرتيرا لمجلس النواب ، ولا أرى

المنصب كبيرا عليه ، فهو عضو نواب من سنوات ، وشخصية

ظاهرة في الحزب ، وليس غريبا أن يكون في هذا المنصب .

- ولكنه فاز بثقة اخوانه ، ويجب أن نهنته بذلك •
- قل لى يا سليمان •• ألم تحصل على الدرجة بعد ؟
- وما شأن هذا بالموضوع ؟
- ان هذا هو الموضوع •
- وبعد معك يا سهير •• أما تريدان أن تساعدننى فى شىء ؟
- والله أنا كرامتى لا تسمح لى بأن أزور ابن عمى متظاهرة بالتهنئة ، بينما أنا أريد منه شيئاً آخر ؟
- يا ستى ما لكرامتك وهذا ؟ !
- ان الكرامة هى هذا •
- ثم تنهدت سهير ، وكأنما أفاقنت الى أنها تحدث شخصاً لا شأن له بموضوع الحديث ، فقالت :
- وعلى كل حال أنت تعرف أننى لا أقابله •
- نعم أعرف ، ولو أنى غير موافق على هذا الحجاب • على كل حال اصعدى أنت الى زوجته ، وأقابله أنا •
- يا أخى ، أتريدنى واسطة إلى زوجته •• لا يا سيدي ••
- اذهب أنت وهنته ، ولن أذهب أنا الى زوجته •
- وماذا ؟ •• انك لا تزورينها أبدا •
- انها ست غريبة عن العائلة ، وزيارتى لها لا تكون الا رداً على زيارتها هى •
- لقد زارتك عندما ولدت هناء ، ولم تردى الزيارة •
- لم تأت المناسبة ، ولو زرت كل اللواتى زرننى فى الولادة لما انتهيت •

— ها هي ذي المناسبة .. اذهبي اليها وهنئها ..

— سليمان •

— نعم •

— ان اذهب •

— أمرك •

وخرج سليمان غير غاضب وان كان آسفا ، فقد كان يأمل أن تتوطد الصلة بين عائلته وعائلة وصفى ، فهو يطمح أن يكون بوصفى سندا له في وظيفته ، فقد رأى وصفى واسع النفوذ ، مسموع الكلمة عند الوزراء وعند وزيره هو بالذات ، ذلك الوزير الذي لم يجرؤ هو يوما على طلب مقابلته ، ذلك الوزير صديق لوصفى ، والعجيب أن الوزير هو الذي يسعى الى توطيد هذه الصداقة وتثبيت دعائمها . يريد من وصفى أن يكون عوناً له في الحزب وفي المجلس .. وممع ذلك تأبى سهر أن تذهب لوصفى .. أو لزوجة وصفى .. هو غير غاضب لأن الغضب لم يكن في طبيعته فان الغضب صديق للكرامة والعياذ بالله ، وهو رجل ألف ألا يغضب كما ألف البعد عن الكرامة .. هو غير غاضب ، ولكنه آسف .. آسف كما تعود أن يأسف دائما حين تأمره سهر فيأتمر ، وهل كان له الا أن يأتمر ، انها الزاد والمأوى ، وانها المال والقصر والضياح ، حين هو لا شيء .. لا شيء الا أن يتلقى أوامرها فيطيع ، والا أن تريد هي قيسر ، غير غاضب أن أستقبل أمرا لا يريده ، ولكنه يأسف .. يأسف وينفذ . وهل كان بيده الا التنفيذ •

ولسكنه اليوم يريد أن يصل ما بينه وبين وصفى ، وان يكن قد أهمل في شكره على هداياه ، وان يكن قد تأخر في تهنئته

بمولوده الأول . الا أنه اليوم سيمحو هذا التقصير الذى كانت له أسبابه ودواعيه ، فهو ان كان قد ذهب للتهنئة بميلاد جعفر كان لا بد له أن يحمل معه هدية ، ان لم تكن مماثلة لهدية وصفى ، فهي على كل حال ستحملة مالا وهو يحب أن يبذل مالا . وهو أيضا كان لا يريد أن تتوثق العلائق بينه وبين وصفى ، بعد ما كان يشاع من أن وصفى سيخطب سهر . وهو أيضا لا يحب أن يجتمع ووصفى فى مجلس . فوصفى رجل من رجال الدولة . فى حين لم يستطع هو أن يصبح رجلا من رجال البيت . وهو لا يحب أن تجرى المقارنة بينهما ، وخصوصا اذا جرت هذه المقارنة فى ذهن سهر . ثم هو أيضا لا يحب وصفى هذا الذى يتسلك الى المجد فى كبر وخيلاء ، بينما لا يستطيع هو أن يتسلك درجة . درجة واحدة فى سلك الوظيفة ، ولو أن الأمور جرت فى سبيلها السوى . لكان هو الأجدر بالرفعة . فوصفى لا يملك الا لسانا وقلمًا ، أما هو فمهندس درس فى جامعات أوربا . وهو رجل عملى ، ما الكلام عنده الا شقشقة عاجز ، وتهويم من لا يستطيع عملا .

واو أن وصفى ارتفع بجهد وحده ، لقبل ارتفاعه هذا ، ولكنه ارتفع بغناه الذى خلفه له أبوه ، وبجاه أبيه أيضا الذى خلفه له فى الناحية ، فأصبح به عضوا بمجلس النواب ، أما هو فلم يترك له أبوه الا أوثالا من المال ، استطاع بها أن يذهب الى أوربا ، وأن يصبح مهندسا .

لهذا جميعه ، كان سليمان حريصا على ألا يوطد صداقته بوصفى ، ولكنه اليوم حريص على هذه الصلة ، فهو اليوم فجأة ابن عم وصفى ، وصديقه الأوفى ، وليس لهذه الأسباب مكان .

فهو لا يحتاج الى اهدائه شيئا ، لأنه ليس من المؤلف أن يتهادى القوم في التهنئات بالمناصب ، وهذا في ذاته أقوى سبب كان يقف به عن التهنئة في ميلاد جعفر .

وهو اليوم لا يرى بأسا أن تتوثق العلائق بينه وبين وصفى ، فقد مر على الشائعات التي كانت تربطه بسهير زمن بعيد ، والزمن قادر على ابتلاع الشائعات ومحوها من أذهان الناس ، وهو اليوم أيضا لا يرى بأسا أن تجرى سهر المقارنة بينه وبين وصفى ، فقد أصبح لهامنه ولد وبنت تحبهما الحب كله ، فما تمكك الا أن تظل الى جانبهما ، وهو أيضا مطمئن الى أن زوجته لا تكن له الاحترام ، لأنها من ذلك النوع الساذج الذي يقدر الكرامة ولا يقدر الحياة ، ويهيم في الخيال ، ولا يفكر في الواقع ، حتى انها تأبى عليه الا أن يؤدي حق سميحة في أرضها كاملا اليها ، وان امرأة تبلغ بها السذاجة الحد الذي تأبى عنده أن تأكل أموال أختها خليفة بالأا يقيم لرأيها وزنا . أما أن يتسلق وصفى الى أعناق المجد ، فالواقع الذي لم يكن يفكر فيه من قبل أن وصفى كان يجاهد الانجليز ويهاجمهم بمقالات مشتعلة ، حتى لقد قبضوا عليه مرات . وسجنوه ، وسليمان لا يرى بأسا أن يصيب هذا المتهور المجنون الذي يرمى بنفسه الى التهلكة مجدا ، ما دام لم يصب التهلكة ، ثم ان هذا المجد الذي بلغه وصفى مجد للعائلة كلها ، وما دام هو — سليمان شكرى — أحد أفراد هذه العائلة ، فمن حقه أن يحظى بنصيبه فيما أصابه ابن عمه . . ومن ثم فهو يستحق الدرجة .

هكذا كان يفكر سليمان حين وجد نفسه واقفا الى باب ابن عمه وصفى ، وقبل أن ينزل من السيارة سأل البواب عن وصفى ، فحين علم أنه بالمنزل ترجل وهو يطلب الى البواب أن يبلغ سيده بمجيئه .

كان وصفى اذ ذاك جالسا الى زوجته وابنته جعفر ، وقد راح يداعبه في حنان ، والطفل يبتسم لأبيه ، ويحرك لسانه بكلمات لم تكتمل ، فيستقبلها الأب بفرح ونشوة ، ولكن هند لم تشارك زوجها فيما هو فيه من غبطة ، فهو يسألها :

— مالك يا هند ؟

— والله يا وصفى مشغولة بأمرى .

— مالها ، لا قدر الله ؟

— منذ مات أبى وصحتها تزداد سوءا في كل يوم .

— يا ستى ، طالما رجوناها أن تترك العزبة وتأتى هنا ليراها الأطباء .

— وماذا نعمل ، انها ترفض أن تترك العزبة وتبقى في بقائها

هناك ما يسليها ، ولكنها لا تسلو .

— وهل سمعت شيئا جيدا ؟

— كلمتها اليوم في التليفون ، فلم يعجبني صوتها .

— يا ستى لعنك واهمة .. وعلى كل حال اطلبوها ثمانية الليلة

أو غدا .. واذا شئت سافرى اليها .

— وكيف أسافر ؟

— ولم لا ؟

— وجعفر ؟

— خذيه معك إذا اقتضى الأمر ..

— الولد صحته لا تحتل السفر .. على كل حال سأكلّمها ثانية .

— لا تشغني نفسك بلا سبب .. لعلها كانت نائمة وأيقظتها

بالتليفون ..

ودخلت الخادم تنبئ وصفي أن سليمان في انتظاره ، فتعجب

بعض الشيء ، ثم قام للخادم :

— سأنزل اليه .

وانصرفت الخادم . وعاد وصفي الى مداعبة ولده ، وطمأنه

زوجه ، ثم قام الى سليمان .

وبينما هو في طريقه الى الدور الأسفل ، لقيته أم وديدة على

السلم . فقال لها في لهفة :

— هيه .

فهيأت أم وديدة رأسها نفيسا ، فلم يزد ، ونزل الى سليمان .

لقى سليمان وصفي بترحاب كبير ، فأدرك وصفي أنه يريد

منه أمرا ، ولكن أخفى ادراكه هذا ، وراح يجيب الترحاب

بترحاب .

— والله يا وصفي أنت لا تعرف كم فرحت بانتخابك سكرتيرا

للمجلس .

— يا أخي المسألة لا تستحق فرحا .

— كيف .. ثقة زملائك بك ، وبلوغك الى هذا المنصب ، وأنت

في سنك هذه لا تستحق فرحا .



— لا تسكبر المسألة يا سى سليمان . المهم عندنا أن نستطيع  
الحكومة عمل شيء مع الانجليز . أما أن أكون سكرتير المجلس  
أو لا أكون ، فوحياتك ما اهتممت بهذا ، ولقد اعتذرت وبالغت  
في الاعتذار ، ولكن اخواني ألحوا فقبلت . على كل حال أشكرك  
على زيارتك . . . كأنما كان لا بد لك أن تجد سببا لقرورنى . . . أين  
أنت يا أخى ، ولماذا تخفتنى هكذا عنا ؟

— والله الوظيفة يا وصفى تبضع وقتى كله .

— وكيف رضاك عن الوظيفة ؟

— وهل رأيت صاحب حق ينال حقه فى هذا البلد ؟

— لماذا كفى انك الشر ؟

— يا سيدى الوزارة تأبى ألا أن تساوينى بزملائى الذين  
عينوا معى .

— وما البأس فى ذلك ؟

— ما البأس ؟ ! يا أخى أنا سافرت لأوروبا ، وفلنت شهادات  
من أعظم الجامعات هناك .

— آه . . من هذه الناحية أظن أنك محق .

— بالله يا وصفى — ان كنت لا ترى بأسا — كلم الوزير ،

فهو صديقك ، وما أظن أنه سيخيبك رجاء .

— أكله بكل سرور .

— أشكرك . . ومتى تتناول الغذاء عندى .

— وما المناسبة ؟

— المناسبة ؟ ! وهل لا بد من مناسبة ؟

— لا .. أبدا .. فى أى وقت .. ؟

— بعد غسد \*

— وهو كذلك .. نقبل هذه الرشوة يا سى سليمان من أجل

خاطرك \*

— يا أخى العفو .. يا ليتك كنت ممن يرشون ، اذن لأرحت

قوما كثيرين \*

— نعم .. وتعبت أنا \*

— أبدا وحياتك ، الرشوة تتعب فى المرة الأولى تعباً بسيطاً ،

ما تلبث الرشوة الثانية أن تمحوه ، أما الرشوة الثالثة ، فهي

الراحة والهناء والمال والسعادة \*

— الله .. الله يا سى سليمان ، تتكلم كأنك خبير !

— خبير بماذا ؟ .. وظيفتى ليس فيها ما أرتشى عليه \*

— فاذا كانت ؟

— فيها نظر \*

— احذر يا سليمان .. الرشوة كالقتيل ، تفتقن يوماً أو بعض

يوم ، ثم ما تلبث الرائحة النتنة أن تفوح منها \*

— يا عم صل على النبى \*

— عليه الصلاة والسلام .. ولكن هذا هو الحق \*

— المرتشون يملأون المناصب الكبيرة \*

— ولكن لا يحترمهم أحد \*

- بـ ويحترمهم الجميع وحيث أنك •
- لأنهم يرجون منهم خيرا • فهم يظهرون لهم الاحترام ، ولكن لا يكونون لهم الا الاحتقار •
- وماذا يعرف الناس عن ضماير الناس • • المهم ما ظهر ، وأما ما خفى فالله به عليم •
- الاحترام • • أعظم الاحترام • • أن يحترم الانسان نفسه ، ويعلم أن الناس يحترمون في دخيلة نفوسهم ، كما يحترمون في ظاهر أمرهم • ولا تصدق أن انسانا يكبر وسمعته دلوثة • • ولا تصدق أن انسانا يكبر بغير احترام •
- نعم • • نعم • • أعرف مثلك العليا •
- هذه ليست مثلا عليا • • انها المستوى الطبيعي للأخلاق وما أقل منها سفاهة • • المثل العليا سمو عن طبيعة الأخلاق • • ليست الأمانة مثلا أعلى : وانما هي طبيعة • انتشار الفساد جعل هذه المعاني العبادية مثلا عليا • • لا تعتقد أنك حين تكون أميناً تستحق المديح ، فهذا هو المفروض •
- فما المثل العليا إذن ؟
- أن أترفع بالمستوى العبادي للأخلاق • • أن أعطي كل ما معى لفقر مثلا ، وأظل بلا مال ، أن أضحي بحياتي في سبيل الصالح العام •
- هذا تهور •
- بل هذه هي المثل العليا • • لا عليك ان لم تبلغ اليها ، ولكن عليك ألا تسفل •
- يا أخى أنت لا تعرف شيئا عن الدنيا •

— لسل دنياه يا سى سليمان .. تلك هى الدنيا التى أعرفها ..  
النهاية ، لقد جعلتنى ألقى خطبة طويلة وأنت لا تحب الكلام ، أنت  
رجل مهندس تضع القلب على القلب فتبنى بيتا .  
— أما تزال تذكر .. يا أخى .. يا أخى ارحم الناس من لسانك .  
النهاية . لا تنس الغداء عندى بعد غد .  
— وهو كذلك .

واستأذن سليمان وانصرف ، وفى الطريق راح يفكر فى هذا  
النجاح الذى أصابه من زيارته تلك ، فهو قد ضمن أن وصفى  
سيكلم الوزير بشأنه فى غد ، لأنه من غير المعقول أن يأتى للغداء  
عنده دون أن ينبئه بما تم عند الوزير ، وقد قصد سليمان أن يكون  
الغداء بعد غد ، حتى يتروك له الغد ليلقى فيه الوزير ، وسليمان يعلم  
أن مثل هذا لا يخفى على ذكاء وصفى ، وسليمان مسرور بنجاحه  
هذا أيضا ، لأنه لن يخسر فى هذه الدعوة شيئا ، فزوجه هى التى  
ستقوم بأعداد الغداء .. وسليمان مسرور أيضا ، لأن هذه الدعوة  
ستوطد الصداقة بينه وبين وصفى ، وهى صداقة يرى أنه أصبح  
محتاجا لها دائما . نجاح باهر اذن الذى أصابه فى زيارته تلك . وهو  
مصمم على تمكين هذا الانتصار والمحافظة عليه . وبلغ سليمان  
القصر ، فوجد زوجه كما تركها ، لم يزد عليها الا ابنتها هناء ، وقد  
تركت لها صدرها تقبلها فيه هذه القبة الطويلة التى تثير الغيرة فى  
نفس أحمد .

— يا ستى ، وصفى سيتناول الغداء عندنا بعد غد .  
ونظرت اليه سهر نظرة طويلة لم يرها هو ، ولو كان رآها لمسا  
فهم منها شيئا .. وكيف له أن يفهم . انه لا يفكر فى شيء الا أن

يبلغ من نجاحه اقصاده ، والا ان يمكن هذا النجاح فيستقر به  
المكتم ، ونرسخ أقدامه في اعماق مستقبله \* لا نسيء الا هذا . وهل  
الحياة الا هذا \* \* ينظر الى سهر ويفول :

— سهر \* \*

فتجيبه سهر بعض مفيقة :

— نعم \*

— ما المانع أن تقابلي وصفي ؟

وأفاقت سهر الى زوجها افاقة تامة :

— ماذا ؟

— وما المانع ؟ انه ابن عمك \*

وقالت سهر في لهجة من لم يسمع : وفي غير استتكار :

— ماذا ؟

— أقول انه ابن عمك \* \* وأنا رجل درست في أوروبا ، ولا أوافق

مطلقا على هذه الرجعية \*

— ولكن رأيك هذا لم تبدد الا اليوم \*

— نعم لأنه سيتغدى معنا ، ولا أرى معنى أن يأتي ابن عمك

الى هنا ، وتقفل أنت الباب في حجرتك ، وأظل أنا وابن عمك

وحدهما \*

— لا أرى في ذلك بأسا ، الا إذا كنت ترى في مقابلتى له فائدة \*

— الحقيقة نعم ، أرى في ذلك فائدة \* \* فأنا لا أجيد الكلام \* \*

ولن تمر دقيقتان حتى أجد نفسي عاجزا عن الحديث معه \*

— من هذه الناحية \* \* اطمئن ، فهو الذي سيتكلم \* \*

ثم استدركت قائلة :

— فانهم يقولون انه كثير الكلام \*

وأصابته نفسها غصة أن اضطرت الى مهاجمة ووصفى لتعمى  
على زوجها فقالت :

— ويقولون ان حديثه جميل .

— نعم ولكن بماذا أجيب حديثه .. انه يتكلم فى أمور لا أفهمها  
ولعلك أنت أن تفهميها .. فانك منذ تزوجنا وأنت لا تكفين عن  
القراءة .. أنت تقرئين الجرائد ، وهو يكتب فيها ، وأنت تقرئين  
كتب الأدب ، هو يهوى الأدب ، ولن يخرج حديثه عن سياسة  
وأدب .. وأما أنا فلا أحب السياسة ولا الأدب .

— وماذا يقول الناس يا سليمان ؟

— الناس .. وهل تنتهى أقوال الناس .. الناس عندك هم أنا .  
وما دامت أنا موافقا فلا شأن لك بالناس .

— أخشى أن يقولوا انك جعلتني أقابله ، لأنك تريد الدرجة .

— بل جعلتك تقابلي ، لأنه ابن عمك ، وأنا لا أوافق على الحجاب .

— ولكن تعلم أنه هو رجعى ، ولن يسمح لزوجته بمقابلتك .

— لكل رأيه يا ستي ، هو من أنصار الحجاب ، وأنا من أنصار

السفور .

— هذا رأيك ، ولكنك تنسى العائلة وكثرة كلامها ، وتنسى أن

رأيك هذا لم يظهر الا مع ظهور رغبتك فى الدرجة .

— سهر .. الحقيقة أننى لا أريد لك هذا الحجاب اطلاقا ..

ولن تقتصر مقابلتك على وصفى وحده ، بل اننى أحب أن تقابلى

الجميع .. اننى رجل متعلم فى أوربا ، ولا أحب هذه الهمجية .

لا يا ستي انك ستقابلين الجميع .. الجميع !

وارتفع صوت سليمان كأنه رجل ، وأحبت سهير أن يظهر  
سليمان حماسته في هذا الأمر بالذات ، فقد كانت تريد أن تقابل  
وصفى ، بل انها كانت تتوق الى هذا اللقاء ، ولكنها تريد أن تدفع  
اليه دفعا عنيفا يهيء لها أن تقول لنفسها انها لا قبل لها بالنكوص ،  
كانت تريد أن تعتذر لكبريائها عن هذا اللقاء ، وها هو ذا زوجها  
يدفعها ، وانه زوجها ، فماذا يمكن أن تقول له .. انها ستلقى وصفى  
وأمرها الى الله ..

وصمت سهير ، وأدرك زوجها أن صمتها موافقة ، وارتاح  
خاطره ، وهدأ الى مستقبل زاهر تلوح له بشائره ، فهو يعلم أن  
وصفى اذا لقي سهير سيطيب له أن يكثر من الزيارة ، وهو يعلم  
أن زوجته شريفة ، ويعلم أن وصفى أمين الضمير ، فهو لا يخشى من  
اللقاء منبة ، ولو كان يخشى ما أصر على هذا اللقاء ، ولكنه يعلم  
أن سهير تحب الأدب والسياسة ، وتستطيع أن تكون طرفا في  
الحديث يلقيه وصفى ، ويعلم أنه بهذا يحب بيته الى وصفى ، وهو  
يأمل أن يحب وصفى بيته ..

وقامت سهير الى حجرتها ذاهلة النظرة ، شاردة الفكر ، أحقا  
ستلقى وصفى .. وصفى .. هذا الخائن الذي ألقى بها الى أعماق  
هذه الحياة التي تحياها وتصلها ، ويلتهب سعيها في كل أيامها ،  
وصفى .. ستلقاه .. انها ستنتقم .. ستنتقم .. ولكن ما الذي يكفى  
لانتقامها .. أنتقله .. وصرخت نفسها .. لا .. ثم سخرت منها  
نفسها .. وهل أستطيع .. إذن .. إذن ماذا ؟ .. ماذا ماذا ؟ .. كيف  
أنتقم .. أتجاهله .. وكيف أستطيع ؟ سيكون ثاني اثنين : أحدهما  
أبكم فكيف أستطيع أن أتجاهله ؟ وماذا سيقول زوجي ، انه ليس

غيبا . الا يجوز أن يدرك من نجاهلى ما كان بينى وبين وصفى ؟  
ربما ، ظن اننى أتجاهل وصفى . لأننى غاضبة لزواجه من غيرى ..  
اذن .. إذن لا سبيل لى الا أن أترك نفسى على سجيته .. سجيته ..  
سجيه نفسى .. الأخادع نفسى ، اننى لو تركتها على سجيته لظهر  
ما تخفيه من .. من حب .. حب عميق ، زاده عمقا هذا الألم الذى  
أقاسيه فى ظلال رجل قائم ، مظلم ، أصم النفؤاد .. على سجيته ..  
ويلى من نفسى .. ويلى من حبى .. أبدا لن تكون نفسى على سجيته  
فى هذا اللقاء .. أبدا لن تكون ، وكيف لها أن تكون . وأنا مع  
اثنين ، أحدهما أضاع آمال شبابه وحياتى ، وأضاع الآخر شبابه  
وحياتى جميعا . وكيف لها أن تكون . وأنا أجلس الى اثنين ،  
أحدهما ألقى بى الى السعير ، والآخر هو السعير ذاته ، ألقى  
وصفى .. سألقاه ، فما هذا الليل الطويل الذى يفصلنى عن لقاءه ،  
بل هناك نهار آخر وليل آخر ثم اللقاء ، لماذا لا يستمر هذا الليل  
ليلا أنامه ، فلا أصحو الا على لقاءه ، أو لماذا لا يظل النهار نهارا  
ألهو فيه عن شوقى بأطفالى حتى ألقاه .. لماذا ؟ .. لماذا ؟ انها  
الحياة .. لذتها أن تسير هى طريقها المرسوم ، بسرعتها المرموقة ،  
بليل يخلف نهارا ، ونهارا يخلف ليلا ، ونتمنى نحن وننتظر ، نتحرق  
شوقا وننال ونمنح ونمنع .. وتظل الحياة سائرة ، لا شأن لها بما  
نريد أو ما نأمل .



## ( ١٢ )

تسير الأمور في الطريق الذي اراده لها سليمان ، فقد جاء  
وصفى في موعد الغداء ، وقصد الى حجرة الجلوس التي يعرف  
الطريق اليها تمام المعرفة ، وبعد هنيهة فتح الباب وفي انفراجته  
رأى وصفى .. من ؟ ! سهير ؟ ! سهير .. ومن ورائها سليمان ..  
ماذا فعلت بى يا سليمان .. حملق وصفى دهشا ، حتى كاد لدهشته  
ألا يستطيع قياما عن كرسیه !

وأقبلت سهير جامدة الوجه لا تبين نأμάτωνها عن خلجة تشف  
عما يصطرع بنفسها من حب ، وغیظ ، وشوق . وإقبال ، واحجام ،  
وتساؤل ، واستسلام ، وتقدم سليمان فى بلاهة ومحاولة مقیسة  
للتظرف :

— أقدم اليك ابنة عمك التي لم ترها طول حياتك .

وجمع وصفى على شفقيته « أهلا وسهلا » مترددة حائرة ،  
لا تكاد تبين ، وجلس ثلاثتهم . وسليمان أثبتهم جأشا ، وأروجهم  
نفسا ، لا يدري ما يمحور فى نفسيهما من تيارات ان اختلفت فى  
مجراها ، فهي مندفعة عن معين واحد ، نابعة من خلجات متشابهة ،  
وراح سليمان يثرثر بحديث لم يع واحد منهما شيئا منه ، حتى  
اذا فرغ عقله من أى حديث ، لم يجد شيئا يقوله ، صمت ، فانتبه  
كلاهما الى الصمت الذى ران عليهم ، وانتفض وصفى متمالكا أمر  
نفسه فى دربة ، وقال لسليمان :

— مبروك يا سليمان .. ذهبت الى الوزير وسيمنحك الدرجة ،  
ان لم يكن قد منحك اياها فعلا .

— يا سيدى متشكر .

— وهل بيننا شكر ؟

— سأكلم أحد أصدقائى فى المستخدمين لعلى أجد عنده خبرا .  
وقام سليمان فى فرحة غامرة وخلت الحجرة بالمحبين ، وفى عيني  
سهير تسأول ، وفى وجهه وصفى حيرة ، ولم يجد وصفى شيئاً  
يقوله الا :

— كيف أنت يا سهير ؟

وجاهدت سهير نفسها حتى تقول :

— الحمد لله يا وصفى .

ثم جذبت شهقة من أعماق نفسها لتقول ثانية :

— الحمد لله .. وأنت كيف حالك ؟

— الحمد لله .

— وكيف حال هند وجعفر ؟

— بخير .. وأولادك ؟

— الحمد لله .

وران الصمت عليهما .. لم تستطع سهير أن تسأل .. لماذا فعلت  
ما فعلت ، ولم يستطع هو أن يبين .. ضمت كلاهما ، وصفى يعلم  
ما يدور بنفسها ، وهى لا تعلم الا أنه يدرك ما يدور بنفسها ، ثم  
لا تعرف جوابا على هذا السؤال الذى ظل أعواما يلح عليها فلا تجد  
له جوابا شافيا .. أو لعلها تعرف الجواب ، ولكنها أيضا تعرف  
أن وصفى لن يستطيع أن يطالعهها بهذا الجواب الذى تعرفه ..

ماذا تراه قائلًا .. أيقول لها أنه لم يعجبه منها أن تلتقي به قبل  
الزواج .. ماذا تراه قائلًا .. انها تريد أن تسأله .. تريد أن تلو  
لباقته الى درب عليها في ميادين الأدب والسياسة والمجتمع ..  
كيف سيفسر لها هذا الشقاء الذي ألقى بها اليه ..  
وفجأ قال وصفى :

— سهر أريد أن ألقاك ..  
وذلت سهر لحظة ثم قالت في تخابث وعدم ميالة :  
— هأنذا تلقاني .  
— وحدنا .. في مكاننا .. هناك عند المقارب .. اليوم . الساعة  
السادسة من مساء اليوم .  
وقبل أن تقول « لا » دخل سليمان فراح وصفى يتكلم . وكأنه  
يكمل حديثا لم يقطعه دخول سليمان .  
— بل ان الشاعر الذي يقول :  
وقد يجمع الله الشئتين بعد ما يظنان كل الظن ألا تلاقيا  
أحب الى من الشعراء المتشائمين .. فالأدب عندي متعة ..  
والنفاؤل أجدر بالشعراء .  
وقال سليمان :

— ماذا ؟ ! فتحتم باب الشعر .. لا مكان لى اذن .  
وقال وصفى :  
— هيه ؟ ماذا قالوا لك في المستخدمين ؟  
— يا سيدى ألف شكر .. لقد أمر الوزير بترقيتى .  
ونظرت سهر الى سليمان ، ثم نظرت الى وصفى وكأنما تشهد  
على ما فعله بها ، ثم قامت من الحجرة .

وحين أقبلت سهر لتدعو الضيف وزوجها الى الغداء ، ثم يلحظ  
سليمان بينما لحظ وصفي جفونها المخضلة ووجهها الشاحب  
لقد سكبت بعض دموع مكنتها من أن تتمالك نفسها وتجلس الى  
ضيفها الحبيب ، فتجري الحديث في بساطة ورقية ، حببت اجلسة  
اليه ، تحدثا في كل شيء .. في السياسة وفي الدور الذي يلعبه فيها ،  
ووجدما على علم دقيق بكل خطواته في هذه السنوات التي غابها  
عنها .. هيه يا حبي الأول الكبير . ان زوجتي التي لا تفرقني  
يوما لا تعرف عني ما تعرفين .. رحمتك في بلواك فمن يرحمني في  
بلواي .. اني أعيش في بركة هادئة ، صافية هذه انبركة ، ولكنها  
راكدة ليس فيها تيار ، ولا هي مشوبة بقذى ، وهذا الهدوء فيها  
وهذا الصفاء هو أتعس ما ألاقه في حياتي ، ركود يصدر عن  
الغباء ، وصفاء لا يبتعته الا الجمود . وأشد ما أعاني في حياتي  
أنى لا أجد شيئا أذمه فأشكو وأستريح .. ان زوجتي سدت على  
منافذ الشكوى بطاعة عمياء ، وأدب بالسخ أقصى المدى ، فمم  
أشكو ؟ وماذا أقول .. رحمتك يا سهر فمن يرحمني .. هي الحياة  
في بيتي أقطعها رتيبة النعمة لا تتغير ، ان دخلت بيتي قطعت ما بيني  
وبين الحياة ، وأصبحت لا شيء الا زوج هند وأبا جعفر ، فلا هند  
تعرف عن شأني في الحياة شأننا ، ولا جعفر يفهم ما أبوه صانع  
ان هند في البيت شأنها شأن جعفر ، كلاهما طفل .. مطيع كلاهما  
هاديء ، ولكن طفل .. أما أنت .. أنت فحياة .. أنت التي كنت  
جسديرة أن تهبي للنصر معناه حين انتصر في المعترك ، وأنت التي  
تشفين جراح الفشل حين الفشل .. أنت معنى النصر ، ولسم  
الجراح تخلفت عن الصراع ، وحياة الحياة التي أحياها ، والنعمة  
العذبة في كل معنى يطالعني ان يكن فرحا ، فأنت النعمة الفرحانة ،

أو حزنا فانت النعمة الآسية .. وأدركت سهر ما بنفسه .. قرأته  
في عينيه .. عينيه الحلوتين . هاتين اللتين تستطيع فيهما أن تقرأ  
ما وراءهما .. فيهما شفافية حبيبة وطالما افتقدت الشفافية في عيني  
زوجها فلم تجدها .. طالما نظرت الى عين سليمان وأنعمت النظر ،  
فما زادها الانعام الا عجبا .. كيف يرى سليمان بهاتين العينين ..  
انهما مطلقتان .. لا نور فيهما ولا حياة .. بل ان وجهه جميعا جامد  
صلب لولا أن صاحبه يسير جيئة وذهوبا . لما عرفت ان كان ميتا  
أم حيا .. ويلى .. لماذا يحيا وجه سليمان كما يحيا وجه وصفى ..  
الحياة كلها هنا في هذا الوجه .. انها طالما أنعمت النظر في وجه  
وصفى وعجبت كيف لهذه الحياة جميعها أن تموج في وجه واحد  
فقط ، حتى ليخيل اليها انه ليس هناك حياة الا في هذا الوجه ..  
على شتاياذ غرحتها وغصبتها واقبالها وادبارها .. المعانى كلها هنا  
في هذا الوجه .. لماذا أيها الوجه .. لماذا فعلت بى هذا .. ما الذى  
جنيت ؟ .. لم أجن — علم الله — الا حبك . وانه لجناية أنا وحدى  
من صليت أخلافها وعواقبها .

وقاربت الساعة الخامسة . وقام وصفى . ولولا موعد تهنؤ له  
نفسه ما قام ..

انه ذاهب الى مواعده لا يدري ان كان سيلتقى هناك مع نفسه  
وحدها ، أم أنه سيلتقى أيضا مع هواه القديم الجديد .. ولكن  
بحسبه أن يلتقى مع نفسه هناك .. بحسبه ذاك ، فهو ذاهب ..  
أما هي ..

ركب وصفى سيارته . وأمر سائقه أن يسير دون أن ييسر له  
عن هدفه ، حتى إذا اقترب من مكان يستطيع منه أن يستأجر قاربه ،

نزل وأمر السائق أن ينصرف الى البيت ، وذهب الى النيل ،  
واستأجر قارباً وأمر صاحبه أن يسير به في اتجاه القصر .. انه الحب  
يعود .. يعود بجميعه حتى بهذه الأفعال الطفلة التي لم يقدم عليها  
يوماً وان يكن قد سمع بها سماعاً .. لقد نسي في غمرة من أمواج  
حبه من هو .. نسي أنه النائب الخطير الذي يهتز الوزراء من نقده ،  
ويرجف أعداؤه من هجومه ، ونسي أنه أحد هاته الرموز القليلة  
التي يتمثل فيها جهاد شعبه ضد الاحتلال ، نسي هذا جميعه ولم يعد  
يذكر من أمر نفسه الا هذا الخافق الذي عاد اليه الوجيب أعنف  
ما تكون العودة ، فهو في طريقه الى هواه .. الى ماضيه ، بل انه  
في طريقه الى الحاضر .. الحاضر الذي كثيراً ما تمنى لو أنه حققه  
لنفسه .. لقلبه .

هاذى القارب قارب عمه الراسى هناك ، ونزل الى المرسى  
وطلب الى صاحب القارب أن يعود اليه بعد حين .

جلس وصفى في مكانه المعهود والبيت الذي ألقاه عفو الصدفة  
يطن في خاطره في اصرار عنيف لا يبتغي عنه حولا .

وقد يجمع الله الشئتين بعد ما يظنان كل الظن ألا تلاقياً

وفي البيت يدور في ذهنه كتغمة تعودتها الأذن فما تحس بها ،  
وراح وصفى يفكر فيما كان من الأيام التي تفصل بين هذه اللحظة  
التي هو فيها وبين آخر مرة كان فيها هنا .

وفي القصر جلست سهر وحدها .. أتذهب .. أتلتقي به هناك ..  
لا .. لن تذهب .. ماذا أفادت من هذا المكان ، ومن هاته اللقاءات  
التي كانت فيه ، لا شيء الا الحسرة والألم والحزن .. ولكن أكان



الحزن نابتا من اللقاء أم من انقطاع اللقاء .. طريق واحدة .. اللقاء  
أسلم الى عدم اللقاء الى الحزن .. الحزن منتهاه والألم والحسرة ..  
ما الجديد ؟ أهى المرة الأولى التى يدعوك فيها الى اللقاء بعد  
زواجك .. ليست الأولى ، لقد طالما جاءت اليك أم وديدة بموعد له  
فرددتها .. نعم انك لم تطرديها ولكنك رفضت موعدا .. لم تمنعيها  
من دخول البيت . لأنه كان يطيب لك أن تعرفى أنه يفكر فيك وأنه  
يريد لقاءك .. ولكنك كفت ترفضين اللقاء .. فلماذا تريدين هذا  
اللقاء اليوم ؟

ماذا تريدين من الذهاب .. مكانك .. لا تذهبي .. مكانك  
فكبرياؤك أعظم من هذا اللقاء . وكرامتك أغلى من هذا الحب ..  
فهو للحب اذن .. نعم وأدريه .. غلاذهب اذن .. انه الحب يدعونى  
وهو كل شيء .. حب أبتى لا يلاقيك فيه .. حب بلا أمل .. بلا أمل ؟  
من يعرف المستقبل ؟ من هذا الذى يستطيع أن يؤكد أن لا أمل ؟  
وأين لى بالأمل .. مكانك .. فقد مرت السنين ، وأخشى أن ينفض  
القلب أغلفة الأيام . ويصبو الى هواه الأول .. ويحك ! ان الأيام  
لم تغلف قلبك . انه ما زال الى حبه الأول يرنو عصى الجمحات ،  
واله الخفق . ملتهب الحنين . مكانك فلن تريدى قلبك الا جموحا  
وخفقا وحنينا . وهل ثمة زيادة للمستزيد .. مكانك فلا أمل ثمة  
الا سراب . ولا شيء هناك الا ألم .. لا .. لن أذهب .. ونظرت الى  
الساعة : فاذا هى السادسة والنصف ، فحزمت أمرها على  
ألا تذهب .. ولكنها لم تر بأسا أن تنزل الى الحديقة وتسير فى  
طرقاتها تحاول ما وسعها الجهد ألا تعود الى ذلك النقاش مع  
نفسها .. وسارت تفكر فى ألا تفكر فى موعدا .. وعصيت الخطى



تفكيرها ، فإذا هي عند السلم .. وإذا هي دون وعى تتفرض الحديقة  
بعينها ، ثم تسلم الى السلم أقدامها ..

— سهير \*

— وصفى \*

وأتمت على المقعد الحجري ، وألقت برأسها الى راحتها ،  
وانطلقت في بكاء ، يعلو نثيجه في صدرها ، حتى إذا أراد أن ينفجر  
كتكمه حذر وكبر \*

وارتمى وصفى إلى جانبها حائرا تسيل الدموع على وجهه فياضة  
السكب ، صامتا ملقيا برأسه إلى قبضته . ناظرا إلى الأرض لم يجد  
غيرها يحتمل نظراته \*

وطال بهما الصمت والبكاء لم يفيقا إلا على صوت يأتيهما من  
النيل :

— يا بك \*

ولم يجب أحدهما ، ولكن الصوت ألح :

— يا بك .. القارب يا بك ..

وبقام وصفى إلى حافة المرسى ، فوجد القارب وبه صاحبه ، فنفضه  
مبلغا من المال ، وطلب إليه أن يعود بعد حين آخر .. وعاد إلى  
سهير ، فوجدتها ترقأ دمعها وهي تقول :

— لماذا ؟ لماذا يا وصفى ؟

— ماذا تريد أن أقول !!

— لماذا ؟

— حمق وجهل وطفولة ورعونة \*

— ولكك أضعت حياتنا .. ألقيت بي إلى الشقاء والبؤس والألم

والحسرة .. حياتى كلها أضعتها .. لماذا لقيتني ما دمت كنت تتوى  
آن تفعل بى ما فعلت .

— سهر .. إننى أحاسب نفسى حباباً أشد عسراً : فدعيتنى  
وما بى ، ولا تريدنى ألماً وحسرة .

— ماذا تريدنى أن أقول .. ماذا تنتظر منى أن أقول .

— سنوات مررن لم فلتى . ألا تجددين شيئاً تقولينه ؟

— سنوات مررن .. لا .. لم تحسها أنت .. لقد شغلتك الحياة  
عن السنوات تمر ، أما أنا فقد أمضى كل يوم من هذه السنوات ،  
بل لقد شقيت بكل لحظة فى كل يوم من هذه السنوات .. حرمت  
فرحة الزواج : بل شقيت بهذه الفرحة ، وحرمت فرحة الأمومة ،  
وأنا أم لطفلين . كلاهما جميل .. أحبهما ولكنى لم أفرح بمجيئهما ..  
حرمت كل شىء جميل ، وكل شىء حولى كان حرياً أن يكون جميلاً  
لولاك .. لولاك الذى تجيء اليوم تقول لى فى سهولة ويسر حق  
ورعونة ، ولتقول لى سنوات مررن ! ماذا تدرى أنت عن هذه  
السنوات ؟

— أدرى الكثير ، أدرى الألم كلما خلوت إلى نفسى أو إلى بيتى ،  
أدرى أنتى لم أستطع أهوى زوجتى أو أرى فيها غير زوجة بلا حب  
جامح عرفته لك ولم أجده لها .. ظننت الحب يأتى هونا مع الأيام ،  
فاذا المودة هى التى تأتى لا الحب .. عرفت الليالى الطويلة ،  
تصطرع حولى الأحداث ، وأجاهد ما وسعنى الجهد ثم أعدم فى بيتى  
اليد المؤاسية والعقل الذى يعى جهادى . والأحداث والصراع ..  
أحسست السنوات بطيئة ، وانية الخطو ثقيلة الليالى .  
— عرفت الليالى ؟! .. لعك عرفت ساعة من ليلة أو ساعتين ،

أما أنا فالأيام والنيل والدفائق واللحظات .. سوداء كلها بلا صراع  
ولا أمل ولا حياة ولا شيء .. ماذا عرفت أنت ؟

— بعض هذا يا سهير .. بعض هذا .. كلاكنا شقى ببيته .  
— وماذا تريدنا أن نفعل ؟

— أما أنا فبيدي أن أفعل ، فهل تستطيعين أنت ؟  
— ماذا .. إلى أى هدف ترمى ؟

— أنا فى حياة لا أطيق المضى فيها .  
— وأنا فى حياة لم أطق العيش فيها .  
— سليمان سهل .

— لا .. ليس سهلا .  
— تعرفين ضعفه .

— المال والبنون .  
— والبنون ؟ !

— إذا كانوا لا يكفون مالا .  
— قولى له لا أحبك .

— إنه يعرف .  
— قولى له لا أطيق العيش معك .

— أتظننى أستطيع ؟  
— ألا يستطيع حبك لى وكرهك له ؟

— لا أدرى .  
— اجعلنى له من المال ما يريد .

— يرضى .  
— إذن .

— وأنت ؟

- أطلق زوجتى ..
- إذن •
- فالليلة تخبرين زوجك •
- أدع لى أن أستطيع •
- حينئذ أقوى من الخوف ومن الاشفاق •
- أظننى غدا فى التليفون •
- فإلى الغد •

وقامت سهر إلى القصر ، وظل وصفى فى مكانه ينتظر القارب ، وهو شارد الذهن حيران اللب ، يجمع أمره على أمر ويخشى عواقبه فيمحو عنه الخشية حب جامع وملالة من حياة يقطعها وأمله فى جديد من الحياة •

ويصل وصفى إلى منزله ، فيجد البيت خاليا .. ماذا ؟ وكأنما خشى أن كون زوجته قد أدركت مكان من أمره • ثم ما يلبث أن يعرف أن أم زوجته تعاني أزمة مريضة ، فلم تجد زوجته بدا من السفر دون أذنه • فقد أدركت من إرساله للسيارة أنه سيطول به السهر خارج المنزل ، فركبت السيارة ، وسافرت لم تنتظر •

خلا به البيت .. انقطعت الرتبة التى كان يشكوها .. طابت نفسه بعض الحين بفراغ البيت .. إنه يستطيع أن يفكر .. وهل يحتاج إلى تفكير .. لقد استقر إلى رأى .. ولكن .. ولكن .. مشوق لجعفر .. بل إننى أريد أن أرى زوجتى .. لماذا ؟ أتحبها .. لا أدري .. لا تدري ففيم كل هذا ؟ .. ففيم تريد أن تفصل أما عن أولادها .. لقد جنيت عليها فى أول طريقها إلى الحياة ، فجاءت

بهم • وتريد أن تجنى عليها ثمانية بالانفصال عنهم من أجل فكرة  
لا تدري إن كانت قائمة في نفسك أم غير قائمة • لا أدري • ولكنى  
أريد أن أرى زوجتى • أهى لهو هذه الوشائج التى تقطعها ،  
وهذه الآمال التى تمرقها • أهى عبث أطفال • إنها الحياة •  
إنها آمال قوم ، ومستقبل أطفال سيظالمهم غدا بحديث أم تركتهم  
من أجل رجل آخر ، ومستقبل طفل هو طفلك سيلقاه الزمان وهو  
مجرد من حنان الأبوة الذى نعمت أنت به والذى صرت بفضله  
إلى ما صرت • ألا تدري • ألا تدري ؟

ومد وصفى يده إلى التليفون ، وأدار القرص ، دورة واحدة ،  
وطلب من الترنك أن يصله بعزبة زوجته •

## ( ١٣ )

دلفت سهير إلى القصر فوجدت القصر مائجا ، فالخادمت رائحات غاديات في شغل عنها شاغل ، فممن من تحمل زجاجة وتهول بها ، وأخرى ممن تقف إلى جانب التليفون في ذعر لا تكف يد لها عن إدارة القرص ، بينما انهمكت اليد الأخرى في وضع السماعة ورفعها في حركة آلية ليس فيها من فهم أو عقل .. ووقفت سهير في البهو حائرة تلاحق كل سائرة ، أو مشغولة بعينيها ذاهلة النظرة ، مفتوحة الفم ، لا تملك أن تضم شفيتها لتكون سؤالاً واحداً يشرح لها الجواب عليه هذا الذعر الذي يسود القصر .

واستطاعت إحدى الخدم أخيراً أن تجمع شتات نفسها وتراها وكأنما انتشلت الخادمة من وهدة عميقة الحيرة :

— ستي .

— خير يا نبوية !

— سيدى أحمد يا ستي .

ولم تزد الفتاة ، وما كانت بحاجة إلى زيادة ، فقد اندفعت سهير في ثورة مجنونة إلى حجرة ولدها :

— ابنى .. ابنى .

ووجدت ولدها صاحب الوجه ملقى لا حراك به على الفراش ، وقد تفتحت عيناه لا تريان شيئاً ، يجتذب أنفاسه وكأنما ينازعه

عليها خصم عنيف قوى الأسر ، فما يكاد صدره يخرج إلا حشجة  
مجهودة متقطعة غير مكتملة • وارتمت أمه بجانبه :

— أحمد • • مالك يا أحمد ؟

ولو كان أحمد يستطيع نطقا لما كان هذا الذعر الذى انقض على  
القصر • وقالت الأم :

— دكتور • • أين الدكتور ؟

وجاءت الخادمة التى كانت بجانب التليفون وهى تقول لاهة :

— طلبته يا ستي ، سيأتى حالا •

وفزعت الأم إليها :

— طلبته ! ألم يذهب أحد إليه • • أين السيارة ؟ • • أين عم

ذهب • • لماذا لم يذهب إلى أى دكتور فى الجوار ؟ دكتور ؟ • •  
أما زلتن واقفات • •

وانتبهت الخادومات إلى صراخ سيدتهن ، فتسارعن إلى السلم

يدعون عم ذهب •

وجلست الأم إلى جانب ولدها • • ولدى • • إياك أن تتركنى • •

إنك كل شىء لى • • إنك أنت • • أنت وحدك الذى أحيا له وبه • •

ولدى • • إياك أن تتركنى • • إننى الوحيدة بين الأمهات التى منحت

وليدها ما منحت • • لقد تلقى الأخريات أولادهن وحب آبائهم

يكلا الجميع • • أما أنا فعانيت من أجلك يوم حملتك ، وعانيت من

أجلك سنوات طويلا عشقتها إلى جانب أبيك من أجلك • • لم أترك

أباك فى كل هذه السنين من أجلك أنت • • حياتى الماضية أنت

والمستقبل وما بعد المات ، فالى أين تاركى • • أحمد • • لولاك

لكنك تركت أباك من زمن بعيد .. أحمد .. أنت لا تدري ما أنت لى .  
 الأمهات حياتهن موزعة بين أزواجهن وأولادهن .. أما أنا .. أنا  
 وحدى بين كل الأمهات التى تتمثل حياتها فى ولديها برغم أبيهما ..  
 أنت جهادى لنفسى السنوات الطوال ، أنت الشئ الذى قلبت من  
 أجله أبهى سنوات حياتى إلى أنكدها ، إن أحب الأمهات أبناءهن  
 لأنهم أبناءهن ، فأنا أحبك أنت وأختك ، لأنكما أبنائى ، ولأننى  
 قاسيت من أجلكما المرارة والبؤس والشقاء والألم ، قاسيت أن أحيا  
 مع زوج أكرهه وأبذل له نفسى ، أحتقره ولا أتركه أمقته وأظك إلى  
 جانبه زوجه .. أحمد .. لى فيك ولى عليك حق الأمومة ، ولى فيك  
 ولى عليك حق الشقاء الذى ألقاه ، والشباب الذى يمر والسنين  
 التى مضت .. سعادة الأمهات بأبنائهن مجرد سعادة ، أما أنت  
 فجزائى عن الشقاء بأبيك ، فأنت كل شئ .. فان يكن لحياتى  
 معنى .. فأنت .. أنت وأختك .. أحمد .. لا تتركنى .. ارحمنى  
 يا رب .. دع هذا الطفل لى يا رب .. فما الحياة بغيره ..  
 أرحم يا رب .

ويدخل سليمان هالعا :

— خير ماذا به يا سهير ؟

. — سليمان .. ماذا تنتظر ؟ .. دكتور يا سليمان .. أسرع .

وخرج سليمان من مسوره حائرا لا يدري أين يذهب ، لم يعد  
 يذكر طبيبا واحدا ممن يعرفهم ، فهو يذهب إلى التليفون ، ثم يبحث  
 عن المذكرة التى بها الأرقام التى يحتاجون إليها ، ثم يترك هذا  
 جميعه ويهرول إلى السلم ، فما إن يبلغ منتصفه حتى يصعد مرة  
 أخرى إلى التليفون ، ثم يتركه ويهم بأن يقضد إلى حجرة ولده ،



متخيلا أنه قد صنع شيئا ، واهما أن طفله قد أفاد شيئا من هذه  
الهرولة التي ذرع بها البهو والسلم ، وقبل أن يصل إلى الحجرة  
يسمع صوتا من أسفل يقول •

— الدكتور •• جاء الدكتور •

ويسرع سليمان إلى السلم ، ويلقى الطبيب فيرجوه أن يسرع  
ولا يجد الطبيب فرصة يسأل فيها عما دعى له ، وإنما هو يقاد  
إلى حجرة أحمد • ويفتح الطبيب حقييته ويخرج حقنة صغيرة يملؤها  
دواء ، ثم ما يلبث أن يغرس إبرتها في فخذ الطفل ، ثم يوالى اسعافاته  
وهو لا يكف عن ترديد :

— خير يا ستي إن شاء الله •• بسيطة إن شاء الله ، لا شيء  
يا ستي •• مجرد إغماء بسيط •

وما لبثت أنفاس الطفل أن هدأت شيئا فشيئا ، حتى انتظمت ،  
وغغم :  
— نينة •

وصاحت الأم :

— أحمد •• نعم يا أحمد •• أنا هنا •• الحمد لله على سلامتك  
يا أحمد •

ونام الطفل هادئ الأتفاس ، وطلب الطبيب أن يتركوه  
ليستريح ، ولكن الأم أصرت على البقاء ، وخرج سليمان مع  
الطبيب •

وما إن خلت الحجرة بالأم وطفلها ، حتى ألقت رأسها على  
سرير الطفل ، وانطلقت تبكي في تشجيع يمنعه خوف الأم من إيقاف  
ابنها أن يعلو ، وإنما هو بكاء حار مكتم النشيج ، دفاق العبرات ،

ولكنها تماكنت أمر نفسها فجأة ، وقامت إلى البهو ، فأحضرت  
التليفون ، وعلى الضوء الخافت أدارت القرص : ولم تلبث أن وضعت  
الساعة ، فقد حمل إليها أزيز الرقم مشغولا عن طلبها ، وبعد  
دقائق رغعت الساعة مرة أخرى ، وأدارت القرص نفس الدورات  
ولم تلبث أن قالت :

- — وصفى •
- — نعم •
- — أستطيع أن أكلّمك ؟
- — أنا وحدي •
- — لا يمكن يا وصفى • لا أستطيع •
- — نعم أعرف •
- — فلتكن صداقة •
- — صداقة عميقة ودائمة يا سهر •
- — إلى اللقاء يا وصفى •
- — إلى اللقاء يا سهر •

كانت الصلاة جماعة في المسجد الكبير بقرية العواسجة ، ولم يكن وراء الشيخ إلا قلة من الفلاحين ، وقفوا وماء الوضوء يقطر من وجوههم ، وكان يتقدم هؤلاء الفلاحين نفر من الطلبة ارتدوا الجلابيب الأفرنجية ، وغطوا رؤوسهم بالمناديل ، وألقوا بعيونهم الى الأرض في تخشع . وكان ضوء المصباح المرتعش ينسكب على وجه جامد النأمت ، مسيل العينين . تقوم من تحته بنية قوية التركيب ، ثبته القوام ، وقد ارتدى صاحبه جلبابا أبيض موثعا بالخطوط الحمراء ، وأحكم على رأسه منديلا كان ناسجه يريد له اللون الأبيض لونا ، ولكن عدا على ارادته أيد كثيرة العبث قليلة العناية نزره النظافة ، ذلك هو السيد أفندى عبد البديع النجل الأكبر لعبد البديع أفندى الذكر وزوجه محبوبة . حصل في عامه هذا على شهادة التوجيهية ، وعاد الى القرية ليهنأ بين أمه وأبيه وآله بلذة النجاح .

انتهت الصلاة ، وخرج بعض المصلين من الجامع ، وبقي فيه السيد والتلاميذ الآخرون وقلة ضئيلة من الفلاحين لم يتركوا الجامع ، بل ان منهم من استقر على الجلطة التي كان يقرأ بها التحيات ، ومنهم من أخرج قدمه من تحت حسمه وأدارها ، فأصبحت مثنية أمامه ، ثم ألقى ذقنه الى يده ومد بصره في تشوف الى السيد . واتخذ السيد جلسة مستقرة بعد أن أدار ظهره الى

القبلة وراح يعسمل ويحوقل متيهاً لالقاء درسه لدينى ، وقد خلا  
له الجو ، وانفرد فى الجامع بالفلاحين ، ومن يصغرونه من الطلبة ،  
منتها فرصة جهلهم جميعا ، وفرصة علمه الضئيل الملىء بالخزعبلات  
والأحاجى • وراح الفلاحون — قبل أن يبدأ — يمصون شفاههم ،  
كأنهم يختبرون الصوت الذى يصدر عنها ، أشبه ما يكونون بأفراد  
تخت موسيقى يجربون آلاتهم قبل البدء فى عزف الدور الذى  
سيمزفون •

وبين أصوات الشفاه يمصها الفلاحون ، وأسئلة صغار الطلبة  
يطلقونها لاثبات وجودهم ، بدأ الدرس وانتهى •

وخرج سيد منتفخ الأوداج ، مزهوا أن ألقى الدرس على  
هؤلاء القوم المساكين ، وزاده كبرا وزهوا اثنان من مريديه لحقا  
به ، وراحا يسألانه فى اكبار واجلال :

— منذ متى يا سيد وأنت منضم الى الشعبة الرئيسية فى  
المديرية ؟

— من زمان •

— ولم تخبرنا يا أخى ونحن معك كل يوم ؟

— لا بد أن أثق بكما أولا لأخبركما •

— وهل لك فئة خاصة تتفرع من هذه الشعبة ؟

— نعم •

— وما اسمها ؟ • • • أهى الأسرة التى يقولون عنها ؟

— هذا سر •

— ومن رئيسها ؟

— لا أستطيع أن أقول • • • هذا أيضا سر لا أستطيع البوح به • •

— لا بد أنك أنت الرئيس ..

وعلى خيوط القمر الزرقاء رأى الصاحبان شبح ابتسامة تلوح مخايلها على شفاه السيد ، فصاح أحدهما قائلاً :

— نعم انه هو .. انه هو يا حسين •

وقال السيد نافيا في لهجة تزيد ظن الصاحبين اثباتا :

— لا يا شيخ .. لا يا محمد .. هذه أسرار يا رجل .. أستغفر الله العظيم •

وسأل حسين :

— ولكك يا سيد لا لحيه لك •

وقال السيد مغیظا :

— أنا بلا لحيه .. ألا ترى لحيتى ؟

وقال حسين في بلاهة :

— لا ..

وقال السيد في حدة :

— هات يدك .. هات •

واجتذّب يد حسين المسكين وحك بها ذقنه فقال ذاهلا :

— آه صحيح !

— لقد بدأت في إطلاقها قريبا •

وكانت يد حسين لا تزال على لحيه السيد حين انغور كسوع

محمد في بطنه ، وهو يهمس :

— أنظر •

ونظر حسين الى حيث يشير محمد فرآها ، فاذا هو بغير وعي  
منه • يضرب محمد بكوعه ويضع سبابته أمام شفتيه ويهمس :

— أسكت .. أجننت ؟

وكانت أنظار سيد كلها ناشبة في الفتاة التي تمر منهم على  
مقربة ، تمشي رهوا في خفة واصرار ، ولكن أذنه كانت صاغية  
الى همس صاحبيه ، فهو يقول :

— ماذا يا محمد .. ؟

وسارع حسين قائلا في لعنة :

— لا شيء .. لا شيء يا سيد .. لا شيء والله •

فقال سيد :

— يا أخى أنا لا أسألك .. أنا أسأل محمد •

وقبل أن يلفظ حسين مجموعة أخرى من اللاتىء ، قال محمد في  
صوت تبين فيه الرغبة الالهية في أن يلقي ما يزدحم في نفسه من  
أسرار :

— لا .. لا شيء •

وقال سيد :

— وأنت أيضا تقول لا شيء .. يخيل الى أن هناك علاقة

بين ناعسة وبين حسين •

واذا محمد يقول في فرحة غامرة :

— شفت يا عم .. أنا لم أقل له .. عرفها هو وحده •

وقال سيد :

— أى علاقة بينكما يا حسين ؟

وتلثم حسين ، بينما استطرد سيد قائلاً :

— قل يا أخى •

وازدادت لعنمة حسين • واشتعلت رغبة السيد فى أن يعرف  
تفاصيل هذه العلاقة •• كان يريد أن يعرف تفصيل كل وشيجة  
من هذه العلاقة ، ولم يجهد غير مركزه الدينى يركبه ، ليصل  
الى ما يريد ، قال السيد ضائقاً :

— قل يا أخى •• فكل انسان عرضة للخطأ ، ولكن الاصرار  
على الخطأ هو الشرك والكفران •

قال حسين فى تردد :

— لا شىء يا سيد •• لا شىء الا ••

— هيه •• الا ماذا ؟

— بوسة •

وقال سيد وقد اتسعت عيناه ، وجف ريقه ، وسرت فى دماغه  
نشوة ثائرة :

— بوسة ؟ •• أين ؟

وتمالك حسين أمر نفسه بعض الشىء وهو يقول :

— فى خدما •

— لا ! أنا أقصد أين كنتما حينذاك ؟

— أعتقد ان لكان وجودنا شأننا كبيرا من الفاحية الدينية ؟

وأن للسيد أن يتلثم بعض الشىء وهو يقول :

— لا •• لا طبعاً •• وانما •• أحب أن أعرف المكان ، وسأخبرك

لماذا •

— فى الذرة •

وقال محمد :

— وقعت يا بطل •

وصاح سيد فى لهجة ظافرة :

— آه •• أرأيت ! لم تكن قبلة على الخد اذن •• لقد كانت  
قبلة فى الفم •• فى صميم الفم يا أستاذ •• الذرة لا يذهب اليها من  
يريد قبلة على الخد •• هيه ما قولك ؟ !

— واللله يا سيد مرة واحدة فقط ، وتبت بعدها ورجعت  
الى الله •

— هذا حرام يا حسين •• لا بد أن تتوب الى الله •• وترجع  
الى الله •• لا حول ولا قوة الا بالله •• انا لله وانا اليه راجعون ••  
لماذا يا حسين •• لماذا •• وماذا فعلت معها ؟  
— ماذا ؟

— ماذا فعلت معها •• لعلك ان شرحت لى ، اسقطعت أن  
أطمأنك انك لم ترتكب الا اللوم ، وحسابه عند الله يسير ••  
اشرح لى يا حسين •• اشرح لى بالتفصيل •

وراح حسين يشرح ، وكلما أغفل هنة نبهه اليها السيد فى  
يقظة صاحية ، لا ينم عن القول كلما توقف حسين ليلتقط أنفاسه  
« يا سلام » ودون أن يحس حسين يجيب فى ذهول نشوان  
« واللله » •

وأتى حسين القصة وصمت ، وظل ناظرا الى السيد ، منتظرا  
منه أن يقول شيئا ، وظل السيد ناظرا الى حسين ، متوهما أو متمنيا



أن تكون للقصة بقية ، وظل الاثنان يحملق كل منهما الى الآخر  
فترة لم يدريا أطالت أم قصرت ، حتى تنبسه حسين أخيرا وتلفت  
حواله :

— الله .. محمد مشي .. أنا أعرف أين ذهب .. مسكين سيمرض  
من كثرة اختلاله بنفسه •

وقال السيد :

— ماذا ؟

— لا شيء •

— هيه .. وبعد ؟

— وبعد فيم ؟

— في حكايتك •

— حكايتي ! ؟ حكايتي انتهت من زمان •

— وكم دفعت لها ؟

— ربع جنيه •

وهمس السيد لنفسه : ربع جنيه بنت الكلب .. النهاية •

ثم عاد الى حسين :

— هيه .. وبعد ؟

— وبعد فيم ؟

— في حكايتك •

— أقول لك انتهت •

— انتهت ؟

— نعم •

ولكن السيد لم يقتنع بهذه الاجابة ، بل انه راح يسأل مرة

أخرى عن تفاصيل معينة ، في اهتمام شديد ، وانصات واع الى  
أن استعاد القصة جميعها على طريقة سقراط من أسئلة وأجوبة ..  
حتى اذا فرغت أسئلته ، ظل محملا في وجهه حسين ، وظل حسين  
محملا في وجهه هنية هو الآخر ، ثم قال :

— هيه .

وقال السيد وهو في غمرة من الأفكار :

— هيه ماذا ؟

— أحرام ما فعلت ؟

وانتفض السيد متذكرا السبب الذي أبداه ليستدرج القصة  
الى الخرج ..

— آه .. آه .. حرام طبعاً .. حرام يا بنى والله .. حرام ..  
ولكن الله غفور رحيم .. اذهب الى البيت وصل .. وارج الله  
أن يغفر لك .

وانصرف حسين خجلا يتعثر في مشيته ، مزمعا في نفسه توبة  
لا يعود بعدها الى هذا الاثم .

واقترب السيد من الطريق الذى عبرته ناعسة ، وأقام مستخفيا  
يرصد الطريق من حيث ذهبت ، فهو يعلم أنها عائدة ، فما كانت  
وجهتها الى بيتها ، ولا بد لها أن تعود وأنه ينتظر .

كانت ناعسة فتاة ريانة العود ، مليحة القسمات ، وكان أبوها  
قد زوجها الى رجل عجوز ، طامعا أن يعوض الرجل ابنته عن شبابه  
بالمال الوفير . ولكن الرجل خيب ظن حميه ، فهو وان ملك مالا ،

الا أنه لا يملك الجرأة على اخراج المال ، ففقدت ناعسة في زوجها  
الحسنين من شباب ومال . ولم تجد ناعسة خيرا من بيع محاسنها  
لتكسب بذلك كل ما خسرت في زواجها .

ولم يعرف سيد هذه التجارة التي افنتحتها ناعسة الا حين  
عاد الى القرية ، وقد تقبل هذه الأنباء في تأفف ظاهر ، وفي رغبة  
مخفية أن يكون زبونا لها . ولكن عاقبه عن ذلك أمران : أولهما  
تظاهره بالتقى ، تظاهرا يسد عليه المسالك أو يكاد ، وثانيهما قلة  
المال في يده ، ولو كانت ناعسة قد بدأت تجارتها قبل أن ينحاز  
سيد الى ناحية الدين ، لأصبح شأنه غير هذا الشأن ، ولاحتال  
على المال ، وبلغ به من ناعسة ما يريد ، ولكنها تأخرت ، واتخذ  
هو مظهره هذا الذي يضيق به غاية المضيق . فما كان مؤمنا بما يقول  
أو يفعل ، وانما انضم الى فئة الدين حين أعجزته الحيلة أن ينضم  
الى فئة الفجرة ، وان كان الى هذه الفئة الثانية أشد ميلا وأكثر  
شوقا . على أن هذا لم يفت في عضده ، فقد وعد نفسه خيرا ،  
وطلب اليها الصبر الى أن تحين فرصة في طريق خال .

وها هو ذا الطريق خلا ، وناعسة تقترب منه .

— مساء الخير يا ناعسة .

— مساء الخير يا سي سيد أفندي .

— الى أين ؟

— الى البيت .

— وفيم العجلة ؟

— تأخرت .

- أريدك في كلمتين •
- وأى كلام بيننا يا شيخ سيد •
- كلام مهم والله •
- تفضل • قلّه •
- لا .. لا ينفع الكلام هكذا •
- وبما الذى ينفع ؟
- تعالى •
- الى أين ؟
- الى الثرة •
- الله .. شيخ سيد !
- ماذا ؟
- شيخ سيد .. حتى أنت يا شيخ سيد ؟
- لا والله ، وإنما كنت أريد أن أكلّمك •
- تكلم .. المكان الذين نحن فيه يصلح للكلام ، أما الذرة  
يا شيخ سيد ..
- شيخ سيد .. شيخ سيد .. هل شفقتى ألبس العمامة  
والجبة ؟
- لا ، ولكن شفّتك فى الوعظ يا شيخ سيد !!
- يا شيخة .. تعالى •
- عيب يا شيخ •
- العيب ما فعلته مع حسين •

- أقال لك ؟
- نعم •
- طيب •• هل معك المبلغ ؟
- والله ليس حاضرا معى •• أعطيك غدا •
- غدا لا ينفع يا شيء •• يا سيد أفندى •• كيف أستطيع أن
- أطالبك غدا •• الدفع مقدما يا سيد أفندى •
- وإن كنت مفلسا ؟
- فلا أعطك •
- ولكنى أريد أن تعطينى •
- هات كيلة ذرة •
- كيلة ؟ !
- نعم •• كيلة •
- فانتظرينى حتى أحضرها •
- أين ؟
- فى ذرة أبى •• على طرف الغيط من ناحية التربة •
- لا تتأخر •
- حالا •

وانصرف سيد الى بيتهم مسرع الخطو ، فما ان بلغه حتى  
 خلع حذاءه وتسلك على أطراف أصابعه الى الحجرة التى يعلم أن  
 بها الذرة ، وملا طرف جلبابه ذرة تزيد على الكيلة ، فما راجعها  
 فى الكمية الا حبا فى المراجعة ، وخرج سيد متلصصا كما دخل ،  
 ونفض المكان بعينه ، وخيل اليه أنه لم ير أحدا ، ومشى سبيله الى  
 المكان ، وما ان بلغه حتى همس :

— ناعسة .. ناعسة أين أ ..

ولم يكمل الكلمة ، فقد انصبت على قفاه يد حديدية صاحبها  
صوت أبيه مغيظا صارخا في حلق ، دون أن ترتفع نبراته :

— أهى ناعسة يا ابن الكلب .. وعامل لى شيخا تتقصك العمامة  
يا ضال يا زانى يا ابن السكب .. قدامى الى البيت .. قدامى أنت  
وذقتك .. والله لتسافرن غدا الى مصر .

— أبى ؟

— اخرس وامش .. امش .

— انها .. انها ..

— اخرس قلت لك .

ومشى سيد يتعثر فى خطاه ، ومن ورائه أبوه ، حتى اذا بلغا  
البيت قاد الوالد ولده الى المخزن ، وأعاد الذرة الى مكانها ،  
ولم يستطع أن ينتظر حتى يخرج من الحجرة ، بل هو يقفل الباب  
ويحكم رتاجه ، ويمسك بتلابيب ولده ، ويخلع الفعل من قدمه ..

( ١٥ )

كان أحمد جالسا الى أمه فى احدى غرف القصر حين دخل اليهما  
حسام الذى حيا خالته وقبلها ثم جلس •• وقالت سهير :

— كيف حال سميحة وأختك نوال ؟

— بخير والحمد لله •

— لقد قالت لى أمك اليوم انها ستأتى •

— والله لا أعرف ، فأنا لم أقل لها انى قادم اليكم •

وسكتت سهير ، وراى الصمت عليهم بعض الحزين ، ثم قطعه

حسام متسائلا ، وهو يظهر عدم الاهتمام ، فيخيب تظاهره :

— أين هاء اذن ؟

وقالت الأم :

— يا سيد صممت أن تشتري لى لأحبيها ما يلزمه من أقمشة

الطال والقمصان ليدخل بها الكلية •

— ولماذا لم تذهب أنت يا أحمد ؟

— يا أخى •• أنا لا تهمنى الأتاقة ، ولكن نينه لى التى تريد

أن تشتري لى ثيابا جديدة ، وقد صممت هاء أن تختار لى

الملابس •

وقال حسام :

— وهل نزل معها عمى سليمان ؟

فقال أحمد في شبه سخرية :

— وما شأن عمك سليمان بهذا ؟

فقال حسام متلعثما :

— لا .. لا شيء .. ولكن هناء وحدها ؟

وابتسمت. سهر في فرح وهي تقول :

— لا تخش شيئا يا سي حسام .. لقد خرجت في السيارة مع

السائق ، ولن تذهب الا الى محل واحد ، وتعود في السيارة ..

اطمئن يا حبيبى ، والله لولا مرضى لخرجت معها .

وازدادت لعثمة حسام ، وقد أحس أنه قد كشف خبيثة نفسه :

— لا .. لا شيء .. لا شيء ولكن ..

وبحسب جاء الخادم ليعلن الى أحمد مجيء فوزى عبد المجيد ،

ووجد حسام طريقا آخر يسلك فيه بحديث جديد ، فقال :

— يا أخى فوزى .. هذا لا أطيقه أبدا .

فقال أحمد :

— ولماذا يا سيدى .. لأنه يقول الحق ؟

— أكان حقا هذا النقد الذى راح يكيه لعمى وصفى باشا ..

فقالت سهر في اهتمام :

— ينتقدا وصفى باشا .. وأمامك يا أحمد ، كيف تسمح له ؟

فقال أحمد في لعثمة :

— انها مرة واحدة ، وقد رددته في خشونة ، وأخبرته أننى

لا أحب أن يذكر أمامى عمى وصفى باشا الا بالخير .



وتدخل حسام ثانية قائلاً :

— ليس هذا فقط ، ولكنه كثير الانتقاد للأغنياء ، وكثير الكلام عن الغنى ، فهو لا ينسى مرة أن يقول : ان الغنى لا بد أن تصاحبه الميوعة والجمود ، وعدم الاحساس بالفقراء ، وكدهم وثقتهم •

وسارع أحمد قائلاً :

— أليس هذا صحيحا ؟

ودهشت الأم من كلام أحمد ، فسارعت تقول :

— لا يقول هذا الا حاقد •• انما الغنى والفقير بيد الله ، والغنى رجل كد واجتهد حتى أصبح غنيا •

فقال أحمد :

— أنا لا أرى أبى قد كد واجتهد •

وأرتج على سهر هنيهة ، ثم قالت :

— بل انك تعلم أن أباك قد نال دبلوم الهندسة ••

فقاطعها أحمد قائلاً في سخرية خبيثة :

— من أوروبا •

وأحسست الأم تهكم الابن ، ولكنها تجاهلته ، وقالت :

— وهل ترى أباك غنيا ؟

— هو غنى بلا شك •• انه يعيش عيشة الأغنياء •

— أنت تعلم أنه ليس غنيا •

— اذن فأنت الغنية •• كم اجتهدت أنت وكم كدحت ؟

— أبى كد واجتهد ، حتى يوفى لى السعادة •

— أبوك اجتهد ، فلماذا تستفيدين أنت ؟

— انه لولائى ما اجتهد .. أى غريبة فى ذلك ، انها ستة الكون  
الأبناء يخلقون الطموح فى نفوس الآباء ، انك غدا حين تنجب  
أطفالا ستعلم كيف يكون الطموح ، وحينئذ تسعى الى أن تجعل  
أولادك أغنى الأولاد • تلك يا بنى حكمة الله وسنته ، وبها تدور  
عجلة الحياة •

— نعم أعرف .. فكلما أريد لنا أن نسكت فلا نفكر ذكر الله ..  
فلماذا لا يعطى الله تفكيرنا حتى لا نفكر فى عدله وحكمته وسنته  
وكل هذه الأشياء التى تبدو لنا ، وغيوم الشك تغشاها •

وصاح حسام :

— رأيت يا خالتي هذه أقوال فوزى •

فقال أحمد :

— وانها حق •

وأصبح وجه الأم باسرا قلقلها :

— ما هذا الكلام يا أحمد .. ما هذا الذى تقول ؟

— رأى •

— لا تظن أنك بهذا رأى تبدأ طريقا جديدا .. انها طريق  
سبقك فيها الكثيرون ، وعادوا عن رأيهم •

— انهم سجناء .. جبناء لا يقوون على فك قيودهم .. انهم  
سجناء العادة والوهم والتقاليد ، لو أمعنوا التفكير وفسكوا قيودهم  
لما عادوا • انهم القطيع •

ورأى حسام أن النقاش سحندم ، ورأى وجهه خالته يحتقن ،  
وخشى أن تصاب بالفوبية القلبية التي تعاودها ، فسارع قائلاً :

— قم .. قم يا عبقرى انزل الى صاحبك العبقري الآخر ..

وفهمت سهير ما أراد اليه ابن أختها ، فسكت مذعنة ،  
فما كانت تطيق أن تغضب ابنها ، وقال أحمد :

— وأنت .. ألا تنزل معى ؟

— نعم سأنزل معك ، وأمرى الى الله .

وصاحت سهير بالخادمة :

— يا نبوية .. هات سجادة الصلاة .

ونزل الشابان ، وأقامت سهير الصلاة . وبينما هى تصلى دق  
جرس التليفون وأجابت نبوية فسمعتها سهير وهى تقول :

— لا يا سعادة الباشا .. انه ليس هنا .

ثم سمعتها تقول :

— انها تصلى .

ثم قالت :

— لا .. لن تتأخر .

وتركت السماعه الى جانب التليفون ، وسرعان ما أنهت سهير  
الصلاة ، وانتقلت الى التليفون ليقول لها وصفى :

— أين سليمان ؟

— خرج .

— أنا فى البيت ، بمجرد مجيئه أخبريه انى منتظره .

— هل حصل شيء يا وصفى ؟

— لا أبدا .. ولكن أريد أن أراه في مسألة تهمة •

— طيب •

وبدت هناء صاعدة من السلم ، حتى اذا بلغت مجلس أمها  
رأت على شفقتها مخايل ابتسامة يحيط بها شيء من الفرح ، فقالت  
لأمها :

— خير .. ما هذه الابتسامة ؟

— لا .. لا شيء ، ولكن ابن خالتك حسام كان هنا ، وزعل  
لأنك خرجت وحدك •

فتجهت هناء قائلة :

— وما شأنه هو ؟

— شأنه .. ان له شأننا ليس لأحد .. انه يحبك •

— وأنا أحبه أيضا .. أحبه كما أحب أحمد .. لقد ربي معي  
ولا أستطيع أن أنظر له الا كأخ •

فقالت الأم في جد :

— اسمعي يا هناء .. مسألة الأخوة هذه عذر فقط ..

ثم تنهدت من أعماق ذكرياتها ، وقالت :

— من قال ان القريب لا يحب • هناء .. هذا عذر فقط

فاذكري لي الحقيقة •

— الحقيقة اني غير معجبة به ..

— ولماذا ؟ انه شاب غني متقدم في دروسه •

— عقليته يا نينا •

— مالها ؟ !

— عادية .. انسان عادي جدا •

— ألا يشفع له غناه ؟

— على العكس .. أنا أريد افسانا فقيرا ، يغنى بعمله واجتهاده  
ونكبر معا .

— هذا هراء يا بنتى .. فأنت غنية ، وإذا تزوجت فقيرا ، فسوف  
يركن الى غنائك ، ولا يسعى للغنى .

— يا نينا لا أستطيع أن أفكر فيه كزوج .. انه ابن خالتي  
مثل أخى تماما .

— عدنا الى هذا .. وأنا أأست متزوجة من ابن عمى ؟  
وترددت هناء هنيهة ، ونظرت الى حيث لا تلتقى عيناهما  
يعينى أمها :

— وهل أنت سعيدة يا نينا ؟

وأرتج على سهر ، فما تدري بماذا تجيب ابنتها ، وقبل أن  
تصوغ جوابا ، سمعت أقدام سليمان صاعدة على السلم فتنادت :

— سليمان .

— نعم .

— وصفى منتظرك فى بيته ، ويريدك أن تذهب اليه الآن .

— الآن ؟

— نعم .

وعاد سليمان طريقه الى الباب الخارجى ، ومما كاد يتركه حتى  
دخل البيت عبد البديع ووراءه السيد حاملا حقائبه .

وأرسل عبد البديع الى سهر يستأذنها أن يلقاها فأذنت ،  
وصعد اليها ينبئها أنه جاء بسيد ليقيم لديهم ، فرحبت به وطلبت  
الى عم دهب أن يعمد حجرة للسيد ، وينصرف عبد البديع داعيا  
لسهر وأولادها بظول العمر والرفاهية ، ولا ينسى عبد البديع  
أن يدعو لسليمان بأى خير ، فما كان يرجو له خيرا .

## ( ١٦ )

كان وصفى جالسا فى بيته تاتر الأعصاب يفكر فى هذا الأمر الذى لقيه به وزير الأشغال فى يومه هذا .. أى مخجلة تلك التى يطالعه بها أقاربه .. وأى قريب .. انه زوج سهر ، لا يطيق وصفى أن يروع حياة سهر وأولادها بأكثر مما روعها .. انه يشعر أنه المسئول عن هذا الزواج الذى ألقىت اليه سهر .

ولم يشأ جعفر أن يترك أباه فى زحمة من ضيقه هذا ، بل هو يدخل اليه يطلب بعض المال ليشتري كتبا جديدة ظهرت ، وقد تعود وصفى ألا يرد لابنه طلبا مثل هذا ، ولكنه فى ضيقه هذا يوشك ألا يحفل أمر ابنه ، ثم ما يلبث أن يعطيه ما طلب ، ويخرج جعفر ، وما هى الا بعض دقائق حتى يدخل سليمان :

— خير يا باشا ؟

— أى خير يا سى سليمان ؟

— ماذا .. ماذا حصل ؟

— يا سليمان أنت تعلم كم جاهدت من أجلك ، حتى تصل

إلى مركز هذا .

— نعم أعلم .

— أليق بك بعد هذا أن تلوث سمعتنا ، ونحن نعتمد على

الشرف فى حياتنا ، ونحارب أعداءنا بفراحتنا ، ماذا يقول الناس

عنا .. ؟

وأحسن سليمان أن وصفى عرف ما ارتكبه ، وأوشك أن يمارى  
الحق . ولكنه عدل عن ذلك وارتأى أن يستمر في تغايبه :

— ماذا ؟

— احسان بك عبد الفتاح .

وأرتج على سليمان لحظة ، ثم قال :

— ما شأنه ؟

— ماذا جرى يا سليمان ؟ .. أترانى فارغا لهذا التغايبى ؟ ..

لقد كنت عند وزير الأشغال الآن وهو الذى أخبرنى ..

— أخبرك بماذا ؟

— بأنك أخذت رشوة من احسان .

— أنا ؟ .. أنا ؟

— نعم أنت .

— لماذا ؟

— لتحفر له ترعة في أرضه التى اشتراها حديثا بمقد عرفى .

— انه لم يقل انها رشوة .

— فماذا قال ؟ .. هدية !

— أبدا ، وانما قال انه يتبرع بها .

وقال وصفى ساخرا :

— يتبرع بها .. ! لماذا .. ؟ هل أصبحت جمعية خيرية على

آخر الزمن ؟

— لا ولكن كنت أفكر أن أشارك في جمعية العميان ، وكان

الحديث معى في ذلك الشأن يجرى أمام احسان بك فتبرع بالمبلغ .

— بخمسائة جنيه ؟ ! أهذا تبرع ؟ .. انها رشوة يا باشمهندس  
رشوة ..

وحاول سليمان أن يفتعل ثورة :

— لا .. أنا لا أقبل الرشوة .. لا أبدا ..

وقطع وصفى افتعاله في جمود :

— اسمع .. هات الفلوس ..

وامتقع وجه سليمان :

— ماذا ؟

— أقول هات المبلغ ..

— ولكنه ليس معي ..

— انه معي أنا ..

— لا أفهم ..

— لقد دعوت احسان ، وهو قادم الآن ، وقد أعددت له

المبلغ ، وسأعطيه له الآن ، فاكتب أنت لى شيكا بالمبلغ .. الآن ..

— أكتب شيكا ؟ !

— نعم ..

— ولكن ليس معي دفتر الشيكات ..

فقال وصفى في حزم صارم تمور فيه ثورة وتهديد :

— سليمان اكتب الشيك على ورقة بيضاء ..

وفهم سليمان كل المعانى التى تصاحب هذا الأمر فسارع يكتب  
الشيك مذعنا ، وما ان فرغ من كتابته ، حتى جاء البخادم يعلن قدوم ..



احسان بك ، فأذن له وصفى ودخل ، وما كاد يجلس حتى أخرج وصفى من جيبه ظرفا وأعطاه لاحسان قائلا :

خذ هذا •

— ما هذا يا باشا ؟

— الرشوة التى دفعتها لسليمان •

وتلاقت عيون احسان وسليمان ، ثم أطرق احسان فجلا قائلا :

— ولكنها ليست رشوة يا باشا •

— اسمع •• اما أن تأخذ المبلغ ، فأعتبر المسألة كأن لم تكن ، وأجمل طلب التربة الذى تقدمت به يسير فى طريقه الطبيعى بلا عرقلة ولا محاباة ، واما أن ترفض قبوله فأعلم أن التربة لن تنشق أرضك ما دمت أنا على وجه الحياة •

وبوضع احسان المبلغ فى جيبه فى تخاذل ، وهو يقول :

— أمرك يا باشا •

— على ألا تعود الى هذا يا احسان بك •

— أمرك يا باشا •

— شكرا •

— تسمح بالانصراف ؟

— لا مانع •

وخرج احسان دون أن يدعوه وصفى ليشرب القهوة ، فغسده رأى فيه صورة بشعة تشبه المرأة الداعرة التى تغرى الشباب

بالخطيئة • وحين أراد سليمان أن ينصرف استبقاه وصفى  
ليقول له :

— أتذكر حديثا بيننا منذ سنوات بعيدة •• بعيدة جدا حين  
جئت لتطلب أول درجة ارتقيتها في سلك الحكومة •  
وتكس سليمان رأسه قائلا :

— نعم أذكر •

وقال وصفى في حزم :

— حسنا ، فأنا لا أحب أن أعيد هذا الحديث ثانية ، وبطبيعة  
الحال لا لزوم أن تعرف سهر شيئا من هذا ، فمرض القلب الذي  
تعانيه لا يحتمل هذه الأزمات ، قل لها إذا سألتك عما أردتك فيه ••  
قل لها اننى •• اننى ••

وداخل صوته شيء من السخرية وهو يقول :

— قل لها اننى أردت أن أبلغك رضا الوزير عنك •

وأطرق سليمان ، لأنه لم يعرف أين يولى وجهه ، وقال وهو  
خارج :

— نعم •• نعم هذا ما سأقول •

• وخرج •

## ( ١٧ )

شهور مضت تليها شهور وأنا هنا حبيس في هذا البيت أو القصر أو أى شيء كبير ، لا أملك أنا فيها شيئاً إلا هذه الملابس التى أتلقفها من أحمد بك . شهور مضت وثقتها شهور ، وأنا حبيس لا أصنع شيئاً إلا أن أجلس مع أحمد بك ومع صديقه ، هذا المتذاكى الذى لا يكف عن الانتقاد والسخط . . شهور وأنا أرى هناء . . هناء هانم تأتى إلينا في حجرة المكتب ثم تتركنا بعد أن تسمع الحديث الطويل الذى يبرع فيه السيد الحكيم ، العالم النابه فوزى عبد المجيد ، ذلك الحديث الذى يثق به فلا يجد أحداً يرده ، فالجميع به معجب ، وأى جميع ! إنهم أو إنهما أحمد وهناء ؟ ألا تكفى هناء حتى أقول الجميع ، إنها الجميع لا شك ! إنها كل شيء ، حين أنا لديها لا شيء . وماذا أكون أنا ، وأنا لا أتحدث في أى موضوع ، إننى حتى حين حاولت أن أظهر علمى الدينى لقيت من الجميع سخريه وهزواً ، فما الدين عند ثلاثتهم بالأمر الخطير ، الدين جميعه لا يهمهم في شيء ، فكيف أحادثهم عن أركان الوضوء وإقامة الصلاة وغير ذلك مما كنت أنال به في العواسجة التبجيل والتوقير والاحترام . . إن هذا الفوزى لا يترك مجالاً لأحد أن يتكلم إلا إذا جاء جعفر بن وصفى باشا فهو وحده الذى يقف له بالمرصاد ، ويرده في عنف حيناً وفي لطف أحياناً ، أما حسام فلا شأن له بأى موضوع يتكلم فيه أحد . كل ما يعرفه أن يظل رانيا إلى هناء ، نظرات تحسها هى ، ثم ما تلبث أن تتفرضا على نفسها في زهو وخيلاء إنها كمة أنظار ، ثم لا تفعل

( قصر على النيل )

بعد ذلك شيئاً إلا أن تعجب بفوزي عبد المجيد وحديثه الطويل عن  
الغنى والفقر والظلم والعدل والديمقراطية والاشتراكية .. أين  
يجد هذا الكلام .

وأنا ماذا ألم بي .. لماذا لا أخرج .. لقد ضرب على عم ذهب  
حصاراً عنيفاً ، فأنا لا أخرج إلا وهو على علم بكل مكان أقصد  
إليه ، وأنا لا أفال من النقود إلا صباية لا تغنى ، وكنت فرحاً أنني  
أت إلى مصر أعوض فيها ما فوته على أبي حين أمسك بي عند  
الذرة ، فإذا بيده التي انصبت على قفاي لا تزال تلاحقني هنا بقبض  
المال عني ، وبعيون عم ذهب الرواصد على .. وأحببت هذا الحبس  
أول الأمر ، فرحان أن أكون إلى جانب هناء ، فإذا هناء لا تحس بي ،  
وكيف لها أن تحس ، وأنا مهما أكن طالبا في الجامعة فلن أزيد على  
أين عبد البديع ، فإن احترمتني فأنا ابن عبد البديع أفندي ولا زيادة .  
شهور مضت وتلقاها شهور ، فأظل هنا قابعا إلى فتاة ما أظن أنها  
ستحس بي يوما ، أما الآن لي أن أخرج إلى الحياة .. لقد رفضت أن  
أشترك في أي نشاط في الكلية ، حتى تظل فترة المساء كلها خالصة  
لهناء ، ولكن ماذا جنيت من كل هذا ؟ لا شيء .. ضياع في مجالات  
الهوى ، وضياع في مجالات المجد ، لقد رفضت حتى أن أشارك  
في نشاط الجماعة في الكلية .. والله لن يكون هذا منذ اليوم ، إنني  
إلى الحياة خارج .. فافتح لي صدرك أيتها الحياة .. إلى أين ..  
أين يمكن أن ألتقي بالحياة ؟ .. على أولا أن أحدد الجهة .. إنها  
شارع فؤاد لا شك في ذلك ، فالحياة تمر فيه مورا ، والنسوة  
لا ينقطعن عنه ذهابا وجيئة .

ولكن أي منطقة في شارع فؤاد خليفة أن أجعلها مرقبي .. إنها

تلك التي يقع فيها محل الأمريكيين ... إن هناك اتفاقا غير مكتوب بين  
الفتيات والفتيان أن يلتقوا في هذا المكان ، فاليه ..

دارت هذه الأفكار في ذهن سيد ، وهو يختار أجمل ملابس ،  
ويضعها على نفسه ، حتى اذا أتم زينته ، خرج من باب حجرته ،  
وصعد بضع درجات ، فأصبح على سطح الأرض .. أرض الحديقة ..  
وتلفت حواليه فاطمأن إلى أن عم ذهب غير موجود ، فعبر الحديقة  
مسرعا يتحسس الجنيه الذي أوهم عمه ذهب أنه سيشتري به  
كتبا لا بد منه للكلية . وبعد حين كان سيد عبد البديع يلوب في  
مكانه حول باب الأمريكيين ، والنساء يتهادين أمامه ، يرى الواحدة  
متهن فيوشك أن يتقدم منها ، ثم يثنيه عن الأقدام خوفا راعدا يملأ  
نفسه ، وطال به الأمر وهو حائر لا يحري كيف يبدأ حديثه ، وأخيرا  
رأى إلى جانبه فتى شديد الأناقة يقف في مكانه متحفز النظرات ،  
لا تستقر قدماه على حال ، ولا يستقر رأسه إلى جهة ، فهو دائم  
التلفت ، يتربص بالشارع جميعا ، حتى مرت به أخيرا فتاة غداء ،  
أنيقة غاية الأناقة ، ما كان سيد ليجرؤ أن يرفع إليها نظره ، فهي  
حلو المشية ، متعالية رفيعة النظرات ، لا تذكره إلا بهناء في ترفعها  
وكبرياء تصرفاتها .

اقتربت الفتاة منه ومن هذا الفتى الذي يقف إلى جانبه ، وكان  
الفتى إليها أقرب ، فسارع إليها قائلا :

— مساء الخير .

وذهل سيد حين سمعها تقول في هدوء :

مساء الخير .

ماذا .. مساء الخير .. دون أن تضربه أو تدفعه عنها ، أو حتى

تسير ولا تلتفت إليه .. أهى مسألة ميسورة سهلة إلى هذا الحد ..  
مساء الخير ، ثم أضح ذراعى فى ذراعها ونمضى . وأنا هنا واقف منذ  
ساعات أقدم رجلا وأؤخر ستين رجلا .. ما أغبانى !!

وتربص سيد بالطريق ، وما هى إلا دقائق حتى مرت فتاة  
أخرى ، إن تكن أقل أناقة من سابقتها ، إلا أنها لا بأس بها ، ولو  
أنها كانت أقل من هذا بكثير لما تورع عنها .. وأين أولئك النسوة ،  
أين هن جميعا من أجمل فتاة بقرية العواسجة ، أين هذه الملابس  
المهففة ، والفحور العارية ، والأثداء المشرئية ؟ أين هذا جميعا من  
ذلك الثوب الأسود الذى ترتديه فتيات العواسجة ، خيبة الله  
عليهن .. واقتربت الفتاة من مكانه ، فسارع إليها قائلا :

— مساء الخير .

ونظرت إليه الفتاة فى سخرية ، وسارت فى طريقها دون أن تجيبه.  
أو تشعره أنها أحست به . ولكنه وقد بدأ الحديث ، أبى أن يترك  
الفرصة ، فهو يترك مرصده ويسير خلفها :

— مساء الخير .

ولم تلتفت إليه الفتاة ، بل ظلت سائرة فى طريقها ، وأعاد هو  
التحية مرات ومرات ، والفتاة على حالها من الجمود والتجاهل ،  
وظن سيد أنها ما دامت لم تزجره ، لن تلبث أن تجيب تحيته ، وعلى  
هذه الأمنية سار خلفها .. دقائق .. وسمعها تقول شيئا :

— يا شاويش .. ابعد هذا الأفندى عنى .

وسمع السيد ما قالت ، فثبت مكانه كالتمثال المنصوب ، ولم  
يفق من ذهوله إلا على الشاويش ساعيا إليه ، فإذا هو ينفض

الجمود الذى أمسك بأقدامه ويروح يعدو عائدا ، حتى إذا وجد الطوار مزدحما بالمارة ، وخشى أن يلحق به لشرطى ، قطع عرض الشارع غير آبه بالسيارات التى تسعى فيه ، ولولا أنه كان يعدو كالصيد يروغ من صائده ، ولولا لطف الله لما وصل السيد إلى الشارع الجانبى سالما .

ووقف سيد يلتقط أنفاسه .. ويفكر فى هذه المصيبة التى كانت موشكة أن تصب عليه .. لن أعود لهذا .. لن أعود أبدا .. وفى خطوات حازمة مشى السيد إلى هدف آخر ، وقد تحدد مقصده ، وتبين له الطريق .

وقف السيد أمام شاب وقور السمى ، نامى اللحية ، فى وجهه عزم واصرار ، وفى عينه ثورة يخفيها هدوء يغطى ملامحه جميعا . وكان يجلس إلى مكتب متواضع ، وقف أمامه سيد يقول :

— أريد طلب انضمام .

— وأين تحية الاسلام ؟

— السلام عليكم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. ما اسمك ؟

— السيد عبد البديع الذكر .

— تشرفنا ، أنا عبد العاطى بسيونى .

والتقت يدان فى مصافحة قوية .

## ( ١٨ )

كان أحمد جالسا إلى فوزى فى حجرة المكتب التى خصصت لأحمد فى القصر •• إنها حجرة جده ذاتها ، وكان فوزى جالسا فى عظمة ، وقد وضع ساقا فوق ساق ، حين قال له أحمد فى مراة :

— أرايت ! لقد رفضت المجلة نشر مقالتي الأخيرة أيضا •  
— طبعا يا أخى • إن كتابتك تقدمية لا تقبلها هذه المجلات البروجوازية •

— إن جعفر ينشر مقالاته بانتظام بها •  
— وقيم يكتب جعفر ؟ •• مقالات تافهة لا أفكار فيها ولا جرأة •  
— نعم ولكنه ينشرها •

— لابد أن أباه أوصى به رئيس التحرير •  
— أبدا يا أخى ، عمى وصفى لا يتدخل فى هذه الأمور أبدا •  
— إذن فرئيس التحرير يجاهله من أجل أبيه •  
— فلماذا لا يجاهلنى أنا من أجل عمى ؟  
— مقالاتك لا تصلح لمثل هذه المجلات التافهة •

— فأين أنشر إذن ؟  
— سيأتى اليوم الذى تكون لنا فيه مجلة ، وسأنشر أنا لك فيها ، ولكن اسمع ••

— ماذا ؟



- الليلة اجتماع الخلية ، وستلتقى هناك بفؤاد زين العابدين قبل سفره إلى موسكو ، فقد عين في السفارة المصرية بها .
- يا أخى دائما تخطئ ، إن اسمه زكى .
- هذا اسمه الحركى .
- والمفروض أننا لا نعرف إلا اسمه الحركى .
- طيب يا سيدى .. علمنى .. علم .
- وأين الاجتماع ؟
- فى مكانها .
- ألم يتغير بعد ؟
- لا .. لم تصدر الأوامر بالتغيير .
- يا أخى أنا غير مرتاح لهذا المكان .
- أنت محق .
- وبعد ؟
- لا شأن لنا .. علينا أن ننفذ الأوامر .
- الأوامر .. الأوامر .. أليس لنا رأى ؟
- الرأى رأى المحترف يا أحمد ، ماذا ؟ أنسييت ؟
- لا .. لم أنس ، ولكنى أخشى .
- المفروض أننا لا نعرف الخشية .
- أعرف .
- موعدنا الليلة الساعة التاسعة مساء .
- وطرق باب الغرفة ، ودخل سيد :

— السلام عليكم ورحمة الله •

— أهلاً أبا السيد •• ذقتك •

— مالها ياسى أحمد •• دع ذقتى فى حالها •• يكفينى ما بى •

— خير يا سيد •

— من أين يأتى الخير ؟

— من ذقتك يا أخى •

— يا أخى صل على النبى ••

— لا •• لا لزوم لذلك •

— أنت حر •• الليلة اجتماع الأسرة •

فقال فوزى مسرعا :

— أين ؟

— لا شأن لك ياسى فوزى •• نحن أيضا لنا أسرارنا •

— طيب وماذا يضايقتك فى هذا •

— يضايقتنى أنفى لم أذاكر منذ أسبوع ، والعوض على الله فى

هذه السنة •

فقال أحمد :

— الملحق يا أبا السيد •• البركة فى الملحق •

— كل عام ملحق •• أنت لا تعرف الذل الذى أراه من أبى حين

يعرف أن عندى ملحقا •

فقال فوزى :

— لا عليك •• الملحق فى سبيل الله •• فى سبيل الحق •

فقال سيد :

— ماذا جرى ياسى فوزى ؟ .. على كل حال أحسن من الملحق فى  
سبيل الرفيق .. فى سبيل الشيطان •

وقال أحمد منفيلا دون أن يبين عن غيظه :

— أى شيطان ياسى سيد ؟

وقال السيد متخاذلا :

— الشيطان الرجيم يا سيدى .. الشيطان الرجيم •

وفتح باب الحجرة ودخلت هناء :

— مساء الخير يا جماعة •

فسازع فوزى قائلا :

— إن تحييك هذه للسيد وحده .. فهو الجماعة •

فقال سيد فى هدوء :

— لا يا سيدى ، فسيد وحده هو المستثنى من التحية •

فقالت هناء :

— مساء الخير يا أولاد •

فقال فوزى :

— عظيم .. أصبحت التحية لنا جميعا •

والتفتت هناء إلى أحمد تقول له :

— أقرأت خطبة عمى وصفى فى البرلمان ؟

— لا ..

— انها .. رائعة ..

وقال فوزى فى تعاظم :

— أما ترالون تهتمون بهذه التفاهات ؟

فقال هناء فى تعجب :

— خطبة وصفى باشا فى البرلمان تفاهة •

— طبعا •

— الجرائد كلها تعلق عليها ، والناس لا حديث لهم إلا الخطبة •

— الجرائد عبارة عن كتاب مأجورين ، والناس ما هم إلا  
بيغاوات •• لا أعتقد أن فتاة لها عقليتك الواعية الذكية تهتم بآراء

الجرائد أو قطيع الناس •

وقال سيد مغيظا :

— الناس بيغاوات وقطيع ، والجرائد مأجورة ، ومجلس النواب

تفاهات ، فما الذى يعجبك فى مصر ؟

فقال فوزى فى كبر :

— أنا •

وقال سيد فى ثورة يحاول جهده أن يكتمها :

— فقط ! •

— ومن يرى رأى •

— ومن يخالفك ؟ •

— لا يخالفنى إلا معرض جبان مقيد بالتقاليد العفنة وبالرغبات

الحقيرة •

وتلثم سيد ، وحاول أن يجمع إجابة ترد فسوزى إلى بعض

تواضع ، ولكن قبل أن يتكلم دخل جعفر وحسام ، وقبل أن يتبادل

الداخلان التحية مع الجالسين ، سارع سيد قائلًا ، وكأنما هو غريق  
يجد منقذه :

— الله أكبر .. جعفر بك جاء .. سيريحنا أو سيريحني أنا  
شخصيا من الرد عليك .. أنقذنا يا جعفر بك — أنا في عرضك —  
فوزى يا جعفر بك .. فوزى يا أخى سيقتلنى بخروره .

— أولا وقبل الكلام عن فوزى ، ما هذه البك التى عادت إلى  
الظهور فى كلامك ؟

— والله تعودت ، سمعت أبى يقولها .. تعودت يا بك ..  
يا جعفر .

— نحن زملاء ، ولا أحب مطلقا هذه الطريقة .. والآن فلنعد  
إلى فوزى .. ماله .. فيم يتعبك ؟

— لا يعجبه أحد فى البلد إلا نفسه .

— هذا من حقه يا أخى .. ومن يعرف ؟ لعلنا جميعا نعجب بنفوسنا  
هذا الاعجاب .

فقال فوزى :

— أنا أتكلم عن الجرائد والناس ، وأرى أن الجرائد كلها مأجورة .  
والناس قطيع وبيعاعات وجملة .

فقال جعفر :

أى ناس ؟

— الشعب .

— الشعب ؟! الشعب الذى تريد له المساواة قطيع وبيعاعات .

— وما دخل هذا فيما أريده له ؟

— سبحانه الخلاق العظيم .. إن مذهبك يرمى إلى جعل الشعب على درجة متساوية في الغنى ، ومستوى المعيشة .

— لا يا سيدى ، ليس هذا فقط ما أريد ، وإنما أريد أن أثقفه .

— من هذا الذى يريد ؟

— المذهب الذى أراه .

— وهل المذهب سيثقف الشعب من تلقاء نفسه ؟

— لا .. سيقوم بذلك زعماءه .

— ومن سيختب هؤلاء الزعماء .. هل الشعب هو الذى

سيختبهم ؟

— نعم .

— أهذا ما يحدث ؟

— إنهم الآن في فترة انتقال ، ولابد أن يفرض الزعماء لفترة معينة ،

ثم ينتخبهم الشعب .

— ومن الذى يفرضهم ؟

— هم يفرضون أنفسهم .

— ومن يعطيهم هذا الحق ؟ .. كيف لهم أن يعرفوا أنهم أصلح

الناس للحكم ؟

— لابد ممن يحكم ، وهم يملكون الجراءة .

— الجراءة وحدها ؟

— لا أنفسهم .

— بأى قوة يفرضون أنفسهم ؟

— بقوة السلاح .

— إذن فأنتم ترغبون الشعب أن يقبل حكما لا يريدكم ،  
وترغبون الشعب أن يرضى بلون من الحكم لا تعرفون رأيه فيه ،  
وترغبون الشعب على أن يقبل نوعا من الحياة لم يتعودها ، ثم تتغنون  
بالحرية التي يجب أن يتمتع بها الشعب وبحق الشعب في الحياة ،  
ولا تخجلون مع هذا أن ترموا الشعب بالجهل وبأنه قطيع •

— إنها فترة انتقال •

— إن فترة الانتقال في ظل الدكتاتورية لا تنتهي •• لأن الحاكم  
حين يصل إلى كرسى الحكم ، يعلم أنه وصل إليه على غير حق ، فهو  
يحيط نفسه بالحرس ، ويفرض أوامره ، فإذا هي قوانين ، وينهب  
الأموال ، ويعيش عيشة رغدة بلا رقيب ولا حسيب ، فالذين  
حولهم جميعا يتمتعون بما يتمتع به من رغد ، وتنشأ طبقة حكام  
أغنياء ، وطبقة محكومين فقراء ، وبناء على نظريتهم ، لابد أن  
تقوم ثورة أخرى لتنتقم المساواة في الرزق ومستوى المعيشة ، ويسقط  
هؤلاء الحكام ، ويتولى الحكم حكام آخرون ، وتتكرر المأساة ،  
وكل حكم جديد يحتاج إلى فترة انتقال •• فان سألت : انتقال  
إلى ماذا ؟ وإلى أى مدى يدوم هذا الانتقال ؟ فلن تجد جوابا ،  
ولكننا نحن نعرف الجواب •• إنه انتقال إلى الآخرة •

— نحن •• عن أى نحن نتكلم ؟

— نحن أعداءكم الذين نحب الديمقراطية •• الشعب يختار  
حكامه ، ويختار من يمثله ليحاسبهم ، وتقف مهمته عند هذا ليفرغ  
إلى حياته •

— تقف مهمته ! •• والذين يمثلون الشعب هؤلاء •• أيقف عملهم

عند محاسبة الحاكمين ؟ أم أن عملهم الأساسى الرجاء لدى الحاكمين ،  
والسعى لانجاز الخدمات والمصالح ؟

— أولا أنا أحادثك عن النظام الديمقراطى فى عمومہ ، وأنت  
تحدثنى عن النظام الديمقراطى فى مصر .. وعلى كل حال الذين  
يسعون لدى الحاكمين يريدون أن يصنعوا خيرا لأفراد من الطبقة  
التي لا تستطيع الوصول إلى هؤلاء الحاكمين ، وما أرى فى ذلك  
بأسا .

— والرشاوى التي يدفعها هؤلاء الفقراء ؟

— ذلك هو الفساد ، وهو فساد أشخاص ، وفساد الأشخاص  
لا يعنى فساد نظام .

— نظام متعفن .. رأسمالى اقطاعى يقوم على النهب ، واستلاب  
أموال الناس ، قلة ضئيلة تبتلع أموال أمة .

— إذا بدأت الشتيمة فى النقاش ، فمعناها أن الحجة ضاعت ،  
وعلى كل حال أنت تجور فى حكمك ، لأن هؤلاء الذين تقول عنهم أنهم  
يأكلون أموال الأمة هم الذين يدفعون الضرائب ، وهم الذين يعولون  
من حولهم من الفقراء ، ويمدونهم بالعون .

— يعتقدون أنهم متفضلون .. إنهم يعطون الفقراء من حقهم .

— لا يا سيدى .. إن الله قد شرع نظاما للزكاة ، وإن كثيرا من  
الأغنياء يطبقون هذا النظام ، وإن الضرائب التي تفرضها الحكومة  
هى نوع من الزكاة التي شرعها الله .

وتدخل أحمد فى الحديث :



— الله .. الأفيون .. المخدر الذى تسكنون به القطيع من  
أبناء الشعب .

— أحمد .. أنت فى أشد الحاجة إلى هذا المخدر .. لن أناقشك  
فى الله .. فأننا نحسه أولا ، ونؤمن به ، ثم نفكر فيه .. فحين تؤمن  
به وتحسه ، سأناقشك .

— تهرب من النقاش ؟

— لا ، وإنما أكبر الله أن يكون محل نقاش تافه كهذا .. سبحانه ،  
إننا نؤمن به ، ونحب أنفسنا ، لأنها تؤمن به ..

وقفز سيد واقفا :

— يسلم فمك يا جعفر بك .. بك واحدة .. يا جعفر باشا  
يا جعفر ملك .

وقال أحمد ضائقا :

— هرج يا أخى هرج .. يا أخى ألا تتوقر من أجل ذقنك هذه ؟

وقال حسام فى ضحكة عريضة :

— هرج يا أبا سيد هرج ، ولا تهمل الذقن ، فوالله لا يعجبني  
فيك إلا قلبك الأخضر مع ذقنك الوقور هذه .

وخرج فوزى من الحجرة جادا ، وترك من فيها يضحكون من سيد ،  
وبما لبث أن عاد وهو يقول :

— استأذن أنا .

وقبل أن يتكلم أحد ، مد يده مضمومة إلى هناء ، فمدت يدها  
إليه لتستقبل تحيته ، فاذا أنامله تنفرج فى يدها عن ورقة صغيرة

محكمة اللف ، وذهلت هناء هنيهة ثم ما لبثت أن تماكنت أمر نفسها ،  
وسحبت يدها من يده ، وقد أصبحت الورقة فيها •

وكان أحمد مشغولا باثارة جعفر ، وحسام مشغولا بالسخرية  
من السيد ، ولم يكن منتبها إلى هفاء إلا السيد الذى رأى كل شيء ،  
فانعقد لسانه واجما فى ذهول حيران ، يهم أن يمسك بتلابيب فوزى  
ويقتله ، ولكن يرده عن ذلك خثسية أن يذيع ما ينبغى له أن يخفى  
لا سبيل أمامه غير الصمت ، فيصمه على ثورة فى نفسه تغتلى ، فما  
أسباب الحياة • وينشغل القوم فى توديع فوزى ، ويجد السيد أن  
وكبر المحب ، ووفاء المعترف بالفضل لهؤلاء القوم الذين يمهّدون له  
من أمر هفاء ، ويرد نفسه إلى الصمت فتثور عليه فى عزة الفلاح ،  
يهدأ لها أوار •

وما يكاد فوزى يخرج حتى يقول حسام :

— هفاء .. هل رأيت سيارتنا الجديدة ؟

غما يند عن هفاء غير « هيه » ذاهلة ، فيقول حسام :

— هو .. أين أنت .. أقول لك هل رأيت سيارتنا الجديدة •

ويقول السيد فى نفسه : « يا خبيتك الكبيرة .. أتسألها أين هى  
سارحة .. اعلم يا خائب أنها سارحة فى شيء قريب جدا منك ومنها ..  
فى جيبيها يا خائب .. مد يدك إلى جيبيها .. ولكن لا .. لا تفعل ، فأنا  
أخشى عليها أن تفجع فى سرها .. وقاها الله السوء .. ولكن السوء  
كله فى جيبيها هذا .. أدركنى برحمتك يا رب .. ألهمنى الرشاد ..  
ماذا أفعل ؟ .. أترانى أفكر فى أمرها من أجل وفائى لأهلها ، أم من  
أجل حبى لها .. سؤال عجيب ، لماذا لا يكون السببين كليهما ..

المهم الا اترك ابن الضائعة هذا يأخذ الفتاة من أهلها .. وهن  
أستطيع .. نعم إننى أستطيع .. إننى سأرقب هذا الفتى ، فما  
أجعله يغيب عنى لحظة .. وكيف .. إننى ذاهب الآن إلى اجتماع  
الأسرة .. لن أذهب .. طيب ، وكيف أستطيع أن أراقبه إذا ركب  
سيارة أحمد .. ما أظن أنى فى حاجة للمراقبة عندئذ ، فانه لن يذهب  
فى صحبته إلى لقاء غرامى مع أخته .. وما البأس على إذا أنا راقبت  
هنا .. هذا أجدى .. أم تراه أمتع .. يا أخى فكر فى هذه المصيبة  
أولا ، ثم فكر فى حبك اليائس .. على كل حال أنا هنا .. رقيب عليك  
يا ست هنا .. أينما ذهبت ، فأنا حيثما تذهبين .

وصحا السيد من غمرته ليجد النقاش لا يزال يدور، حول سيارة  
حسام ، فجعفر يقول :

— عجيب أنت يا أحمد .. تتركب سيارة فاخرة وتعيش فى قصر  
باذخ ، ثم تأخذ على الناس أن يركبوا ما تركبه ، ويسكنوا فى مثل  
ما تسكن .

— هذه ليست سيارتى ، ولا هو بيتى .

— يا أخى .. بع السيارة وتصدق بثمنها على الفقراء .  
— هذه مشكلة تأفهة ، فما ثمن سيارة وسط مستنقع الفساد ..  
النظام جميعه فاسد ، رأسمالى برجوازي .. إننى بسيارتى  
أخدم الهدف الذى أسمى إليه ، ولو أن هذا سر ما كان لى أن  
أبوح به .

— والله إن لم تبج به لما أحسست بالمتعة التى تحسها فيه ..  
إنك لا تمشى خلف مذهبك هذا إلا من أجل ما تتوهم أنه أسرار ..  
تهاويل وطقوس ومراسم هى التى تغريك .

— هذا كلام الانحلاليين •

وقفز حسام عن كرسيه في غضب :

— ليست هذه عيشة •• إن واحدا منا لا ينطق بكلمة حتى  
تتقلب إلى مناقشة وبرجوازية وانحلالية وديمقراطية وزفتية وبعد ،  
ألا نرتاح من هذه المصائب لحظة •• قل لى يا حبيبى يا أحمد •• قل  
لى يا أخى •• أعتقد أن الرفيق الأعلى ، أقصد ستالين بالطبع ••  
أعتقد أنه لا يضحك أبدا •• أعتقد أنه لا يتكلم فى شىء آخر غير  
هذا الهذاء الذى تقوله •• إذن فعيشته سوداء •• أنا خارج يا أخى •  
واستمروا أنتم فى نقاشكم ••

وضحك جعفر ، وهو يقول :

— أقعد •• أقعد •• ولن نتكلم فى هذا •• أقعد وهرج كما  
تشاء •

— لا يا أخى لن أقعد •• أنا ذاهب يا أخى إلى أصدقاء حمير  
مثلى •• يتكلمون عن •• النهاية •• هناء معنا •• يتكلمون يا أخى  
كخلق الله الآخرين •• نضحك يا أخى نتمتع بحياتنا ولا ننكدها ،  
السلام عليكم •• يا هناء قولى لخالتك إننى خرجت ، وسأرجع متأخرا  
بعد السينما •

وقالت هناء :

— خالتي هنا •

فقال حسام وهو واقف بالباب :

— نعم إنها فى الدور الأعلى مع خالتي ومعها نوال •

وخرج حسام ، وقامت هناء وهى تقول :

— سأصعد إلى خالتي فاني من زمن لم أرها .

وقال جعفر :

— وأنا أيضا سأصعد معك لأرى عماتي .. ألا تأتي معنا

يا أحمد ؟

وقام أحمد متثاقلا وهو يقول :

— آتى .

وخلت الغرفة بالسيد ، فأبقى بابها مفتوحا ، واتخذ لنفسه كرسيًا

مواجهًا للباب ، ليرى هناء إن هي حاولت الخروج .

صعد الثلاثة إلى الدور الأعلى وتبادلوا التحيات ، وجرى

الحديث بين الجميع ، والتقط جعفر طرفًا منه وراح يتحدث ، ورأى

أحمد الجميع ينصتون إلى الحديث ، يضحكون أو يبدون اهتمامًا

يرتاح إليه المتكلم .. وراح يسائل نفسه .. لماذا لا يستطيع هو

أن يتكلم .. بل لماذا لا يستطيع أن يفعل شيئًا على الإطلاق ..

جعفر يكتب في المجلات ، وأنا أكتب ولا أستطيع أن أنشر شيئًا ..

بل اننى لو خلصت إلى ضميري لحكمت على ما أكتب بأنه غير

صالح .. ولقد لجأت إلى الكتابة بعد أن حاولت الرسم فلم أفلح

فيه .. ولن أنسى يوم أحضرت لى أمى هذه الكمنجة الفخمة ، ثم لم

أستطع أن أعزف عليها شيئًا .. لا شيء أنا .. لا شيء على الإطلاق ..

اللهم الا المذاكرة والنجاح . المصيبة أن جعفر والرسامين من اخواني

والموسيقين ، أغلبهم يذاكر وينجح ، فبماذا أمتاز عليهم . اننى

في هذا البيت اله .. ان أحدا لا يتمتع في بيته أو في ملكه كما

أتمتع أنا ، اشارتى أمر ، وكلمتى تقديس ، وأوامرى تنزيل من حكيم

عليم ، على حد احترامهم للحكيم العليم .. ولكنى إذا تركت هذا

البيت فما أنا .. أنا لست شيئاً الا منذ انضمت الى اخواني هؤلاء .. أحسست أنى أفكر للكون جميعه ، وأرسم الخطة للعالم أن يسير عليها .. أنا فى ذلك المكان شىء خارج عن قطيع الناس ولكنى أريد أن أكون فيه ذا سلاح .. نعم لم يبق لى الا القلم .. انه أسهل الفنون ، فما يحتاج الأمر فى الكتابة الا أن أخط على الورق .. ولكن هؤلاء الصحفيين لا يعترفون بى .. يقول جعفر «اقرأ» فهل قرأ هو .. نعم .. أظنه فعل .. ولكن جعفر آسن العقل ، لا حرية فى تفكيره ، ولا فى اتجاهه .. مقيّد بالتقاليد الآسنة .. الحمد لله أنه كذلك .. والا انضم الى جماعتى .. وحينئذ لن أكون أنا شيئاً .. بينما أنا الآن بينهم كاتبهم الأوجد .. لأن أحدا منهم لم يحاول الكتابة .. ولكن ماذا أكتب لهم ؟ ! .. بحسبى أنهم يطلقون على لقب كاتبهم .. وما هو بالشىء الهزيل .

ونظر أحمد فى ساعته ثم قال :

— سأترككم أنا فانى على موعد .

وقالت أمه :

— أى موعد ؟

فأخطأ أحمد عن عمد وهو يقول :

— اجتماع .

ثم قال وكأنه يستدرك :

— اجتماع مع بعض أصدقائى .. سأنذهب الى السينما ..

سلام عليكم .

وكن جعفر مدركا لكل التصنع الذى افشله أحمد ، ولكنه

سكت •• بينما تعلقت عينا هباء بأخيها هنيئة ، حتى اذا خرج من باب الغرفة لحقت به ، وقبل أن يهبط الدرجة الأولى من السلم قالت له :

— أحمد •

ووقف أحمد :

— نعم •

— تأكد من خلو المكان من الجواسيس يا أحمد •• واذا

شككت في شيء فارجع يا أحمد •

فقال أحمد في تعاضم :

— لا تخافى •

ثم راح يهبط السلم وهو يحس بعيني أخته وهما ترقبانه ، فزاده هذا شعورا بالكبر والأهمية • وما لبث أن نفّض عن ذهنه كل ما فكر فيه حين كان جعفر يتكلم •• فهو الآن واثق •• واثق كل الثقة أنه شيء •• بل إنه كل شيء •

قصد حسام الى بار الشباب حيث تعود أن يقصد ، كلما ضاق  
باعرض هناء عنه ، أو كلما شقى بهذه الأحاديث الطويلة التى  
يسود بها جعفر وأحمد وفوزى الحياة فى وجهه •

الى هذا المكان يقصد ، وفيه أصدقاؤه الذين نبتوا معه من  
مغرس واحد وفى هواء واحد ، تنفسوا الطفولة معا وها هم أولاء  
يتنفسون شبابهم فى إقبال عليه وتقدير له والتذاذ بآل لحظة  
تجمعهم حول شبابهم هذا المرح الطليق •

انهم أبناء الحى ، جمعهم السكن ، وأحاطت بهم جدران  
الأفنية وأسوار الحدائق منذ هم أطفال يحملون ، أو منذ هم  
أطفال يتعثرون ، ثم ما لبثت أن ضمتهم جدران الفصول وأسوار  
المدارس ، فأصبحوا وهم متلازمون قل أن يتفرقوا ، ثم اتجهوا  
الى الجامعة وقد مال أغلب جمعهم الى اختيار كلية واحدة ، لا عن  
رغبة فى هذه الكلية ، وانما كان شأنهم فى ذلك شأن القطيع ،  
يسير خلف واحد من أجزائه ليس بأحسنه ولا هو بأحكمه ، وانما  
سار طريقا معينا بلا سبب ولا باعث ، وسار القطيع من خلفه ليعفى  
نفسه من التفكير فى طريق آخر •

وكان أصحاب حسام يأخذون حياتهم فى يسر كما يحب أن  
يأخذها هو •





آباءهم يقومون عنهم بما يحتاجون اليه ، وهم الى المدرس وعنه رائعون غادون بياض النهار ، ثم هم مجتمعون على لعب حين كانوا أطفالا ، وقد راح هذا اللعب يتطور مع أعمارهم ، فبعد أن كان جريا بلا هدف ، شب قليلا ، وأصبحت الكرة تحدد أهدافه ، ثم شب مرة أخرى فأصبحت المرأة هي التي تحدد الأهداف والمتجهات . وقد يتخلف في مرحلة من مراحل اللعب فرد من القطيع ، ولكنه لا ينى عن ملاحقة اخوانه في مراقى حياتهم ، فان أحب واحد من أصحاب الكرة وظل يلعبها ، فما يثنيه ذلك عن أن يحب المرأة ، بل لعله أحب الكرة ليغرى بها المرأة ، أو لعله أحبها كبقية من ذكرى الطفولة ، وأخلاف من عمر حبيب ، وهكذا سار القطيع ، ان تخلف فرد تخلف بفائدة من كيانه ، ولكنه هو بجميعة يظل سائرا حيث يسرون .

وكان « بار الشباب » أحدث مكان تواضعوا على الالتقاء فيه ، فهو حجرة قابضة في حي العباسية ، لا تسكاد تتسع لغيرهم ، وأمامها رحبة بدائية الاعداد ، ويتنقلون هم بين الرحبة والحجرة حسبما يكون الجو ، ويتصدرهم أينما يجلسون سعد صاحب أعظمهم جسما ، وأطولهم لسانا ، وأكثرهم حديثا عن مغامراته مع النساء . وقد حلت النساء عنده محل الكرة التي كان يروى لهم أيام غرامهم بها ، كيف هو قدير على التحكم فيها واصابة الهدف بها ، فان سألوه كيف وهو على هذا السمن المفرط ، ضحك وأخبرهم أن سمنه هو الذى يسهل الأمر له ، فما على زملائه في الفريق الا أن ينسلموا الكرة الى قدمه ، وقدمه — من بعد — كفيلة بأن تصيب بها الإصابات جميعا ، وما عليه هو الا أن ينقل قدميه في هدوء وعظمة ، حتى يصل الى الهدف ، فما يجرؤ واحد من الفريق الآخر

أن يتقدم منه ، وكان اخوانه لا يحاولون أن يختبروا هذه العظمة  
فيه ، فهم يعرفون قدرها تمام المعرفة . وكبرت الكرة وأصبحت  
امرأة ، وأصبح يقص على اخوانه تجاربه مع النساء . مع جمع  
كبير من النساء ، كما كان يكتفى بغير الكثيرات منهن . وقد كانت  
قصصه عن النساء أمتع ، وكان اخوانه يحبون منه هذا الحديث ،  
لأنه خفيف الظل حين يسوقه ، ولأن هذا الحديث بالذات يدغدغ  
فيهم كوامن رغبات لاهبة .

على أنهم كانوا يعرفون طريقهم الى النساء ، وكان سبيلهم الى  
ذلك عبد الجواد أفندي الذي يبيع لهم السجائر في « بار الشباب »  
وكانوا اذا شاءوا ، طلبوا اليه امرأة أو امرأتين حسبما يكون عددهم  
يوم يطلبون ، وكان عبد الجواد أفندي يهيئ لهم كل ما يحتاج  
اليه الأمر من غرفة الى غير الغرفة ، وكان سعد دائما يشاركهم في  
هذه الاجتماعات ، فما يفت ذلك في عضده ، أو يثنيه عن ذلك  
القصص الذي يرويهِ عن النساء .

وكان حسام من أهم أعضاء الندوة ، وما كان حبه لهناء ليمنعه  
عن شيء مما يفعلون ، فقد كان الأمران في ذهنه مختلفين كل  
الاختلاف ، وقد كانت هذه الطريقة في التفكير مسيطرة على أذهان  
اخوانه جميعا . فهناء حب وزواج وبيت وأولاد وصلاح وتقوى ،  
وأما بار الشباب وعبد الجواد أفندي فضحك ومزاح وسخرية من  
كل شيء واقبال على كل شيء ، واستقبال للحياة كأروع ما تستقبل  
الحياة ، فما عرف هؤلاء الأصدقاء أحلى من هذه اللحظات التي  
كنت تجمعهم مهما يكن سبب اجتماعهم هذا .

وقد كان حسام لا يجرى وراء امرأة ، ولا يستخدم سيارته في  
تصيد محبات السيارات ، فما كان يحب من النساء الا هناء ..  
والا ما يحضره عبد الجواد أفندى وبتوصية من الاخوان ، وبحيث  
يشارك هو في الموضوع بالمقدار الذى يشاركون به . ثم لا يهتم  
بأمر من النساء بعد ذلك أبدا .

ولم يكن « بار الشباب » مكانا لا تقدم فيه الا الخمر ، بل ان  
الصحاب قليلا ما تناولوا الخمر ، فان فكروا فيها فالمسامة العازف  
عن الشيء لا يوغل فيه . وكذلك كان شأن حسام ، فما أحب  
الخمر يوما ، وما شربها الا مكرها ليجارى الرفاق ، ولا يتخلف  
عن شيء يفعلون ، ولكنه لم يزد ، لأنهم هم لم يزدوا الى الدرجة  
التي تتحول بهم من حساة الى سكارى .

قصد حسام الى بار الشباب في يومه هذا ، فوجد الجميع قد  
سبقوه ، ووجدهم واجمين بعض شيء ، وسعد بينهم ، وأمامه  
كأس مترعة ، وعلى وجهه أمارات ألم يحاول أن يخفيها ، فقتحسر  
حينما عن وجهه لتبدو على وجوه اخوانه جميعا ، ثم يختطف الكأس  
فيفرغها في جوفه سريعا ، ويطلب أخرى ويتكلم في محاولة هزيلة  
للمرح لا تلبث أن تعيد الألم متقلبا بين وجهه ووجوه اخوانه ماثلا  
دائما في الجو المحيط بهم .

وقعد حسام باهتسا دون أن يدري ما هم فيه ، ولا ما يرويه  
عليهم سعد ، فما تعود من سعد أن يروى غير ما يزيل كربهم ويروح  
عنهم ، وسمعه يقول :

— أراكم متألين .. أيهمكم شأن هذه البنت .. ما أكثر

البنات اللواتي وقعن في حبي .. ألم يبق الا هذه القبيحة ، أنا لم  
يضايقني الا قولها يا « سمين » .. وكنت طول هذه السنوات أحبها ..  
وكنت أظنها تحبني .. هات كأسا أخسرى يا بنى .. و المصيبة أن  
أباها .. عمى هذا الجلف يطردنى من البيت .. أنا لم أصنع شيئا حتى  
يطردنى .. لم أصنع شيئا على الاطلاق ، ولكن كيف لم أصنع ! ..  
ان أبى فقير .. فقير كأبيها يا ناس ، ولكن جاءها الولد ومعه العربة  
فأنا سمين وأبى فقير بنت ال .. النهاية .. ولكن أبوها عمى .. يطردنى  
وأنا لم أفل شيئا ، طردنى والله ، لأنى أنتقد أن تخرج بنت عمى  
وحتها مع شخص غريب .. كفرت .. ؟ ! هات كأسا يا بنى ..

وقال حسام :

— لا تحضر شيئا يا ينى .. ما دخل ينى في هذا الذى ترويه ؟

وسالت الدموع على خدى سعد الكبيرين :

— تصور يا حسام ، من أجل سيارة .. سيارة أقل من سيارتك  
بكثير .. يطردنى الرجل من بيته ، وتقول هى ما شأنك يا سمين ..  
أين الكأس يا ينى ؟

— يا أخى اترك ينى .. وقسم .. قوموا يا أولاد .. سنركب  
سيارتى ونمر بها عند بيتها ، وسأجعلك أنت تقود السيارة ..  
ويقول سعد نائرا :

— أنا .. أنا أذهب الى بيتها .. أو في شارع بيتها ثانية .. أبدا  
أين الكأس يا ينى .. أنت عارف يا حسام كم امرأة وقعت في  
غرامى ، ولكنى كنت أحبها .. أحبها هى .. مالكم هكذا ؟ اضحكوا  
ماذا ؟ أهى مصيبة ؟

وأحضر ينى الكأس أخيرا ، وحاول حسام أن يمنعه من تقديمها ،  
ولكن سميح مال الى أذنه وقال له :

— أتركه يشرب ، فإن الخمر تريخ فى مثل هذه الأحوال •  
وتترك حسام الكأس تأخذ طريقها الى سعد ، وقال هو لسعد :  
— فى رجلك •• والله ان « زعلت » تكن امرأة •• أى امرأة تلك  
التي تبكى من أجلها •• نصف نساء البلد يحببنك •

ودارت أنظار الصحاب الى حسام يعجبون من جرأته فى  
الكذب ، وزاد عجبهم من سعد أن صدق هذا الكذب وهو يقول  
فى بعض راحة :

— أنت تعرف ذلك ، أليس كذلك ؟

وقال حسام :

— وكلنا يعرفه •• أين عبد الجواد أفندى •• أين عبد الجواد  
يا سميح ؟ ألم تره اليوم ؟

وانصرفت الجماعة الى البحث عن عبد الجواد أفندى ، حتى  
إذا ما عثرت عليه راحوا يهيئون معه سهرة الليلة ، فانشغل معهم  
سعد فاسيا أمر عمة وحبه الضائع ، ولم يعد يذكر شيئا الا  
عبد الجواد أفندى وما يعده لهم •

( ٢٠ )

كانت هناء قد اختلست التليفون الى حجرتها ، وأقفلت رتاجها  
فأمنت أن يعتدي أحد على خلوتها وأقامت تنتظر .. ولم يطل بها  
الانتظار ، فقد دق جرس التليفون ، قرععت السماعة ، ولسكتها لم  
تسمع من الطرف الآخر صوتا حتى قالت هي :

— نعم .

وتكلم الصوت همسا كمن يريد أن يخفى حقيقة خبراته :

— هناء .

وقالت هناء :

— نعم .

— كيف أنت ؟

— الحمد لله .

— هل أقلقتك ؟

— لا أبداً .. ما أخبارك ؟

— لا أخبار .. لم يطلع الفجر بعد ، ولكنه سيطلع حتما على  
هذا المجتمع الآسن ، وعلى هذه العقول الرجعية الجامدة .

— قل لي يا فوزي ، أنا أعرف أنك ذكي ، ولكن ألا يعجبك

أحد آخر في هذه الدنيا ؟

— أنت .

— فقط ؟

— فقط .. الآخرون كلهم يتبعوننى فى إفهامهم • انهم يخشون الحقيقة .. انهم مقيدون برجعتهم ..

— كلهم ؟ !

— كلهم الا أنت .. أنت .. أنا معجب بك .. معجب بعقلك !! أنت غير الناس الذين أراهم فى بيتك جميعا ، ان أفكارك تقدمية واعية ، وتقبلين الآراء الحرة فى جرأة •

— أفكارى أحسن من جميع الذين تراهم •

— جميعا •

— حتى جعفر •

— أغرك هذا التفاهة بحديثه المنمق .. أم لعله يعجبك لأنه غنى وابن باشا .. طبعاً هذه مسائل أخرى لا طاقة لنا بها •

— على العكس .. أنا أرى أنه لا عيب به الا غناه •

وقال فوزى :

— أترى هذا رأيك حقاً ؟ أم أنك تجاملينى ؟

— بل أنت تعرف أنه رأى •

— أنت أعظم الناس .. ولكن لماذا .. لماذا يا هناء .. لماذا

تكرهين الغنى ؟

— أكره المال .. أكره لأنه .. أكرهه والسلام .. ما يهمك

أنت .. ؟

— متى أراك ؟

— غدا •



- الساعة السادسة ؟
- الساعة السادسة •
- في نفس المكان ؟
- ولم لا ؟
- والله لا أعرف •• أخاف أن يرانا أحد •
- أنا لا أراك تخاف أحدا •
- أنا لا يهمنى أحد الا أنت •• أنت وحدك التى أهتم بها ••
- وأحيالها ••• أنت •
- على مهلك •• إن كلامك هذا يناقض أفكارك واتجاهاتك •
- وما هى أفكارى واتجاهاتى ؟
- أنت تقول : إنك تحب أن ترانى لأنك معجب بعقليتى ، وتحب أن يلتقى عقلانا بعيدا عن أعين الناس وعن تفاهاتهم •
- وهل يمنع هذا من الحب •• ؟
- ولكن الحب ضعف وتخاذل وإبعاد عن التفكير العملى السليم ، ووقف ليكانيكية الحياة ، والحب عاطفة ، والعاطفة تفسد الأعمال الكبرى التى يجب أن نضطلع بها فى هذه الفترة •
- ولكن ماذا يمكن أن نفعل •• كيف نتحكم فى قلوبنا ؟
- عجيبة •• أتسألنى يا أستاذ •• أنا أعيد ما أسمعه منك ••
- حين نلتقى نبحث فى هذا •
- أمرك يا أستاذ •
- فى نفس المكان ؟
- فى نفس المكان •

## ( ٢١ )

كانت الأضواء المتهاففة تنبعث من المصابيح في خوف ، فما يستطيع نورها أن يفسح لنفسه مكانا وسط الظلام ، فالمكان مرتعش الضياء ، تتبين فيه الهياكل والشخوص ، ولا تتبين الملامح أو القسمات •

وكان فوزى جالسا مع بعض شباب آخرين تبدو على وجوههم سيماء الاهتمام الكبير •• منهم من يصطنع هذا الاهتمام ، ومنهم من لا يستطيع أن يضع على وجهه تعبيرا آخر غير هذا ، لأن وجهه جاد بطبيعته ، فما يملك أن يكسبه غير ما يكسوه من حزم وصرامة ، ويبدو بعض منهم آخر مهتما غاية الاهتمام بما يتخذه من هيئة وأردية ، فالقميص أسود ، ورباط العنق أحمر ، وشنعر رأسه كث غزير ، وعيناه تستقران وراء منظار ، وهو لا ينسى بين هنيئة وأخرى أن يرفع إحدى يديه إلى شيء من هذا المهرجان الذي يتخذه •• فقد يصلح شأن رباطا رقبتة ، أو قد يمسك بطرف نظارته في وقار شديد ، أو يمر براحته على شعره ، وهو يأتي جميع هذا متظاهرا بأنه لا يهتم بشأن شيء مما يتفقده ، ولكن هذه اللمسة الصغيرة تبين لمن يراه أنه لا يهتم إلا بشعره وقميصه ورباطه ونظارته •

وكان المكان زاخرا بالهمس ، يتجمع فيصبح ضجيجا لا ترتاح إليه الأذن • وكان فوزى منهمكا في حديث مع بعض إخوانه حين أحس بهذه الضجة ، فلم يلبث أن نظر في ساعته ثم قال :

— أيها الرفاق ، اجتماعنا اليوم مهم غاية الأهمية ، فالرفيق زكى قد عاد من موسكو ، وسيروى علينا ما شاهدته هناك ، وما يجب علينا أن نفعله حتى نصل إلى الكمال المذهبي .. ولكن ينقصنا واحد ، هو الرفيق صالح .

وحينئذ قال أحد الرفاق في جد :

— طالما قلنا إن الرفيق صالح لا يصلح لنا ، ونحن حين نقبله نخالف تعاليم أحد فلاسفتنا ، وأظنه انجلز الذى يعتقد إن ضم الأغنياء إلى حظيرتنا خطأ كبير ، لأنهم يضطرون إلى معارضة مصالحهم الشخصية ، ولأن العدالة التى نهدف إليها لا بد أن تصيبهم هم إصابة بالغة .

ورد فوزى فى إصرار مدافعا عن صديقه أحمد .. فلم يكن صالح هذا الغائب إلا أحمد فى اسمه الحركى ، قال فوزى :

— إن الرفيق صالح معنا منذ وقت طويل ، وقد أثبت جدارته فى أشياء كثيرة ولا نغسى أنه كان يمدنا بالمال ، حين كان المال يتأخر عنا ، ثم أنت تنسى أن مولوتوف من الأغنياء .  
— هذا خطأ لا بد أنه سيصحح .

— أظن أننا لم نصل إلى درجة انتقاد الحزب .  
وقبل أن يتمادى بهم النقاش ، دخل أحمد وهو يقول :

— أنا آسف أيها الرفاق تأخرت مرغما .

وسارع فوزى قائلا :

— لا بأس يا أحمد .. يا رفيق صالح ، آنا لنا أن نسمع إلى الرفيق زكى .. أيسمح حضرة المسئول بأن يطلب إليه الكلام .

ووقف في صدر القاعة شاب قصير القامة ، يضع على عينيه نظارة  
سوداء قاتمة ، وتكاد النظارة تخفى خديه الغائرين اللذين يحيطان  
بفم دقيق ، فيه صرامة ، وفيه احتقار لكل شيء ، وفيه حقد على  
كل شيء .

ذاك هو المسئول ، وهو رئيس هذه الخلية . . وقف فلم يزد على  
أن قال :

— الرفيق زكى يتفضل .

ولكن أحدا لم يتقدم .

فقال المسئول مرة أخرى :

— الرفيق زكى .

فامتدت أيد كثيرة إلى ذراع شاب طويل القامة ، أشهب اللون ،  
مشدود جلد الوجه ، جامد القسمات ، فقال في تودة قائلا :

— أيها الاخوان ، إن اسمى فؤاد زين العابدين .

فثارت في القاعة ضجة كبيرة ، ودق المسئول النضد الذي أمامه  
بعنف وقال :

— تنبه الرفيق زكى إنه يفشى سرا ما كان له أن يبوح به .

فاستأنف فؤاد حديثه وكأنه لم يسمع شيئا :

— إن اسمى هو فؤاد زين العابدين ، وكلكم يعرف ذلك ، وقد  
قصدت أن أجيء اليوم إليكم لأكشف عن عيونكم عصابة من الجهل . .  
أنتم في خطر . .

وثار الضجة مرة أخرى ، وقال المسئول بعد أن دق  
النضد :

— إذا كانت السلطات العاشمة تبحث عنا ، فليس للرفيق أن يفضى بهذا للرفاق ، وإنما كان عليه أن يبلغنى أنا لأبلغ المحترف ونتلقى منه الأوامر •

وقال فؤاد دون أن يلتفت إلى المسئول :

— إن الخطر فى أنفسكم •• لقد جئت منذ أيام قليلة ، ولا أعرف شيئاً عن السلطات هنا •• أيها الاخوان ، من شاء منكم أن يتخلى عن إنسانيته ، ومن يشأ منكم أن يصبح قطعة حقيرة من جماد ، ليس فيها من مشاعر الانسانية إلا شعور الخوف المراعى ، والفرع والقلق . ومن يشأ منكم أن يصبح شيئاً بلا حرية ولا شعور ولا تفكير ، شيئاً ليس فيه بقية من آدمية إلا أن يسمع فيطمع ، وإلا أن يظل مرتعشاً أن يكون قد أخطأ السمع ، أو أخطأ الطاعة ، من يشأ أن يفقد إنسانيته جميعاً •• من يشأ أن يصبح كذلك ، فليظل على هذا المذهب الذى تعتنقون •

وثارت الأصوات بالقاعة ، فمن قائل « مروق » ومن قائل « خيانة » ومن قائل « برجوازية » ومن قائل « انحلال » ومن قائل « رجعية » •

وثار بالقاعة أيضاً جو قائم عقد السنة كثيرة من الخوف ، وعقد السنة أخرى من الدهشة •• حتى المسئول ظل فترة طويلة لا يملك زمام نفسه ، ثم اقتبى آخر الأمر إلى موقفه هذا ، فهدق النفسد بيده ، ثم قال :

— نعتقد أن الرفيق •• آسف أن فؤاد زين العابدين قد أصبح برجوازيًا ، وأنه اتصل بأصحاب المذاهب الرجعية ، وبهذا أصبح خارجاً عن خليتي ، وإنى أعلن فصله عنا •

واكمل فؤاد حديثه :

— الادميون هناك لا قيمة لهم .. لقد قال لى بعضهم : إنهم يحيون شعور الخوف ويغذونه في أنفسهم ، لأنه الشعور الوحيد الذى يربطهم بالآدمية ، وهم لا يريدون أن يتخلوا عن آدميتهم .. لا يريدون برغم اصرار السلطات على افقادهم لهذه الآدمية .. الانسانية التى يتغنى بها المذهب لا وجود لها على الاطلاق .. هناك كل شيء إلا الانسانية .. الانسان قطعة من المهمل .. السلطة تهتم بمسار فى آلة أكثر من اهتمامها بحياة انسان .. الفقر مدقع ، والحكام يعيشون فى بذخ دونه بذخ القياصرة .. كل ما يتغنون به من حقوق الانسان كلام أجوف لا تطبيق له .. الأفراد والأسر يعيشون عيشة الحيوانات المذعورة التى تعلم أن الصياد وراءها دائما ، والصياد لا يرتاح ، والحيوانات لا تستقر .. الخوف والرعب هما كلا لحياة ، المقدسات لا وجود لها .. أيها الاخوان ، لو لم أر هناك إلا الخوف والرعب اللذين يحيا فيهما القوم لكان هذا كافيا لأن أعتزل مذهبهم .. أيها الاخوان ، سأترككم بعد أن ألقى عليكم تحية الاسلام دين المشورة ، ودين الأمن والاستقرار وأرجو أن تجيبوا تحيتى وتتبعونى إلى الهواء الطلق .. السلام عليكم ورحمة الله .

وبهذه الجملة الخطابية خرج فؤاد من القاعة فى هدوء ، وكأنه لم يستثر كل هذه المشاعر .. وران الصمت على القوم .. صمت حائر لا يدرون أيصدقون هذا الوافد عليهم من مصدر مذهبهم ، أم لا يحفلون بما قال .. تزعزعت الثقة فى النفوس ، ولكن المسئول سارع قائلا :

— لا شك أنكم تعرفون أننا نحارب بكل الوسائل والطرق ،  
ولا شك أنكم قد سمعتم هذا الكلام قبل اليوم ، فهو كلام أعدائنا ،  
ولقد انضممنا إلى هذا المذهب بعد أن وثقنا به كل الثقة • فإذا كان  
لهذا الحديث الذى سمعناه الآن أى أثر فى نفوسنا فمعنى ذلك أننا  
نستهين بعقولنا ، ونستهين بكرامتنا ، وبمبادئنا • • ولا أظن أننا  
ضعاف انعقيدة لدرجة أن حديثنا كهذا يجعلنا نشك فى المبدأ الذى  
ضحينا فى سبيله بكل شيء •

والتممت ابتسامة على شفتى فوزى ، فهو يعلم أن المسئول لم  
يضح بشيء إلا بتوقيع شهرى يقبض فى مقابله مبلغا من المال ضخما ،  
ولكن هذا لم يمنعه أن يقول :

— بطبيعة الحال أيها الرفيق ، هذا كلام انحلالي ، رجعى ،  
برجوازى ، وإننا نسمعه كل يوم ، فنرجو منك أن تعتبر الأمر كأن لم  
يكن ، وتدخل فى جدول الأعمال •

وكانت طيح التائه راح الآخرون يرفعون ثغاءهم مؤيدين قول  
فوزى ، وأخذ المسئول فى حديث آخر • • حديث متخبط ، فما كان  
يدرى ماذا يقول ، بعد أن أفسد عليه فؤاد برنامج الليلة •

وانتهى الاجتماع ، وخرج أحمد ، مسرعا متجاهلا نظرات فوزى  
إليه ، التى كانت تدعوه لينتظره ، لم يكن يريد أحدا ليسير معه • •  
كان يريد أن يخلو لنفسه •

يبدو على فؤاد زين العابدين أنه صادق فيما قال ، ولكن كيف يترك  
الخلية • • ماذا يصبح إذن ؟ • • إنها كل شيء له • • كيف يترك هذا  
العمل الكبير • • أهو العمل الكبير الذى يجذبه إليها ، أم تلك التهاوى

والطقوس ، أهو العمل الكبير ما يجذب به إليها ، أم أنه أصبح وله اسم آخر ، وأنه يتخفى من العيون ، وأن عيون السلطات تتابعه ، وأنه ذو أهمية بالغة في دوائر الحكومة والأمن العام . إنه يهرب إلى هذا المذهب من الفراغ الذي يعانيه في حياته ، إنه يهرب إلى الرفاق من فشله في كل شيء حاوله ، وهو الذي لم يعرف في بيته الفشل أبدا ، لم يسمع كلمة « لا » في بيته أبدا ، ولكنه سمعها حين أراد أن يكون موسيقيا ، وسمعها حين أراد أن يكون رساما ، وسمعها حين أراد أن يكون كاتباً . . . سمع « لا » صارمة ليس فيها رقة ولا مجاملة . . . لقد رفضه الفن . . . ولم تقبله من جنبات الحياة إلا هذه الخلية التي يستخفى فيها من حقيقة فشله ، ومن حقيقة الحياة التي أبت أن تعطيه إلا مالا ضخما هو أمه ، دون حتى أن تكمل هبتها بأب يستطيع أن يحترمه . . . ويله من أبيه . . . إنه هو من جر عليه كل هذا البلاء الذي يعانيه . . . إنه أب بلا ضمير ، بلا كرامة . . . بلا تقدير لأي معنى كريم . . . لما إذا أعطى الطبيعة لجعفر أبا مثل وصفى باشا ، وتدخل عليه بأب شبيه . . . لقد كان يريد أي أب يحترمه . . . لا ضرورة أن يكون باشا ، ليكن مثل عمه سامي زوج خالته . . . إنه رجل محترم . . . ولكن هذا الأب الذي رماه به الزمان والذي يأبى أن يحترم نفسه في أي مكان . . . حتى في وظيفته حقير . . . إنه أوشك أن يلوث وصفى باشا . . . بل إن جريدة معارضة لوصفى باشا عرضت برشوة معينة . . . أخزاه الله . . . لقد كفرت بالله من أجله . . . لم أتصور أن يقول الله العالم بعباده إن الرجال قوامون على النساء . . . أمثل هذا يكون قواما على أمي . . . في أي شريعة يكون ذلك . . . لا . . . أنا كافر بهذا الدين ، وكافر بهذا الله الذي يقول إن أبي قوام على أمي . . . والذي يقول وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة . . . أخفضه لأمي . . . نعم ، ولكن



لأبى هذا .. كيف ؟ .. ألا أقول له أف .. أقسم .. أقسم بماذا ! ..  
أقسم بشرفى أننى أقول أف كلما ذكرت أبى .. أقولها فى نفسى ولو  
كانت لى بعض جرأة لواجهته بها .. بل إنى كثيرا ما أجيب حديثه  
بشئ من الكبر .. لا .. لا أستطيع أن أحترمه .. ولا أن أحترم ديننا  
يحترمه .. كيف أترك مذهبي إذن ؟ .. وإلى أين مصيرى إن تركته ..  
فى أى ناحية من نواحي الحياة يكون تفوقى .. الشهادة الجامعية  
فى يد الآلاف ، لا بد أن أكون شيئا غير هذه الشهادة ، وأى شئ يمكن  
أن أكون ؟ لا مكان لى إلا هذه الخلية .. هى مجدى .. وهى  
مجالى .. وليقل فؤاد ما يشاء أن يقول ، فما أستطيع أن أطيعه ..  
لا .. لا أستطيع .

## ( ٢٢ )

على المقاعد الحجرية .. فى مرفأ القارب .. جلس فوزى مطرقا  
مفكرا .. أيستطيع ان يصل ؟ وكيف ؟ أتصبح هناء ابنة سهر  
هانم ابنة أحمد باشا شكرى لى ؟ .. أيمكن هذا ؟ .. ولم لا ؟ وإلا فما  
مجيئها إلى ، وما اهتمامها بى ؟ وحرصها على حديثى .. نعم ، ولكن  
أيمكن هذا ؟ أنسيت من أنا ؟ وكيف تلتقى بأمى وأبى ؟ كيف ؟ أبى !!  
أبى ذلك الرجل الذى لم أعرف فى يوم من الأيام نوع تفصيل الحلة  
التي يلبسها ، ذلك الموظف الصغير .. الصغير جدا بوزارة الأوقاف ،  
والكبير .. الكبير جدا فى العمر يصبح حما هناء .. وأمى .. ماذا  
هى قائلة لها ؟ .. أمى تصبح حماتها ؟ أمى التى لم أسمعها يوما تتحدث  
إلا عن مهارتها فى صنع اللوخية .. كيف أصل بينها وبين هناء ، وفى  
أى موضوع يمكن أن يدور الحديث بينهما ، وكيف ستحس أمى بالراحة  
وهى تتحدث إلى هناء .. وأبى .. نعم عودة إلى أبى .. ذلك الرجل  
الذى لا يزال كل بضعة أيام يدخل إلينا شاحب الوجه ، مضطرب  
الحديث ، راعش الأوصال ، فنعرِف أن رئيس القلم — نعم رئيس  
القلم فقط — قد استدعاه ، وكلفه ببضعة أعمال .. أبى هذا يصبح  
حماها .. كيف سيحدثها ، كيف سيكون الحال بينهما .. كيف  
سيعاملها .. ؟ ما شأنى أنا بكيف سيعاملها ، وكيف ستعامله .. إنها  
ستصبح لى .. هى بكل أمجادها .. ومالى أخشى أن أقول .. هى  
بكل ثروتها .. أليس هذا التفكير برجوازيا .. نعم .. إنه يصبح

برجوازيا لو أفصحت عنه ، ولكن ما دام في نفسي لا تعرف به إلا نفسي ، فهو بعيد عن البرجوازية كل البعد .. أظن أنني كنت موافقا كل التوفيق في التأثير عليها ، وما أظن إلا أنها ستقبلني ..

ولكن ماذا هي قائلة لأبيها .. أقصد لأمها ، فما أبوها بذى شأن .. لا أدري .. ولكن أترضى بي ؟ .. ولم لا ؟ .. إنها خيالية في تفكيرها ، وقد تقبل الزواج لتحقيق آمالها من الزواج بفقير .. ما الذي يدعوها إلى هذا .. لعله زواج أمها الفاشل ، ولكن أياها نفسه فقير بالنسبة لأمها فيما أعلم ، لا أدري .. إن للأغنياء جنونا .. وما أحب هذا الجنون إلى .. فبسه أستطيع أن أصل إلى الأمل المنشود .. وما لي ولأمي حينذاك ولأبي .. على أن أشق طريقى في الحياة .. فإذا تزوجتها فطريقى رغد وهناء ..

وقطعت هباء تفكيره بقدمها :

— هباء ..

— تأخرت عليك ؟

— نعم ..

— دقائق ..

— هي عندي سنوات ..

— لا .. كنت أنتظر تعبيراً جديداً ..

— وأى جديد تريد ؟

— لا أدري ، ولكن هذا التعبير استعمل كثيراً ..

— وما أدراك ؟

— اقرا ..

— آه .. صحيح .. نسيت أنك تكثرين من القراءة .. فأنت من قراءتك في أحلام لا تنتهى •

— وأنت ، ألا تقرأ ؟

— بالنقدر اللزوم .. فالقراءة البرجوازية تفسد الأفكار •

— أهنأك قراءة برجوازية ؟

— نعم قراءة القصص •

— كل القصص ؟

— لا بالطبع .. القصص التى لا تتحدث إلا عن الحب والعشق

والهيام .. هذه قصص لا فائدة منها •

— أرايت ؟! ومع ذلك تحدثنى عن الحب ؟

— نعم •

— كيف ؟

— هذه مشاعر لا يمكن التحكم فيها •

— ولكن هذا يخالف مبدأك ؟

— لا أبدا .. أنا أقصد الحب غير عملى .. أما حبى لك فعملى

واضح .. ولولا أننى أخشى من أشياء كثيرة لطلبت يدك •

وأطرقت هناء فى خجل ، وأكمل هو حديثه :

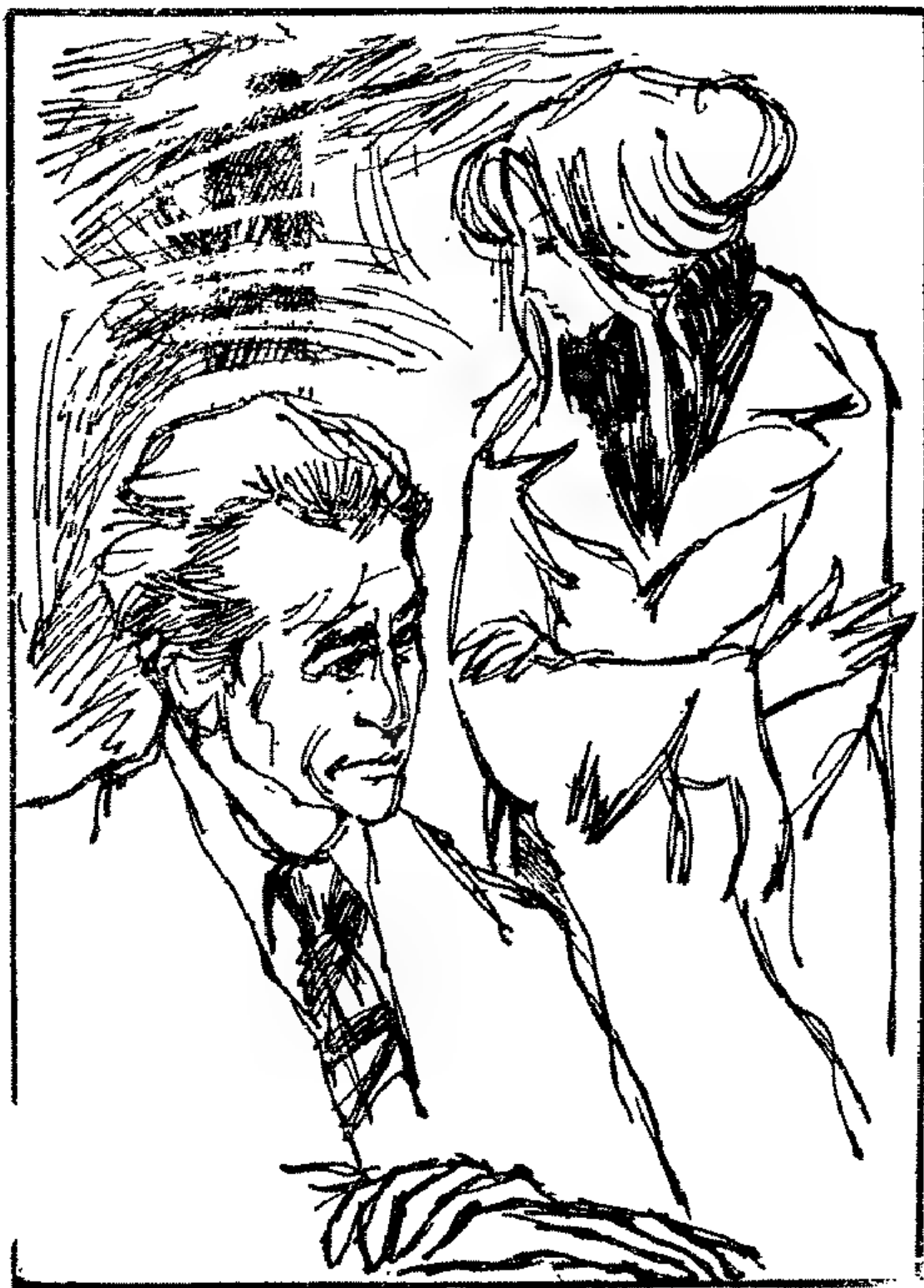
— إن ذكاءك أعظم من الخجل •

وظللت هناء على خجلها ، واستطرد هو :

— طبعاً يا ستى .. وأين أنا من حسام ، أو من جعفر ، أو من

هؤلاء الأغنياء الذين يتمنون رضاك .. أنا رجل فقير ، أبى موظف

صغير ، وسيظل صغيراً إلى أن يخرج إلى المعاش ، وأمى امرأة



بسيطة ، وكل ثروتنا لا تتعدى نصف البيت الذى نعيش فيه ومرتب  
أبى ، أين أنا .. ؟

وأحسن فوزى أنه يمسك بالخيط البالغ إلى قلبها ، فلم يترك هذا  
الحديث ، واندفع فيه فى اسهاب وقدره واستغراق ، حتى لم يحس  
بسيده ، وهو يطل عليهما من الحديقة ، ولم يحس به وهو ينصرف  
عنهما .. لم يحس شيئاً من ذلك ، ولم يسكت إلا حين رفعت هباء  
وجهها عن الأرض ، والتفت العيون •



كانت سهر جالسة بالدور الأعلى حين أقبل عليها عم دهب ، فعجبت  
من صعوده ، فما تعود ذلك إلا إذا كان يريد أمرا هاما •

— خير يا عم دهب •

— والله يا ست لا أدري •

— وكيف لا تدري ؟

— السيد بن عبدا لبديع أفندى •

— ماله ؟

— يريد أن يقابل سعادتك •

— يقابلنى أنا ؟

— نعم •

— لماذا ؟

— والله لقد رفض أن يقول لى .. رفض رفضا باتا لم أتعوده منه

طول عمره •

— عجيبة .. دعه يصعد .

ولم يتكلف عم ذهب أكثر من أن نادى :

— يا سيد أفندى .

ورجع صدى صوته بسيد ، وحيا السيد سهير في أدب ، ثم نظر إلى عم ذهب الذى انصرف متعجبا ، وأقفل السيد باب الحجرة ، ووقف فى اضطراب ، وقد أخذت لحيته ترتعش مع شفته ، حتى استطاع أخيرا أن يقول :

— يا ستى سهير ، أنا وأبى وجدى تشأنا فى بيتكم ، فإن لم نحفظ لكم الفضل ، فنحن كفار .

— قل يا سيد ما تريد .

— ستى هناء ..

وفرجت سهير فاها ، وأنعمت فيه النظر فى دهش ، واستطاعت بصعوبة أن تقول :

— مالها ؟

— والله يا ستى أنا حائر لا أدري ماذا أقول ، ولكنى أيضا لا أستطيع أن أسكت .

وقالت سهير وهى واجفة لا تزال :

— قل مالها .

— إنها تلتقى منذ زمن بعيد بفوزى صديق أحمد بك .

— ماذا ؟

— وفوزى هذا ولد ضائع .. وقد رأيتهما الآن معا .. يا ستى أنا آسف ، ولكنى لم أستطع أن أسكت .

وقالت سهير ذاهلة :

— أشكرك يا سيد •

— أستاذن يا ست هانم •

واستدار السيد يريد أن ينصرف ، فاذا الباب يفتح ، وتدخل منه هناء ، فيتتحى السيد عن فرجة الباب ويطرق برأسه إلى الأرض ، وتنظر إليه هناء بدهشة بالغة ، وتظل رائية إليه لحظات ، ثم يبين على وجهها كأنها فهمت ، فتصرف عنه عينا وتدخل الحجرة ، ويخرج هو متعثرا مطرقا لم يرفع رأسه •

ونظرت هناء إلى أمها ، فوثقت أن ما فهمته هو الحقيقة .. ووجدت هناء نفسها مضطربة ، فقد كانت تعد نفسها لأن تقول هي لأمها ما انتوت .. أما أن يسبقها النبا .. وتلاقيها أمها بهذا الوجه المكفر • فهذا ما لم تكن تتوقع .. ولكن ما يهم .. أنها قد عزمت .. قالت الأم :

— أصحيح ما سمعت يا هناء ؟

وقالت هناء فى حزم :

— نعم •

— صحيح ؟

— نعم •

— كيف .. كيف يحدث هذا ؟

— أليس لى الحق أن أختار ؟

— تختارين ولدا ضائعا فقيرا لا يملك شيئا ؟



وقالت هناء في ثورة :

— أنا أكره المال .. أنا أكره المال وسيرة المال .. أبى تزوجك  
من أجل المال فقط ، فانظري إلى حياتك .. أبى لا يهتم بغير المال ..  
جمع المال وبدد احترامنا له .. وفقد احترامك .. وفقد احترام  
الخدم .. أنا أكره المال .. أكرهه .. لا أحب الغنى ، ولا أحب  
الأغنياء ، ولا أريد المال .. لا أريد المال .

وظفرت الدموع من عيني سهر ، ولكنها تماكنت أمر نفسها سريعا ،  
وجففت دموعها ، محاولة أن تخفى الدموع ، وتخفيها عن ابنتها ،  
وحاولت ببقايا روحها المبهورة الكسيرة أن تلتقى بابنتها في ثورة  
كثورتها !

— حمق .. حمق هذا الذي تقولين .. حمق وخرافة .. إن كان  
أبوك قد تزوجني من أجل المال ففسدت حياتي ، فلأى سبب تعتقد  
أن هذا الولد يطلبك .

— لا أدري لأى سبب ، ولكن ليس من أجل المال .

— أيتها الحمقاء .. كيف تعرفين ؟

— أنا لست طفلة .. كلامه لا يدل على أنه يريد مالا ..

— لن يكون هذا .. لن يكون هذا أبدا .

وقالت هناء في حزم :

— أظن أنه يحسن أن يتم هذا برضاك .

وفطنت سهر لما تقصد إليه ابنتها ، ولكنها لم تصدق ما سمعت ،

فهي تقول :

— ماذا تقولين ؟

وأعاده هناء الحديث في إصرار :

— نعم يحسن أن يتم هذا برضاك •

وقالت الأم ذاهلة •

— ألهذا الحد ؟

وقالت هناء وهي على إصرارها لا تزال :

— نعم •

ثم تركت الغرفة ، وخرجت واثقة الخطوات ، حازمة القسمات ، وظلت أمها تنتظر إلى ظهرها وهو يغيب عنها ، فما ردها غيابه عن أن تظل مثبتة العينين إلى حيث اختفت ابنتها ، ذاهلة النظرة ، والهة حسرى ، تنتزى نفسها ألما وخوفاً وحيرة •

( ٢٣ )

كان أحمد جالسا في حجرة مكتبه حين دخل إليه السيد حليق اللحية ، لا يزال الدم ينهمر من مواضع كثيرة في وجهه ، من أثر السرعة التي أزال بها لحيته ، وكانت عيناه تائهتين في نظرة هالعة ، وجسمه جميعه ينتفض في خوف راعد ، ولم يلتفت أحمد من أمره إلا إلى هذا الجديد الذي طرأ عليه ، فقال في سخرية ضاحكة :

— الله .. شيخ سيد .. ففك .. أين المرحومة ؟

وأجاب سيد في هلع غير مكترث بمزاح أحمد :

— أحمد .. البوليس يبحث عنى .

وارتسمت على وجه أحمد أمارات الجذو وهو يقول :

— ماذا ؟؟ .. البوليس ؟ لماذا ؟

— منذ مقتل النقراشى والحكومة تقبض على أفراد الجماعة

جميعهم .

وضحك أحمد محاولا أن يهدىء من روع السيد ، وقال له :

— ما هذا الكلام ؟ .. وأنت ما دخلك بمقتل النقراشى ؟

— لقد قبض على جميع زملائى ، وأعتقد أنهم سيقبضون على

حالا .. أحسن طريقة أن أترك البيت .

وقال أحمد ساخرا ، فما كان يعتقد أن للسيد هذه الأهمية

كلها :

— ما هذا الكلام الفارغ ؟ .. أنت تخيف نفسك بلا مبرر .. وعلى كل حال ماذا تريد أن تفعل ؟

— أريد أن أهرب ، وسأ اتصل بك يوميا في التليفون ، فإذا لم أتصل بك يوماً فاعلم أنهم قبضوا على ، واتصل بوصفى باشا فوراً .  
— وصفى باشا ؟

— قل له إننى سأترك الاخوان .. أرجوك يا أحمد ، أنت لا تعرف مقدار شقائى بالسجن إن أنا سجننت ، أنا أمل عائلة ، ونحن قسوم نريد أن نعيش ياسى أحمد ، وقد كان طيشاً وسأتركه ، أرجوك يا أحمد بك .

— يا أخى ، أنت لا تحتاج إلى هذا الرجاء الطويل .. وماذا نظنتى كنت فاعلاً .. طبعاً كنت سأذهب إلى وصفى باشا .

— طيب سلام عليكم .

— وعليكم السلام .. أنتظر .. أين ستختفى ؟

— هل معك نظارة سوداء ؟

— نعم ها هى ذى .. أين ستختفى ؟

— لا أدري .. قد أخبرك حين أتصل بك .

— وكم معك ؟

— ماذا ؟ فلوس ؟ معى جنيهان ؟

— مبلغ لا يكفى طبعاً .. خذ .. أنا ليس معى إلا أربعة جنيهاً ، خذها .

— شكراً .. أظن أن ما معى يكفى .

— خذ .. وحين تكلمنى أكون قد أعددت لك مبلغاً آخر .

وأخذ السيد الجفنيهاً الأربعة ، واستدار ليترك الغرفة ، ولكن الباب فتح ودخل منه ضابط وشرطيان ، ونظر السيد إلى أحمد يائساً ، ونظر أحمد إليه دهشاً ، فقد كان يظن أنه يصفى على نفسه من الأهمية ما لا يتمتع به .

\* \* \*

استقبل وصفى أحمد متجهماً بعض الشيء ، الأمر الذي عجب له أحمد ، فما تعود منه هذا .. وسأله وصفى :

— خير ؟

— لقد قبض البوليس على السيد بن عبد البديع أفندي .  
— لماذا ؟ .. أهو من الجماعة ؟

— نعم .

— هيه .. ومتى سيقبضون عليك ؟

وفغر أحمد فاه وانفرجت عيناه عن نظرة دهشة واسعة :

— على أنا ؟

— نعم أنت .. أتظننى لا أعرف .. ألا تفكر فى أمك المسكينة ..  
أأست أنسانا ؟ .. ماذا جنت حتى تفعل بها هذا أنت وأختك ..  
ألا تعلمان أنها مريضة بالقلب .. ألا تخشى عليها أن تموت ؟

— أنا ، ماذا فعلت يا عمى ؟

— أنت شيوعى يا سى أحمد

ومست قلب أحمد فرحة أنه مثار اهتمام ، وأن عمه وصفى باشا يعرف أهميته ، ولكنه قال :

— من قال يا عمى ؟

— لا تحاول أن تتكر ..

— ولكن يا عمى ..

— وحياء والدك لا لزوم لهذه الطريقة الصبيانية ، أرجوك ..  
من أجل أمك .. أشفق عليها يا أخى من أجل مرضها على الأقل ..  
وئق يا أحمد أنه إذا قبض عليك ، فإنه يصعب جدا أن تعتمد على كما  
تريد أن تعتمد على الآن فى مسألة السيد \*

— والله يا عمى ..

— والله يا بنى أنا حذرتك وأنت حر . اترك حكاية السيد ، ولا تنتظر  
أن تنتهى بسرعة ، أمامها مدة \*

— شكرا يا عمى \*

— الشكر يكون بمراعاة أمك ياسى أحمد .. مع السلامة \*

كان القصر يزرح تحت رزء كبير ، فقد كان زواج هناء خطبا فادحا حاول الأب أن يمنعه بسلطته المتهاكمة فلم يستطع ، فقد أفهمته سهر أن الزواج في البيت برضاها خير من أن تخرج الفتاة عن طوعها للتزوج وحدها ، وتضعهما أمام الأمر الواقع ، ولن يجديهما يومذاك أن يلوذا إلى القضاء ، فأمامه ستعلن فضيحة ينبغي لها أن تستقر بل إن سهر أفضت إلى سليمان بما يراودها من خوف أن تخرج الفتاة عنهما بلا زواج على الإطلاق ، وما يراودها من خوف أن ينفرد بها هذا الصعلوك ، وينتهز فرصة مقاطعتها لها فلا يستطيعان لها عوناً إن هي احتاجت لعون . فاقنتع سليمان .

وحاول وصفى أن يعين سهر في محنتها ، وعرض عليها أن ينقل فوزى من وظيفته بالقاهرة إلى الأقاليم ، ولكن الرأي استقر بينهما على أن هذا لن يجدى في شيء .

وهكذا تم عقد القران في مأتم بلا معزين ، إلا أهل القائل وأهل القاتل ، فقد جاءت أم فوزى ، واستطاعت أن تريد النار اشتعالا في نفس سهر ، وإن كانت لم تستطع أن تجعلها تخرج عن صمتها اليائس الحزين ، فقد كانت أمه معجبة بنفسها ، تحاول جاهدة أن تصبح ندا لهذا البيت الذي تناسبه . أما الأب فقد كان أكثر ادراكا للموقف ، فاتخذ لنفسه مكانا قصيا ، وصمت حتى انتهت المراسم ، وغادر البيت وجلا كما دخله .

وأغضى سليمان على النار عرفها لأول مرة تتناش فؤاده ،  
وخجل أحمد من الهدية التي قدمها الى القصر ، ونسى حينذاك  
مبدأه وأفكاره وفلسفته ، وكره هذا اللص الذي تسرب تحت وقاء  
من الصداقة ، واختلس أخته في ضياب من النظريات والألفاظ  
البارقة ، والغش الخادع الخسيس •

ولم يكن أحمد ليغيبى أمر فوزى ، وإن يكن قد قبل أن تتوطد  
بيهما الصداقة • ولم يكن يتوقع أن أخته تقبل أن تلتقط هذا الفتى  
من عرض الطريق لتجعل منه زوجها لها ، وفي غفلة من عدم التوقع  
هذه لم ينتبه أحمد الى الذئب يجوس في عقر داره • وقد عزم أحمد  
على أن يقطع علاقته بفوزى ، ثم سمع هذا الحديث من أمه ، فعزم  
على أن يجعل صلته بفوزى بحيث لا ينتبه أحد الى انقطاعها ، وأصر  
في نفسه على ألا يدخل بيت أخته مهما تكن الأسباب والدواعى •

وكان موقف سميحة من هذا الزوج هو موقف أختها سهير ،  
وقد حزن في نفسها الألم الذي ترى آثاره على ابتها بياض النهار ،  
إذا رآته بياض النهار ، والذي ترى آثاره في غياب ابنها عن البيت  
الى أعماق الليل ، أو هلمات الصباح ، دون أن تدري أين يغيب ،  
الأمر الذى كانت تجهد نفسها أشد الجهد في اخفائه عن زوجها  
وتمويه حقيقته عليه •

وكان الخدم في القصر جميعهم يشعرون بالتعاسة التي تروح  
على القصر وساكنيه ، وكانوا يدرون مبعثها ، وكان حزنهم لها  
عميقا ، فقد كانوا يتمنون أن يفرحوا بستانهم هناء ، وقد كانوا  
يتمنون أن تتزوج من رجل يستطيعون أن يحترموه ، فما كان



زوجها أمامهم الا شخصا يتسقط على مائدة أحمد بك ، ثم لا شيء  
بعد ذلك .

هكذا كان القصر جميعه واقفا تحت هم واصب ثقیل ، فلم  
يضم بين جدرانہ الا شخصا واحدا لم يحفل هذا الاعراض وهكذا  
الحزن ، هو هناء نفسها . . فقد اندفعت في حماة زواجها كشيء  
ألقى بنفسه الى منحدر يصب في هاوية فما يفكر لأنه لم يعد يملك  
التفكير ، وما يرتد ، لأنه لم يرغب في هذا الارتداد . لم يكن حبها  
لفوزي حبا جارفا يقتلع العوارض والعراقل ، واكنها استطاعت  
مع ذلك أن تحطم كل ما وقف في سبيلها ، وهي نفسها عاجية لماذا  
تبذل كل هذا الجهد !! انها تعلم أنه ليس حبها لفوزي ما يثير في  
نفسها كل هذه القوة . كانت تظن أن كرهها لأبيها ولما أنزله بأمها  
هو ما يبعثها الى العنف والاصرار ، ولكنها كانت تعود فتفكر أنها  
هي نفسها بما تعمله تنزل بأمها أقصى ألوان العذاب ، وهي تعلم  
أنها مفئودة ، وأنها تتعرض بهذا العذاب الى نوبة قد تؤدي بها ،  
وتتفرق في عيني هناء الدموع اذا جرى بها التفكير الى هذا المتجه ،  
ولكنها تعود الى دموعها فتحبسها ، والى النسمة الهادئة التي  
تراوح قلبها فتعصف بها في قسوة ، ان كل هذا أهون من أن  
تتزوج شخصا لم تختره هي ، ولم تصل بينها وبينه أوشاج من  
الهوى ، مهما تكن أوشاجا هينة ، كهذه التي تربطها الى فوزي .  
ان هذا جميعه أهون من أن تختار أمها لها أو يختار أبوها ، لقد  
كانت خليفة أن تقبل حسام لو لم يكن ابن خالتها ، ولو لم يكن  
أبوها وأمها راغبين في تزويجها منه أشد الرغبة ، ولو لم يكن  
غنيا ، لقد كرهت الغنى كما قالت لأمها . . كرهته حين رأت أباه

ولا هم له إلا أن يصبح غنيا مهما يجنح به هذا العزم إلى انتهاب  
أموال أمها وخالتها التي لجأت آخر الأمر إلى زوجها أن يحميها ،  
ولن تنسى هناء يوم تمت القسمة بين أمها وبين خالتها ، ولن تنسى  
تلك الدموع التي سفحتها أمها ، مع أنها هي التي ألحت في تنفيذ  
هذه القسمة ، حتى تنقذ أختها من يد زوجها الغائلة ، وحتى تنقذ  
أولادها مما قد يكون بين سامي وسليمان من فضائح .. فقد كانت  
تعرف زوجها .

وتجمعت البواعث في نفس هناء ، ولم يكن أقواها حبها  
لزوجها ، ولكنها بواعث قد تعبرها عين الناظر إذا عرضت عليه  
متفرقة ، فان تجمعت جعلت من هناء هذا الاعصار الذي يدور  
في القصر فينفذ ما يشاء في تبجح هادئ ، فما كانت تحتاج إلى ثورة .

لم تكن لهناء من مطالب بعد أن تم عقد القران ، وحين فكرت  
أمها في جهازها ، سكبت دموعها غزيرة ، ان الله لم يشأ أن تفرح  
بجهاز عروس أبدا ، ان جهازها هي اختير لها ، ولم يكن لها فيه  
رأى ، وحين أنجبت هناء ، كانت تمنى نفسها أن تعوض في جهازها  
ما فوتته على نفسها أيام عرسها ، ولكن ها هي ذى ابنتها تخذل  
آمالها ، كما خذلت هي آمال نفسها حين تزوجت . وكانت سهر  
تحاول أن تخفف من ألمها بعض الشيء ، حين تهمس إلى نفسها أن  
لعل ابنتها تسعد في ظل زوج أحبته ، ولكنها حين تذكرت قسمة  
ابنتها وهي تفضي إليها باصرارها على الزواج ، وحين ترى ابنتها  
رائحة في البيت غادية ، جامدة النأمة ، صلبة الوجه ، وحين  
تراها مستسلمة لمصيرها هذا الذي اختارته .. وحين ترى فوزى  
وترى مقدار تبجحه على البيت ، واقباله على قوم يعلم أنهم

عازفون عنه .. حين تذكر وترى هذا جميعه ، ما تلبث أن تذوب  
الهمسة المتفائلة في طوفان من هم كبير .. فما هذه تصرفات فتاة  
في قلبها هوى ، وما هذا الفتى بمستطيع أن يثير في فؤاد فتاة حبا .  
ولكن هذه الأفكار جميعها لم تمنعها من أن تسأل ابنتها عما  
تريده في جهازها ، وقالت الفتاة :

— لا أريد الا أشياء بسيطة فسنعيش في شقة صغيرة .  
وارتاحت الأم أنها تقتوى أن تباعد عنها بزوجها هذا الكريه ،  
ولكنها رأت أن تقول لها على سبيل المجاملة :  
— ولم لا تعيشان معنا هنا ؟

وقالت هناء في حزم ، شأنها منذ أعلنت عن رغبتها في هذا  
الزواج :  
— لا .

ولم تجد الأم وسيلة تقطع بها الحديث أن يطول ، الا أن تعطي  
ابنتها ألفى جنيه تفعل بهما ما تشاء ، وقبلت هناء المال ، ووضعت  
في صوانها ، وضمت اليه مائة جنيه ، دفعها زوجها مهرا ، وانتظرت  
أن تسأل زوجها عما يفعلان .

وفي يوم جاء فوزى وطلب الى هناء أن يخرجها للنزهة ، وخرجت  
معه في سيارة أبيها ، وما أن تركا البيت ، حتى استوقف فوزى  
السائق ، وأمره في ثبات أن يترك السيارة ليقودها هو . ودهشت  
هناء بعض الشيء من طريقته في اصدار الأوامر ، ومن اعطاء نفسه  
الحق في قيادة سيارة لا يملكها ، ولكن دهشتها لم تزد على غصة  
في نفسها ، وسألت فوزى :

— أتعرف كيف تسوقها ؟

وأجاب فوزى فى اقتضاب :

— نعم .

وقبل أن تسأله هـاء كيف تعلمت ، قال هو فى نعمة ساخرة  
بعض الشئ :

— طبعا لم تكن عندى سيارة ، ولكنى تعلمت كيف أسوق  
بسيارة أخيك أحمد .

وسكت هـاء ، ولكن السائق لم يصـدع بأمر فوزى ، فما  
تعود أن يتلقى منه أوامر ، ورأت هـاء تردد السائق ، فسارعت  
تقول :

— اذهب انت الى بيتك يا أسطى عبـد .

وصدع السائق بالأمر فور سماعه ، وانتقل فوزى الى مقعد  
القيادة ، وانتقلت هـاء الى جانبه ، وأحس فوزى بتردد السائق ،  
ولكنه أغفل أمره ، فقد ذكره اسم أحمد بأن يسأل هـاء :

— وحتى أحمد غير موافق على زواجنا .

وقالت هـاء فى استسلام :

— وما يهمك أنت ان كان يوافق أو لا يوافق ، ما دمت أنا  
موافقة ، وما دمتا قد تزوجنا فعلا ؟

وقال فوزى فى غير اكتراث :

— على رأيك .

ثم قال :

— اننى معد لك مفاجأة هائلة .

— خير ؟

— وكيف تكون مفاجأة اذن ؟

— ومتى آراها ؟

— نحن فى طريقنا اليها .

وصمتت هباء ، واتخذت السيارة طريقها الى الزمالك ، وأمام  
عمارة فاخرة ضخمة ، أو قف فوزى السيارة وقال لها :

— انزلى .

ونزلت هباء ، وقد ، حذرت ما هى مقدمة عليه ، ولكنها لم تشأ  
أن تصدق حدسها ، فان العمارة التى يدخلانها باذخة الفخامة ،  
لا تتناسب إطلاقاً مع ما كانت تهيب نفسها له من بيت متواضع  
يتفق وقلة المال عند فوزى ..

ولم يكن ثمة مجال لكثير من التفكير ، فقد وجدت نفسها فى  
مصعد أنيق ، ثم وجدت نفسها أمام باب شقة يفتحه فوزى بمفتاح  
معه ، ثم وجدته يلتفت اليها قائلاً :

— هيه .. أتريدين أن أحملك كما يفعل الغربيون ؟

ولم تضحك هباء من محاولة المزاح ، ودخلت البيت ، وراعتها  
أنافتها ، وأذهلتها سعة .. ست حجرات وبهو .. لماذا هذا جميعه؟  
وسمعت فوزى :

— وطبعاً سألتفق مع مهندس لتزيين الجدران ، ورسم الأثاث .  
وازدادت هباء ذهولاً ، وقالت :

— ولكن أليس كبيرا ؟ !

فقال ساخرا :

— أهو كبير ؟ .. وأين هو من القصر ؟

فقالت هناء :

— ولكن هل يكفي مرتبك لهذا البيت ؟

وقال فوزى وهو يغمغم الكلام :

— هذا أمر ندبره .

ولم تزد هناء شيئا . وظلت صامئة وهو يتحدث عن مشروعاته في تجميل الشقة ، وفي اختيار الأثاث ، وفي الميزات التي في الشقة وفي أى مكان مبيت السيارة لا يؤخذ : عليه أجر إضافي ، وصكت كلمة السيارة سمع هناء ، فنظرت إليه ، ولكنها لم تتكلم ، بل ظلت على صمتها .. لازمت الصمت وهو لا ينقطع عن الحديث .. لازمت الصمت وهما في الطريق الى سيارة أبيها ، ولازمت الصمت وفوزى يحييها مودعا ويترك مكانه من السيارة .. ظلت على صمتها حتى صعدت الى الطابق الأعلى من البيت ، وحين رأت أمها جلست أمامها صامئة .. وطلال بها الصمت هونا ، ثم تماوجت دمعات في عينيها ، سارعت باخفائها دون أن تلاحظ أنها تأخرت في هذا الاخفاء ، فقد كانت الأم مثبته النظرة اليها ، ترى وجهها فكأنما ترى كل ما تخفيه خلفه .. وأخيرا قالت هناء :

— نينا .. لن يكتفى ألفا جنيه للجهاز .

وقالت الأم في تودة وهي ناظرة الى ابنتها لا تزال :

— نعم أعرف .

( ٢٥ )

أقبل حسام على بار الشباب ، فتطلع اليه الرفاق في حب  
واشفاق ، شأن الكريم هان بعد كرامة ، وأحس حسام بالاشفاق  
في نظرتهم ، فقال غاضبا :

— مالكم ! • ما هذه النظرة وكأنى مسكين تعطفون عليه ••  
هات كأسا يا يبنى ، وكان سعد أسرعهم الى الحديث وأجراًهم فيه :

— نعم •• أنت مسكين بهذا السم الذى تطفحه كل يوم •

— ولماذا يا سيدى ؟ •• منكم نستفيد ، ألم تكن أنت تطفح  
منه يوم طردك عمك ؟ !

— كنت أهبل •• وكنت أهبل لمدة يوم واحد ، أو ساعة  
واحدة ، ثم عقلت ، ولكنك أنت مصر على هبلك •

— يا أخى ، أنا حر •

وقال سميح :

— ما هذا الكلام الفارغ ؟ •• لا يا أخى ، أنت لست حرا ••  
ما معنى أن تأتى إلى هنا كل يوم ، وتظل تشرب حتى لا تعى ، ونظل  
نحن ناظرين إليك ، كأنك مريض بيننا •• إن كنت مجنوناً يا أخى  
فماذا لا تذهب إلى المستشفى ؟ !

وجاء يبنى بالكأس ، فشربها حسام دفعة واحدة ، وطلب أخرى ،  
ونظر إلى سميح قائلاً :

— نعم ياسى سميح .. أأست أنت من قلت لى إن الخمر مفيدة  
فى هذه الأحوال ؟

— يا أخى غلطت ، وهل تراها حضرتك مفيدة ؟

— نعم .. إنها مفيدة .. إنها تنسينى ما أحب أن أنساه .  
وضحك أصدقائوه ، وقال سعد :

— يا عم صل على النبى .. والله إن بنت الكلب هذه تريد  
الانسان تذكر .. كيف تنسى شيئاً لا تزال تفكر فى أنك تريد أن  
تنساه .. هذه خرافة وشرفك ..

وقال حسام وهو يشرب الكأس الثانية :

— ما هذا الهجوم ؟ .. أنا سأشرب ..

وقال سعد :

— اسمع .. إن عبد الجواد أفندى أعد لنا الليلة شيئاً ..

وقبل أن يكمل سعد حديثه ، قاطعه حسام :

— قديمة .. هذه لعبتى أنا يا حبيبى .. أتضحك على بما كنت  
أضحك به أنا عليك ؟

وضاق الرفاق بالحديث ، ورأوا أن لا فائدة ترجى من حسام ،  
وأحسن حسام بضيقهم ، فما وقف به هذا عن ابتلاع الكؤوس متبعة  
متلاحقة ، حتى لم تفض ساعة إلا كان سكران ، وحين قام الرفاق  
ليمضوا إلى عبد الجواد أفندى ، تخلف سعد لأنه رأى حسام  
لا يستطيع أن يقيم أوده ، فبقى معه ، وظل يحثه على القيام ، حتى



قبل آخر الأمر ، وقام متعنتا يتكفى ويهذى بحديث لا يكتمل ، حتى  
وضعه سعد في السيارة وركب إلى جانبه ، وراح يقود السيارة  
في طريقه إلى البيت •

وحين وصل الصديقان إلى بيت حسام ، كان حسام نائما لا يحس  
شيئا مما حوله ، وحاول سعد أن يرده إلى الوعي ، ولكن محاولته  
فشلت فشلا تاما ، فلم ير بدا من الالتجاء إلى البواب ليحمله خفية  
إلى حجرته •

وجاء البواب يستغفر الله أسفا أن يرى سيده على هذه الحال ،  
وتعاون هو وسعد على حسام ، وكلاهما مقطب الجبين ، بادى الألم ،  
وصعدا إلى الدور الأعلى ، وكانت نوال جالسة في البهو تتحدث في  
التليفون ، فحين رأت أخاها محمولا أُلقت بالسماعة ، ودقت صدرها  
بيدها ، وأسرعت تسأل عما أصابه في لهفة ألتهها عن أن تخفض  
صوتها ، فأشار إليها سعد أن تحذر ، وهمس لها بالحقيقة ، ولكن  
همسه جاء متأخرا ، فقد كان سامى جالسا إلى زوجته في حجرتهما  
فسارعا يستطلعان ما أثار لهفة ابنتهما ، وطلعهما أبنتهما محمولا  
غائبا ، واندفعت الأم والهة وجمد الأب مكانه واجفا ، ولم يجد سعد  
بدا من أن يفضي إليهما بالحقيقة ، فقد وجدها أهون مما يخشيانه ،  
أو خيل إليه أنها أهون مما يخشيان • وحاولت الأم أن تقود حاملي  
ابنها إلى حجرته ، ولكن الأب قال في صرامة قاسية :

— ألقيا به إلى الأرض •

وتردد سعد والبواب ، ولكن صوت الأب أرعد في حسم :

— ألقيا به إلى الأرض •

فانفرجت يدا البواب عن قدمي سامي ، ووضع سعد رأس حمله على الأرض ، ولم يكد حتى انفتل إلى السلم يطويه أربعا أربعا يقع بجسمه الضخم على درجاته ، ثم يقوم كأنه لم يقع ، حتى غاب عن الأنظار التي تبعته في وجوم ، وأمر الأب بالمساء فأفرغ على وجه ابنه حتى أفاق ، ووقف حسام مترنحا وأمه شاخصة إليه ، حائرة لا تستطيع لأبيه دفعا ، وهو في خمار السكر غير مقدر للموقف الذي ألقى بنفسه إليه ، ولم يمهله أبوه ، فراح يصفعه بحده وهو يتقي يد أبيه بيد مترنحة ، لا تستطيع أن تثبت على مكان ، حتى إذا هدا أبوه — هونا ، راح يدفعه إلى الحجرة وهو يقول :

— منذ الغد لن توى القاهرة يا كلب ،، منذ الغد سألقى بك إلى العزبة يا سكير •

وحين أصبح حسام في الغرفة أقفل أبوه عليه الباب ، وعاد إلى حجرته دون أن يلتفت إلى زوجته أو ابنته ، ونظرت سميحة إلى نوال ، والتفت بعينيها نظرات ابنتها حسيرة ، وفهمت كلتاها ما يدور بنفس الأخرى ، فجرت الدموع في عيونهما •

وتذكرت نوال التليفون الذي كانت ممسكة بسماعته حين جاء حسام •• أو حين جىء بحسام ، فنظرت إلى حيث تركت السماعة ، ولكنها لم تتحرك ، فقد أدركت أن هباء لا يمكن أن تظل منتظرة طوال هذه المدة •

ونظرت الأم حيث نظرت ابنتها ، ثم أطرقت وعادت إلى زوجها ولم تجد نوال شيئا تفعله ، فعادت إلى السماعة ، وهمت أن تضعها على الحامل لولا أنها سمعت :

— آلو •

— آلو •

— ماذا جرى يا نوال ؟

— هناء •• هناء •

وانخرطت نوال في بكاء غزير الدموع ، وهناء على الطرف الآخر  
لا تزال تلح عليها أن تطمئنئها •  
وأخيرا قالت نوال :

— إنه ما فعلته بنا يا هناء •• إنه ما فعلته بنا ••

— أنا ؟

— نعم •• أنت •• ويا ليتك مسعدت • إذن لارتحت أنا بعض  
الشيء ، وعزيت نفسي عن شقاء أخى بسعادتك أنت •• ولكذك حتى  
لم تسعدى نفسك يا هناء •• وتأبين إلا أن تزيدى شقاىى فلا تجدى  
إلا أنا ، لتبئثها ما تلاقينه من زوجك وأهله •• أنا وحدى فى العائلة  
التي أتحمل الشقاء شقاءين •• شقاء أخى بك ، وشقاءك أنت  
بغير أخى ••

ولم تر نوال الدموع الجارية على خدى هناء ، ولم تحص النار  
اللاهبة التي ازدادت اشتعالا فى نفس بنت خالتها التي اتخذتها  
أختا •• لا لم تر نوال الدموع ، ولا أحست النار •• أو لعلها أحست  
وميضاً خائباً من هذه النار ، حين طرقت أذنها سماعة هناء ، وهي  
تستقر فى مكانها من الحامل منهية الحديث •

## ( ٢٦ )

قام فوزى من نومه مبكرا ، شأنه كل يوم ، فوجد زوجته قد  
صحت وجلست تنتظره ، لتتناول معه طعام الافطار ، وحين جلسا  
إلى المائدة قال فوزى :

— ماذا .. فول ؟

— نعم وما عيب الفول ؟

— كل يوم ! .. بعض الرحمة .

— إننى أقدمه لك أحيانا فى الفطور فقط ومعه أصناف أخرى ..  
كفرت ؟!

— يا ستى أنا لم أقل شيئا .. وهل أستطيع أن أقول شيئا ..  
فكله من خيرك .. إن كان فولا فأنت من تدفعين ثمنه ، وإن كان  
مقشدة فأنت من تدفعين ثمنها .. هل أستطيع أن أتكلم ؟

— ما معنى هذا الكلام ؟ .. إنك دائما تعيرنى بأنى أدفع ثمن  
الأكل .. ماذا تريدنى أن أفعل .. يا أخى قل لى ما تريدنى أن أفعله  
وأنا أنفد ..

— يا ستى العفو .. وهل أستطيع .. إنما يأمر الرجل الغنى الذى  
يستطيع أن يدفع ثمن ما يطلبه .

— يا أخى مرنى ولا تدفع .. ولكن فقط لا تنكد على عيشتى كل  
هذا النكد .. ماذا جنيت ؟

— يا ستي ماذا أكون أنا حتى أنكذ عليك ؟ .. العفو العفو .. !  
وهم تستطع هناء أن تكمل طعامها ، بل إنها لم تستطع أن تبدأه ،  
فقامت على المائدة مغضبة وهي تقول :

— .. لا أستطيع .. لا يمكن .  
وأسرع فوزى قائلا :

— خادمتك .. أمي ستأتي اليوم ، فأرجو أن تتكلمي بأعد  
سوء لها .

وسمعت هناء الحديث وانصرفت دون أن تلقى إليه التفاتا . وفرع  
هو من طعامه هادئا ، وقام إلى الباب الخارجى وصفقه من خلفه ،  
ومضى .

وظلت هناء في حجرتها تبكي بكاء مرا ، ولكنها لم تكذ حتى سمعت  
جرس الباب ، فظنت أن زوجها نسي شيئا فعاد لاحتضاره ،  
ولكنها دهشت حين سمعت صوت حماتها يرن في البهو قائلة  
للخادمة :

— أين سيدك ؟

وقبل أن تجيب الخادمة ؟ سارعت تقول :

— وأين سنك ! .. أهى نائمة ؟

وقالت الخادمة في جمود :

— سيدى وستى تناولا الاططار معا ، ونزل سيدى إلى عمله ،  
وستى صاحبة في غرفة نومها .. سأناديها .

ودخلت الخادمة عند هناء ، ولم تمهلها هناء لتعلن إليها قدوم  
الست الكبيرة ، بل عاجلتها قائلة :

— أحضرى التليفون •

وحاولت الخادمة أن تقول شيئاً ، ولكن هباء سارعت قائلة  
في حزم :

— أحضرى التليفون •

وخرجت الخادم لتعود بعد لحظات حاملة التليفون ، وأدارت  
هباء انقرص ، وما لبثت أن قالت :

— من ؟ • • • لو لاحظ ؟ • • • أين سنك فوال ؟ • • • أيقظيها •

وبعد لحظات من الصمت قالت هباء :

— نوال • • • سأتى إليك الآن • • • سأخبرك حين آتى ، المهم أن  
ترتدى ثيابك وتنتظرينى • • • نعم فوراً •

ووضعت هباء سماعة التليفون ، وقامت إلى ثيابها فوضعتها على  
نفسها دون عناية ، ومدت يدها إلى درج خفى في صوانها ، فأخرجت  
منه كل ما فيه من مال ، ووضعت في حقيبة يدها الصغيرة ، ولم تلق  
إلى المرأة نظرة ، وخرجت إلى البهو لتجد حماتها قد جلست على  
الأريكة في عظمة تقول لها :

— صح النوم يا هانم •

— أهلا تيزة •

— أهلا بك يا أختى • • • أصبح أن تتركينى ساعة أنتظرك ،  
أقرضى أنى جائعة. وحيث أننا نأكل الفطور عندك • • • أهذا يليق ؟  
ولكن لم لا • • • أين نحن منك • • • طبعاً. وهل نتوصل ؟

وقالت هباء في هدوء بارد :

— كنت ألبس يا تيزة •

— وما لزوم اللبس يا أختى .. أم تريدين أن تشعرينى أنى جئت  
مبكرة .. حسبت أنى أجيء إلى بيت ابنى فى أى وقت .. نسيت  
يا حبيبتى أن البيت ليس بيت ابنى .. نسيت .. لا مؤاخذه •

— لا أبدا يا تيزة .. هو بيت ابنك كما حسبت تماما ، هو بيتك •

— العفو .. ومن أين لى بيت كهذا ؟ .. والله يا حبيبتى  
اضطرت أن آتى الآن ، لأن عمك — لا مؤاخذه — أقصد زوجى ،  
ينزل إلى الديوان الآن ، فتزلت معه ، لأنى لا أستطيع أن آتى  
وحدى ، ولكن لا تخافى يا حبيبتى .. لقد تناولت فطورى قبل أن  
أجيء .. وسأقعد معك أسليك حتى يجيء زوجك •

— أشكرك يا تيزة .. ولكن هل تسمحين لى أن أنزل لأغيب عنك  
نصف ساعة فقط ، ثم أعود ..

— الآن .. والساعة لم تصل إلى التاسعة ؟

— نوال بنت خالتي تريدنى فى شىء مهم .. سأصل إليها  
وأعود •

— إن كنت ضايقتك أنزل أنا •

— أبدا .. البيت بيتك وسأعود حالا .. أتركك بخير •

وقبل أن تسمع هباء كلمة أخرى من هذا الحديث الذى لم تسمع  
غيره منذ تزوجت ابن هذه المرأة ، سارعت إلى الباب الخارجى  
للشقة وانفتلت منه إلى الخارج ، وهى لا تكاد تصدق أنها أصبحت  
فى الطريق ، ونزلت إلى الشارع ، ووجهها كله عزم وإصرار ، ونادت  
أول سيارة أجرة ، وأعطت السائق عنوان خالتها •  
وعند الباب الخارجى نزلت ، وطلبت إلى السائق أن ينتظر ،

وقفزت السلام قفزا سريعا متواثبا إلى حجرة نوال ، فوجدتها قد ارتدت ثيابها وجلست تنتظرها •

— نوال •

— ماذا ؟

— قلت لى : إن لك صديقة ذهبت إلى يهودى أجرى لها عملية

اجهاض ، لأن زوجها فقير لا يريد أطفالا أكثر مما لديه •

— نعم •

— ما عنوان هذا اليهودى ؟

— وكيف لى أن أعرفه ؟

— طبعا صديقتك ليس لها تليفون •

— بالطبع لا •• إنها صديقتى من المدرسة ، وقد قصت على هذا

الحديث حين زارتنى •• ما الذى أذكرك به ؟

— أريد أن أذهب إلى هذا اليهودى •

— هل أنت مجنونة ؟!

— أريد أن أذهب إلى هذا اليهودى •

— وكيف لى أن أعرف مكانه •

— ما عنوان صديقتك •• أنت تعرفينه •• لقد قلت لى أنها

اصطحبتك يوما إلى بيتها •

— ماذا تريد أن تفعل ؟

— هل تعرفين عنوانها ؟

— نعم •



— فقومى معى •

— هل أنت مجنونة ؟

— ليس بعد • اذ الآن فى تمام عقلى ، وساكون مجنونة إذا لم  
أفعل ما أنا مقدمة عليه •

— ماذا تريدان أن تفعلنى ؟

— أنا حامل فى شهرى الثانى ، وأريد أن أجهض نفسى الآن •  
ودقت نوال صدرها بيدها قائلة :

— ماذا ؟

— اسمعى •• أمى أضاعت حياتها من أجل أخى أحمد ومن  
أجلى •• لا أريد أن أضيع حياتى •• لا أستطيع العيش مع فوزى ،  
لقد حاولت •• حاولت بكل ما أستطيع •• لا أطيق العيش معه ،  
لقد حاولت أن أكنم عن أمى ما أقاسيه لأننى أنا من اخترته ، أما الآن  
فلا يهمنى ما تفعله بى أمى ، لا يهمنى شىء فى الوجود إلا أن أنقذ  
نفسى من هذه النار التى ألقيت بنفسى إليها ، أنا أكره فوزى ••  
أكرهه بدمى جميعا ، بل إن شعورى نحوه أشد من الكره •• لا ليس  
شعورا ما أحسه نحوه •• إنه اسقاط له من حياتى جميعا ، إنه شىء  
حقير قذر ، دنس فترة من حياتى ، ولا أريده أن يدنس حياتى  
جميعها •• لا أستطيع العيش معه •

وترقرقت الدموع فى عينى نوال وهى تقول :

— وما ذنب طفاك ؟

— إنه لم يعد طفلا بعد •• ولا أريده أن يتحمل حياة لم يكن  
هو شيئا فيها •• نعم إنه لا ذنب له ، ولذلك أريد أن أنقذه من أبيه

حين يكبر ، وأريد أن أنقذه من العيشة بلا أب قبل أن يكبر ، وأريد أن أنقذه من الحقيقة التي كشفتها في أبيه .. إنه شيء بلا أخلاق .. بلا أخلاق على الإطلاق .. ليس لأى شيء قيمة في نظره .. أريد أن أنقذ ابني من أبيه ، وأريد أن أنقذ نفسي من أمومة أشك في أنها ستكون صالحة .. إن هذا الجنين الذى فى أحشائى لا يزال جنينا .. أريد أن أخلصه من الحياة قبل أن يلتقى بالحياة .

وكانت الدموع تنهمر من عيني هناء وهى تتحدث ، كما كانت تنهمر من عيني نوال ، ولكنها مع ذلك استطاعت أن تقول أقسى قول يمكن أن يقال لهنا فى لحظتها تلك :

— أليس هذا هو فوزى الذى أشقيت به المسكين حسام ؟  
ونظرت إليها هناء نظرات آلمة حزينة ، ثم أطرقت وهى تقول :  
— لا .. ليس هو .. لم أعرفه إلا حين لم تعد لمعرفتى به فائدة .  
وقالت نوال فى حزم :

— قومي .

واستأذنت نوال من أمها ، وخرجت مع هناء ، وما هو إلا بعض الحين حتى كانتا بالمكان الذى يقيم به اليهودى ، وما هو إلا بعض آخر من الحين ، حتى أصبحت هناء وهى لا تحمل إلا روحا واحدة هى روحها ، ونزلت إلى السيارة ومعها نوال .

وفى الطريق إلى البيت انخرطت هناء فى بكاء حاد عنيف ، ولكنها لم تجد له فى نفسها ألما ، أحست كأنها انسافة ضحت ، وإن حلاوة التضحية تمسح عن نفسها الألم الذى عانته .. ألم الأم تقضى على ابن أحشائها .

ووقفت السيارة عند باب القصر العتيق ، ونزلت هناء وانية شاحبة اللون ، وصعدت الدرج في إعياء تساندها نوال ، فما إن بلغت أمها حتى هبت إليها الأم مذعورة تسألها ما بها ، ولكن هناء لم تستطع إجابة ، فقد اجتمع عليها الألم والاعياء والحزن واليأس ، فلم تجيب أمها ، وإنما سارت في خطواتها الوئيدة المتهاكة إلى حجرتها ، وفتحت بابها في ضعف ، وأمها من ورائها لاتنى عن سؤالها عما بها ، وهى لاتنى عن الصمت ، حتى إذا بلغت السرير ارتمت عليه ، وصعدت شهيقا عميقا ، كأنها تطرد به من نفسها كل الآلام التى قاستها ، ثم قالت فى مهمة :

— أخيرا .. الحمد لله .

وقولت نوال إبلاغ الأم بما كان من ابنتها وزوجها والحياة النكدية التى لقفتها منذ تركت القصر . وظلت نوال تحكى حتى أتت إلى آخر المطاف عند اليهودى ، وجزعت الأم من هذه الحادثة وقبل أن تجيب نوال إلى حديثها ، قامت إلى التليفون ، فاستدعت طبيبها الخاص ، ليظمنها على صحة ابنتها ، وحين رجعت إلى نوال قالت لها :

— إن اجهاضها لنفسها يمنع أى محاولة للإصلاح .. أرجو الله أن يقدرنا على الخلاص من هذا الشاب ، فأنا أعرف هذا الصنف من الناس .. ولكتنا سنتخلص منه على أية حال .

ودخل أحمد إلى الغرفة مذعورا بعد أن أنباء الخدم بمجيء أخته ، وبالحال الذى جاءت عليه ، وحين أنبأته نوال بما أنبأت به أمه ، قال فى هدوء وجد :

— لقد كنت مقدرًا لهذا جميعه .. على أية حال سيطلقها ، فما أظنه  
سيجرؤ على عدم الطلاق •

ونظرت إليه أمه في ابتسامة ساخرة :

— أتظن ذلك ؟ .. أتظن أنك ستقول له طلق فيطلق •  
فقال أحمد في وثوق :

— طبعًا ..

— ما زلت صغيرًا يا أحمد •

— إنه صديقي وأنا أعرفه •

ونظرت إليه أمه نظرة عميقة وقالت :

— أتعرفه حقًا ؟

فتلثم أحمد هنيئة ، ثم قال :

— على كل حال لا أظن أنه سيمانع في الطلاق •

وقالت الأم في وثوق :

— ستري .. قم إلى التليفون واطلب إليه أن يأتي •

وقام أحمد وطلب فوزي في التليفون ، ووعد فوزي أن يأتي فورًا ،  
وقبل أن يأتي جاء الطبيب وأجرى الفحص على هناء ، ثم نظر إلى  
أمها وقال :

— أما هناء فبخير والحمد لله ، ولكن أنت .. أنت التي لا بد لك

أن تستريحى يا سهير هانم •

قالت سهير :

— نعم أعرف •

— يخيل إلى أنك لا تعرفين أبدًا .. إننى بخير أن أفحصك أرى

أنك مجهدة كل الاجهاد ، ولا بد من الراحة التامة •

— أعرف يا دكتور سأستريح •

ونزل الدكتور ، وبعد حين جاء فوزى ، ورآه أحمد يدخل من  
ابواب الخارجى ، فسارع نازلا إليه ، وحاولت أمه أن تستوقفه لتنزل  
معه ، فطلب إليها أن تلحق به .

وفى الدور الأسفل التقى أحمد بفوزى ، وأراد فوزى أن يصعد  
إلى الدور الأعلى ، ولكن أحمد قاده إلى غرفة مكتبه التى كانا  
يجلسان بها ، وما كاد الصديقان يجلسان ، حتى قال أحمد فى تسرع  
وفى حسم :

— فوزى ، أريدك أن تطلق هناء .

وفغر فوزى فاه من الدهشة ، ثم تمالك أمر نفسه وقال :

— ماذا ؟

— أريدك أن تطلق هناء .

— هكذا ، بهذه السهولة .. !!

— نعم .

— وإذا رفضت ؟ !

وأخذ أحمد من الطريقة التى يحادثه بها فوزى ، ولكنه صبر نفسه  
وقال :

— لا أظنك ترضى أن تعيش مع زوجة تكره العيش معك .

ودخلت سهير الحجرة فى هدوء ، وقام فوزى فلم تبسال قيامه ،  
وجلست على أقرب كرسي ، وجلس فوزى هو الآخر قائلا :

— ما هذا الكلام الذى يقوله أحمد يا نينا ؟

ولم تستطع سهير أن ترد عن قلبها تلك الغصة التى تمسها كلما  
سمعتة يقول « يا نينا » ، ولكنها أغضت على السوء وقالت :

— ماذا قال أحمد ؟

— قال إنه يريدني أن أطلق هناء .

فقالت الأم في هدوء :

— لا .. هذا غير صحيح .. إنه لا يريدك أن تطلق هناء ، ولكن  
هناء تريدك أن تطلقها .

— ماذا ؟

فقال أحمد في غضب :

— ماذا ؟ ماذا ؟ إن الأمر كما سمعت .. ألم تكن تتوقعه .

وقال فوزى في هدوء :

— الواقع أنني لم أكن أتوقعه .

فقالت الأم :

— على كل حال توقعك لا يجدى شيئاً .. ما رأيك الآن ؟

وصمت فوزى بعض الحين ، ثم قال :

— أيمكن أن أكلّمك على انفراد ؟

وقالت سهير :

— أي انفراد تقصد ؟ أنا لا أرى معنا إلا ابني .

وقال أحمد :

— أي سر يمكن أن يكون بينك وبين أمي ويختفي على ؟

فقال فوزى :

— إنها مسائل عملية لا أحب أن أتحدث فيها أمامك .

فقالت الأم :

— لن يختفي شيء عن أحمد .. قل ما تريد .

فقال فوزى :

— الواقع أننى لا أستطيع العيش بدونها ، فحياتى كلها معلقة  
برضاؤها عنى ، ولا أتصور كيف يكون حالى إذا تخلت عنى هناء ،  
وقالت سهر فى هدوء :

— أنا أفهمك تماما يا فوزى ، ولكنى أريد أن توضح نفسك  
فى جلاء .

- الواقع أننى لا أستطيع الطلاق .

فقال أحمد فى تسرع :

— يا أخى هذه صفاقة .

ونظر فوزى إلى أحمد وفى عينيه ثورة مصطنعة ، يخالطها أدب  
متكلف :

— أظن أنه لا معنى للاهانات .

فقالت الأم :

— أسكت يا أحمد . أنا آسفة يا فوزى .. قل ماذا تريد إذن ؟  
وكيف يمكن أن تعيش معها ، وهى لن تعود إلى البيت مهما تفعل ،  
لا أظنك تنوى طلبها فى بيت الطاعة .

فقال فوزى متلعثما :

— بالطبع لا .

فقالت الأم فى ثبات :

— فبيت الطاعة ، كما تعلم ، لا بد أن تعده أنت .

وأطرق فوزى خجلا وقال :

— نعم أعرف .

— إذن ماذا تريد أن تفعل ؟

وصمت فوزى لحظات ، وأخذ يردد النظر بين سهر وأحمد ،  
ثم قال :

— ألا يمكن أن نكون على انفراد ؟

ودهش أحمد من اصراره هذا ، وقالت سهر في حسم :

— لا .

فقال فوزى في بطة :

—إذن فأنت تعرفين أننى فى فترة الزواج هذه قد تعودت نوعا  
معينا من المعيشة ، وأصبحت لا أستطيع أن أعود إلى المستوى الذى  
كنت أعيش فيه ، فان هذا يخلجنى أمام أصدقائى .

وفغر أحمد فاه من الدهش ، ولم يجد شيئا يقوله ، بينما قالت  
سهر فى ثبات ، وكأنها كانت تدرك أن فوزى لن يسوق إلا هذا  
الحديث الذى يسوقه الآن :

— إذن ماذا تريد ؟

فقال فوزى :

— والله أمرك .

— أتكفيك السيارة ؟؟

وصمت فوزى ، وقالت الأم :

— السيارة وأثاث البيت .

وقال فوزى :

— وماذا أفعل بأثاث البيت ، إننى لن أحتاج منه إلا إلى أثاث

ثلاث غرف فقط . . النوم والمكتب والمائدة .

وقالت سهر :



— وماذا تريد أيضا ؟

وعاد فوزى يقول :

— أمرك •

وانتفتحت سهير إلى أحمد ، وقالت له :

— أحمد •• ارسل عم ذهب لينادى المأذون •

وقام أحمد والدهشة عاقدة لسانه لا تزال ، وقال فوزى :

— ألا نتفق أولا ؟

ودق أحمد الجرس ، وعاد إلى مقعده ، وقالت أمه وهي على  
هدوئها :

— سنتفق يا أحمد •

وقال فوزى :

— ماذا ترين ؟

وقالت الأم لابنها :

— هات دفتر الشيكات من الدور الأعلى يا أحمد •

وقام أحمد ، وقبل أن يغادر انجذرة ، أقبل عم ذهب تلبية لنداء  
الجرس ، فأمره أحمد أن يستأجر سيارة ويحضر بها المأذون فورا ،  
ثم خرج ينفذ أمر أمه • ولم تتكلم سهير ، ولم يتكلم فوزى ، حتى  
عادا حمد ومعه الدفتر ، وأخذته منه أمه ، وطلبت إليه قلما ، وكتبت  
شيكاً وقمته وفصلته عن الدفتر ، ثم نظرت إلى فوزى قائلة :

— هذا هو الشيك •• اسمح لى ألا أعطيه لك إلا بعد أن توقع  
الطلاق •

وقال فوزى مصطنعا الحياء :

— ألا أعرف الرقم ؟

وقالت الأم في حسم :

— ألف جنينه •

وهم فوزى أن يقول شيئاً ، ولكنه رأى النظرات الجامدة في عيون أحمد وسهير • وظل ثلاثتهم صامتين ، حتى جاء المأذون • وطلب إليه أحمد أن يجرى إجراءات الطلاق ، وحين حاول المأذون أن يلقي خطبته التقليدية ، قطعها عليه أحمد ، وطلب إليه أن يمتص في إجراءاته بلا إطالة •

وتم الطلاق ، وتسلم فوزى الشيك ، وهم أن ينصرف ، ولكن أحمد أمسك به من طرف سقرته وقال له :

— اسمع •• إن أشد ما آسف عليه أننى عرفتك ، فأننى أحتقر تلك الفترة في حياتى التى جمعتنى بك ، لقد خلقت في نظرى مستوى جديداً للانحطاط لم أكن أتصور أن يرتقى فيه أحد •• وكل رجائى اليوم ألا أراك أبداً ، وألا أذكر هذه الفترة التى عرفتك فيها •

وفي جمود نظره فوزى إلى الأرض وقال :

— أشكرك •

ثم انفتل خارجاً يتحسس جيبه الذى وضع فيه ثروته الجديدة •

## ( ٢٧ )

كان سيد في طريقه إلى بيت وصفى باشا حين التقى به فجأة زميله في الجماعة عبد العاطى بسيونى ، وحاول سيد أن يروغ من اللقاء ، ولكن عبد العاطى لم يتح له فرصة ، وأمسك به :

— أين أنت يا أخى ؟

— فى الدنيا •

— لقدأ رسلنا إليك بعد خروجك من المعتقل فلم تأت •

— آتى إلى أين ؟

— إلى الأسرة •

— أى أسرة ؟

وذهل عبد العاطى ، وقال له فى سخرية :

— ألسـت السيد عبد البديع الذكر ؟

— هذا أمر لا شك فيه •

— هل جئنت فى المعتقل ؟

— لا •• بل عقلت •

— ألا تعرف الأسرة ؟

— لا •• ولكن أعرف أن الجماعة قد حلت ••

— لكننا نجتمع •

— لا شأن لى باجتماعكم •

— أكفرت بمبادئنا ؟

— نعم وآمنت بنفسى •

— اتحنث فى يمين أقسمتها ؟

— أنا لم أقسم على القتل •

— هذا مروق !!

— اسمع .. أنا فى طريقى إلى وصفى باشا شكرى بنىاء على طلبه ، وأعتقد أنه قد أعد لى وظيفة ، وسأقبلها فوراً ، وقد خطب لى أبى عروسا من أقربائنا وسأتزوجها ، فأرجوك أن تعتبرنى مستقبلاً من الجماعة .. أنا لم أعد عضواً .. أنا أريد أن أعيش يا أخى ..  
ابعدوا عنى •

— أنت مارق .. تتصل بأعداء الله وتخالف تعاليم الشريعة •

— أبداً وشرفك .. إننى سأصلى الخمس ، وأصوم الشهر ، وسأحج إن استطعت سبيلاً ، وسأؤدى زكاة إذا وجبت على الزكاة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله •

— خدعتك الدنيا •

— بل إنى أعمل للأخرة أيضاً •

— سترى .. دولة الظلم ساعة ، والحق إلى قيام الساعة •

— انتظروا أقتم قيسام الساعة ، وأما أنا فمأعمل بقول ربى :

« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » •

— ولكن أولى الأمر لا يطيعون الله • ولو أكملت الآية لذكرت

قول ربى « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم

نؤمنون بسنة وانيوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا « صدق الله العظيم •

— فدعوهم لله يحاكمهم •• كيف تعرفون أنتم الحق من ابص  
من أعطاكم الحق في الحكم على الناس وعلى أعمالهم ؟ •  
— كتاب الله نطقه •

— كتاب الله للجميع •• وإنه يقول « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له  
لحافظون » فماتكم أنتم تتصدون للمحافظة عليه وحدكم ؟ ••  
كيف تعرفون أن أحكامكم على الناس هي الصادقة ، وكيف تثقون  
أن تفسيركم أنتم لآيات الله هو التفسير الحق •• الدين للديان  
يا عبد العاطى •

— هذا فراق ما بينى وبينك •• أنت كافر •  
— مع السلامة يا عبد العاطى •• مع السلامة يا أخى •• دعنى  
أعيش يا أخى •• مع السلامة •  
ومشى عبد العاطى مغضبا دون أن يرد تحية أخيه سابقا ، وأكمل  
سيد طريقه إلى بيت وصفى باشا •

وحين أذن له الباشا بمقابلته قال له :  
— ستذهب غدا إلى سكرتير وزير المعارف ، وستجد طلبك عنده  
مؤشرا عليه بالتعيين •

— أطل الله عمرك يا سعادة الباشا •  
— فى هذه المرة استطعت أن أنقذك ، فى المرة القادمة  
لن أحاول •

— أطل الله عمرك يا ••  
ولم يكمل ، فقد دق جرس التليفون ، وسمع الباشا يقول  
فى جزع :



— ماذا يا هناء ؟

ثم سمعه يقول :

— متى ؟

ثم وضع الباشا السماعه وهو يقول « لا حول ولا قوة  
إلا بالله .. » .

ولم يستطع سيد صمته ، فقال للباشا دون وعى :

— خير يا سعادة الباشا ؟

فقال الباشا في ذهول :

— هذه آخرة لعب العيال .. لقد قبض على أحمد بتهمة

الشيوعية .. ماذا نفعل الآن .. الأمر في يد النيابة ، ربنا يطف  
بأمره .

وثبت سيد في مكانه دهشا قانظا ألما ، لم يستطع إلا أن يقول

في حيرة وذهول :

— أحمد بك .

## ( ٢٨ )

عرف أحمد السجن ، وما كان يتصور أن يعرفه . . . قاده إليه شرطى  
فقط ينفذ الأوامر فى خشونة صماء ، فالجميع عنده سواء ، لا فرق  
ثمة بين متهم فى سياسة ، أو متهم فى جريمة ، وإنما كلهم فى عرفه  
مسجون ، ثم لا شئ بعد ذلك ، ألقى أحمد فى حجرة ضيقة ، أدار  
عينيه فيها فرأى دلوين ، وما احتاج لسؤال ، فقد كان يعرف  
أمرهما . . . أحد الدلوين للشراب ، والآخر لافراغ الشراب ، وغير  
الشراب ، وهكذا يلتقى الانسان بالحيوان فى كثير من الأحيان ،  
أى فارق إذن بينه وبين البهيم فى حظيرته ، يفرغ طعامه حيث يأكله ،  
ويلقى جسمه إلى الأرض فى مساواة بينه وبين الدلوين ومساواة  
بينه وبين الحيوانات .

كان يفرح أنه مسقط العيون من الأمن ، وكان يفرح أنه مثار  
اهتمام من أنسلطات ، وكان يفرح باسمه الحركى ، وبالأسرار  
والتهاويل والطقوس ، وكان يفرح بلهفة أخته عليه ، وكان يفرح  
بأنه متحرر الفكر ، لا يدين بالله ، كما يدين عامة الناس والغوغاء  
الذين يطالب لهم بالانصاف من الأغنياء ، وكان يفرح أنه قطعة  
خارجة عن نظام القطيع الذى يسمى الحياة فى طريق تقليدى ، يسير  
على آثار السابقين ، وكان يفرح بأنه مهدد بالخطر ، وبأن أصدقائه  
يخشون عليه هذا الخطر .

أما وقد وقع ما كان مهددا به ، فذاك ما لم يتوقعه ، فجميل أن



يجون ذا أهمية ، وأن يشعر بأنه ذو خطر يسمى رجال الأمن خلفه ،  
ولكن ليس جميلاً أبداً أن يوقع به رجال الأمن في السجن ، فالواقع  
أن أحمد ، برغم أنه كان غرماً بأنه مهدد ، إلا أنه لم يكن يتوقع  
أبداً أن يدخل السجن ، فما كان يتصور أنه هو .. ربيب القصر ،  
وحاكمه ، والسيد الأول فيه والأخير ، يدخل السجن ، وما كان  
يتصور أن يلقي إلى السجن ، وعمه وصفي باشا يتمتع بهذا النفوذ .  
كان في عميق نفسه يستبعد فكرة دخوله السجن ، ولكنه كان يترك  
هذه الفكرة طافية على سطح شعوره ليستاف منها هذا الأريج  
الحو من الاحساس بالأهمية .

وأجال أحمد نظره ثانية في حجرة السجن ، وعاد إلى نفسه  
يسألها ، إذن فهذا هو السجن ، فمن هنا إذن عرف الناس الحرية ،  
وذكرته كلمة الحرية بالخطبة التي ألقاها فؤاد ، جميلة هي الحرية ..  
إن شيئاً في العالم لا يساوي الاحساس بالحرية .. حرية الحركة ،  
وحرية الشعور ، وحرية التفكير ، وحرية القول .. من هنا يستطيع  
أن يدرك قيمة الحرية .. لم يستطع أن يدرك قيمتها إلا حين  
فقدتها .. كم هو غبي وإن ادعى تحرراً في التفكير .. كيف قبل  
أن يؤيد نظاماً لا يعترف بالحرية ، ويرى فيها معنى رخوا لا يسير  
بالحياة إلى أهدافها السامية .. وما أهداف الحياة السامية ؟ أليست  
هي معاني تقف الحرية منها موقف الزعامة .

إن الله أعطى عبده حرية التفكير والعمل ثم حاسبهم ، الحرية  
أساس النظام الذي أقامه الله .. سبحانه يا رب .. يا رب .. فك  
قيدي لأقدس الحرية .. إنني ألجأ إليك يا رب ؟ !!

يا ماذا ؟ ماذا أقول .. أقول يا رب ؟ يا للضلال الذي كنت

فيه !. لجأت إليه عند أول نازلة ، وكفرت به في النعمة .. أى هباء كنت أعيش فيه ؟. أأقول يا رب بهذه البسطة ، وكأننى لم أكفر به ، ولم أخرج عليه ، ولم أعتبر التابعيه بهائم مخدرين ، أأقول يا رب ، وأجد لها في نفسى هذا الرنين ، بل إنى أحس الآن أنى قريب إليه ، وأحس أملا يثسيع في نفسى من بعد ضيق ، وأحس صدرى وقد أشرقت فيه أضواء جديدة باهرة حلوة . أكل هذه المعانى تتواكب في نفسى المظلمة من كلمة واحدة تتطلق من صميم الفؤاد .. يارب .. نعم إننا نحسه ولا نحله ، إننا نؤمن به فنصل إليه ، ولكننا لا نفحصه ولا نضعه على أسس من المنطق والعقل ، وإلا فما هذا الشعور الحلو الذى ينساب في نفسى ، ما قبول المنطق والعلم والفلسفة في هذا الشعور ؟ ما رأى العلوم جميعا في هذه الراحة التى أتملاها منذ قلت يا رب ، وما رأى المذهب الذى أدين به في هذا الهدوء الذى يتمشى في أوصالى من بعد اضطراب وضيق ويأس ، لا يفصل بين الشعورين إلا كلمة واحدة قلتها .. يا رب .. فإذا أنا سعيد ..

أى ضلال كنت أسعى فيه ؟. إن مذهبي فيما أذكر تعرض لهذا الشعور الذى أحس ، نعم إنى أذكر نظريته في هذا الصدد ، لقد أحسوا بالخطر الذى يطالهم من قول الناس « يا رب » فأنشأوا نظرية ليحاربوا بها الخطر .. يقولون أننا لو هيأنا للإنسان حياة مستقرة ، ينال فيها ما يطمح إليه ، ومشت به الحياة في الطريق الهادىء الأمين ، لو فعلنا ذلك ما احتاج الإنسان أن يقول يا رب . يا للضلال الذى كنت فيه ! وهل حياة الإنسان كلها مادية لا يحتاج فيها إلا لمطالب الجسد التى يريد مذهبهم .. أليس للإنسان رغبات أخرى .. ألم يدركوا تلك الحياة التى تمور في نفس الإنسان ،

متقلبة بين السخط والرضى ، والاقبال والنفور ، والضيق والانشراح ، بلاداع إلى السخط أو الرضى أو الاقبال أو النفور أو الضيق أو الانشراح . أين نولى وجوهنا عند الضيق ، وأين نولى وجوهنا عند الرجاء ، وأين نولى وجوهنا عند الخوف ، وأين نولى وجوهنا عند المرض ، ولماذا هذا التساؤل جميعا ؟ .. أين نولى وجوهنا في هذا السجن الذى ألقيت إليه .. أنا الآن لا أحتاج إلى طعام ولا شراب ، بل إننى هنا فى السجن مكفول الرغبات ، مهما تكن هذه الرغبات محققة بأبخس ما تقبله النفس من خبز أسود وأدم حقير ، الا أنتى على أية حال مكفول الرغبات .. فهل أنا مستقر الحياة ، هادىء على الطريق ، لا أحتاج إلى أن أقول « يا رب » ، فما لها انطلقت من مسميم الفؤاد ، مالى وجدت نفسى أقول « يا رب » دون أن أفكر فى قولها .. إننى الانسان . أنا عالم فى نفسى . عميق الغور ، جموح العواطف ، موّار الأمواج ، وويل للانسان إن ضل غوره ، أو هدا عاصفه ، أو استكانت الأمواج فيه . إن جمال الانسانية فى هذه الاشراقات التى تعقب الضيق ، وفى هذا التقلبات التى لا يستقر بها قرار ، فمن لى فى هذه الأتواء ، وما أقول إن لم أقل يا رب .

لقد فكر المذهب فى كل شيء ونسى الانسان الكامن فى نفس الانسان .. الطبيعة الانسانية هى أشد أعداء المذهب عنفا .

ولكن مالى أجهد فى إقناع نفسى بأن أترك اقتناعى بمذهبي ، هل مر على حين من الأحيان كنت فيه مقتنعا بمبدئى كل الاقتناع ؟ هل أذكر لنفسي فترة كان المبدأ خلالها مستقرا فى عميق إيمانى ؟ .. لا أذكر .. أنا لا أذكر أننى كنت عميق الايمان بشيء على الإطلاق .

ثم أكن حادى الايمان بمبدئى ، كما لم أكن خالص الايمان بشئ .  
حين هذا هو سر شقائى .. حاولت أن أهرب من القنق والفشل إلى  
المبدا ، فخييل لى أننى مؤمن به ، ولكننى كنت أعلم دائماً إننى  
أحب فيه الاسم الحركى ، وأحب فيه الاستخفاء عن الأمن ، وأحب  
فيه إثارة هذه السحابة من الابهام والغموض والاسرار حوى ،  
وأحب فيه لهفة أختى على ، كلما رأتنى نازلاً إلى موعد اجتماع ،  
وأحب فيه الاجتماع نفسه ومناقشة أمور الكون جميعاً كنا نتحدث  
عن المسالم أجمع ، وكأننا نحن حكامه ، وكنا نتخذ العالم أجمع  
مجالاً لتطبيق النظريات التى تعلمناها ، والمبادئ التى نعتقد بها ..  
كنت أرى نفسى فى هذا الاجتماع ندا لله ذاته ، فحق لى إذن أن  
أبحث فى وجوده وفى تعاليمه .. لم أكن أحسه فكفرت به ، واعتقدت  
أننى آمنت بمبدئى ، ولو أننى أزلت عن نفسى ما تتخذه من أقتعة ،  
ولو أننى التقيت بنفسى لقاء خالصاً من كل زيف وتستر خلفه ،  
لعرفت أننى كنت أو من بمظاهر مذهبى ، دون أن أو من بمذهبى  
ذاته .

إنى أعرف ذلك فى نفسى ، ولن أنسى تلك الانتقاضات التى كنت  
أواجهها من نفسى بين حين وآخر ، ولن أنسى أننى كنت أقر  
مضطر بها ، وأسكن مأجها ، لقد كنت محتاجاً لمذهبى ، لأقنع  
نفسى به أننى ذو شأن .. لم أستطع أن أكون ذا شأن فى شئ ،  
فاتخذت هذا المذهب ، وإنه والحق يقال ، يمد النفس بشعور  
ضخم من الأهمية ، إن هذه مشكلة لا بد لى أن أواجهها الآن  
ما دمت ألتقى مع نفسى فى هذه الجراحة التى لم فتعودها ، وما دمت  
أنتوى أن أترك المذهب .. هل سأتركه ؟ .. نعم ، لقد آمنت بالله

واحسسته ، والمذهب لا يقبل مؤمنا بالله .. إذن فقيم يكون تفوقى ؟  
لو ان المذهب يقبل منضما له ومؤمنا بالله ؟ إذن ؟ .. إذن ماذا ؟  
إذن لظلمت منتظما فى سلكه ، إن للمذهب ألفاظا حلوة الرنين ،  
سريعة النفوذ إلى الاحساس .. كان يعجبني فيه أنه لا يساويها  
بالقطيع .. ولكن أى قطيع يقصد .. أليس القطيع هو الشعب الذى  
يريد المذهب له العدالة والانصاف من الأغنياء ، ويريد أن يسوى  
بينه وبين جميع الأغنياء ، فلا يكون فى العالم غنى ، ولا يكون  
العالم فقير .. لا شك أن هذا معنى من معانى القطيع .. وهناك  
معنى آخر .. قطيع الذين سبقونا \* ولكن أليس المذهب نفسه  
يقدم قطيعا سبقه من الذين أسسوه ووضعوا دعائمه الأولى .  
قطعان نحن فى كل منحى من مناحى الحياة \* ولكن ماذا يضيرنا  
أن نسير فى طريق قطعه من قبلنا ، بل كيف نعرف أخطاء السابقين ،  
إذا كنا لا نرود طريقهم ، بل كيف نتقدم إذا نحن لم ندر أين وقفوا ..  
إن نقطة البداية فى سير من سبقونا ، هى نقطة البداية فى سيرنا ، وهكذا  
يتقدم العالم \* لا يستطيع كل جيل أن يكفر بما سبقه ، وإلا ظلم  
العالم واقفا فى مكان واحد لا يتقدم .. إن تقدم العالم خطوات من  
الأجيال المتلاحقة ، واعتراف من اللاحق بفضل السابق ، وتصحيح  
من اللاحقين لأخطاء السابقين .. وهناك قيم إنسانية وضعتها  
الأجيال ، ثم لم تغيرها الأجيال ، وهناك مشاعر إنسانية بدأت مع  
الإنسان ، ولم يستطيع الإنسان أن يغيرها ، لأنها جزء منه ، هذا  
يحق لنا نحن اللاحقين أن نعدو على هذا التقييم فنغيرها ، أو هل  
يحق لنا أن نغير هذه المشاعر .. هل يجوز لنا أن نغير ما استقرت  
عليه الأجيال من تقديس الحرية والعدالة والآداب العامة التى  
تعارف الناس عليها ، والأمانة والشرف والوطنية .. هذه القيم

وأمثالها ، هل يجوز لنا أن نعدو عليها .. لا نستطيع ، فهل يجوز لنا أن نغير المشاعر ؟ .. السؤال في ذاته غير جائز ، لأنه ليس في طوقا الانسانية أن تغير المشاعر .. كيف نغير مشاعر الحب والبغض ، والضيق والسرور ، والفرح والألم ، والراحة والاضطراب ، أجيال مضت وأعتقتها أجيال ، والقطيع سائر يتقدم في العلم وفي الفن ، ولكنه يقف عند هذه المشاعر ، كل جهده إزاءها أن يحللها ويصفها ويرسمها ، ولكنه أبدا لم يستطع أن يغير منها شيئا . فالقطيع إذن كلمة نقولها فنبلغضها ، ولكننا إذا مشينا قليلا وراء معناها ، وجدنا أن سير القطيع هو الذي بلغ بالمدينة إلى هذا المدى الذي بلغته اليوم .. على أن يكون في القطيع عقول واعية تدرس وتفكر وتطمح إلى التقدم ، وتسعى إليه وتبلغه ، أو تترك من الآثار ما يجعل الانسانية تبلغه .. هو ليس قطيعا إذن .. إنه الانسان يسير في طريق الحياة ، وله هدف محدد واضح ، هو نمو الانسانية وتقدمها وبلوغها إلى أسرار الكون ، وارتفاعها بهذه الأسرار فيما يفيد الانسانية جميعا .. الانسانية إذن تجمع السابقين واللاحقين ، ومن يخرج عن ركبها عضو أبتر فلا نفع فيه ، إن من يقف على حافة الطريق ، ويسخر من السائرين ولا يشجعهم ، عضو أثقل ضعيف ، أشفق من السير ، وخاف الطريق ، فوقف يريد أن يعرقل السائرين ويعوق تقدمهم ، ولكن الانسانية أقوى منه ، ومن كيده ، فهو يسخر ثم لا يصنع شيئا .. لقد كنت كذلك .. إنني لم أسر مع أحد .. لم أسر مع مذهبي ولم أقتنع به ، ولم أسر مع غير مذهبي ، وسخرت منه ، لقد كنت إذن على هامش الطريق . الانسانية لم تستفد مني شيئا .. لعلى كنت مشفقا لأنى لم أستطع أن أكون ذا موهبة في شيء .. ولكن هل لابد لى أن أكون حتى أسير

الطريق .. هل كل إنسان في العالم ذو موهبة ، كيف تستقيم الحياه ، وكيف يكون صاحب الموهبة فذاً إن كان يستوى فيها مع الناس أجمعين ؟ .. إننى الآن أعرف أننى لست صاحب موهبة ، ولكننى أيضاً تبيننت الطريق والهدف ، إن خير ما أستطيع أن أفعله أن أكون إنساناً .. إنساناً يسع العالم أجمع في قلبه ، يشفق على الضعيف ويعينه ، ويفرح للناجح ويشجعه ، ويؤيد القوى إن كان على حق ويضعه على الطريق إن أخطأ ، ويثور في وجهه إن عدا وظلم وبغى ، فلن ترى الانسانية أبشع من قوى يظلم ولا يجد من يقول له ظلمت .. إننى الانسان ، أهم عنصر في هذا الوجود الضخم .. المواهب جميعها تسمى لاسعادي أنا الانسان .. فهل أستطيع أن أكون إنساناً يستحق ما تقدمه له المواهب ؟ هل أستطيع أن أتذوق الفنون وأحسها ؟ وهل أستطيع أن أتابع التقدم العلمى وأعينه بجهدى الذى لا يتمتع بموهبة . وقبل كل هذا هل أستطيع أن أسع في قلبى المخطئ ، ولا أهينه ، والمحسن ولا أحقد عليه ؟ وهل أستطيع أن أغالب نفسى فلا تسمى إلى الشر ، بل هل أستطيع أن أتيج لخير نفسى أن يتغلب على شرها .. ولكن هل أصادق الشرير ؟ .. لا .. فليس هذا من الانسانية في شيء . فصداقته تشجيع له على المضي في شره .. فهل أجازيه الشر بالشر ؟ .. إن اقتصر العقاب عليه فنعم . هل أستطيع أن أحب الجميع ؟ .. هل أستطيع أن أحب أبى ؟ .. نعم .. نعم ؟ .. إننى أدري أنه هو الذى ألقانى إلى هذا الشك ، وإلى هذه الحيرة ، لم أستطع أن أحترمه أبداً .. ولكن ما ذنب أبى .. إن في نفسه عوجاً ، ولكن من يستطيع أن يهتمله إن لم أحتمله أنا ، ومن يعينه إن أنا لم أعنه . إننى أريد أن أكون إنساناً .. فهل أستطيع .. الطريق وعر ، ولكننى سأستطيع .

كذت سهير لا تفتد بسريرتها ، مرغمة على الاستلقاء فيه أرغاما ،  
ولم تترك وشائها ما استقر بها قرار ، ولظلت حائرة بين السجن  
وأولى الأمر ، ولكن نكاثروا عليها وأرغموها على أن تظل بسريرتها ،  
وكانت أقوى حجة في يدهم أن وصفى قطع الأمل عندها أن يستطيع  
أحد من ذوى السلطان عملا ، فابنها متهم في جريمة يعاقب عليها  
القانون ، والقضاء وحده هو المختص ، ولا سبيل لأحد عليه . ولكن  
ماذا يجدى استلقاؤها هذا ، وقبلها هو المريض ، والألم يعتصر  
قلبها ، وسيظل يعتصره مهما تلجأ إلى الراحة ، إن المرض في نفسها ،  
فأين لها المهرب من نفسها ؟! . أحمد في السجن . . . ويلى مما صنعت  
الأيام !! . .

ودق جرس التليفون ، وكان المتكلم هو وصفى باشا ، وقد  
ألقى إليها أنه استطاع بعد جهد أن يجعل النائب العام يعجل  
بالتحقيق مع أحمد ، وقد تقرر أن يبدأ التحقيق معه في الغد .

وما لبث سليمان أن دخل الحجرة فأنبأته ، فما زاد على أن أطرق  
صامتا ، وراحت سهير تنتظر إليه وتطيل النظر ، لقد رأت في  
وجهه معالم حياة . . لقد رآته يتألم ، وأحست أنه . . كانت تحس  
ألمه في نفسها ، كما تحسه في وجهه ، لقد التقيا آخر الأمر على  
أجساد واحد ، وإن يكن هذا الإحساس هو الألم ، إلا أنهما  
التقيا عليه آخر الأمر . . عجيبة هذه الأيام ، أكان لا بد لنا من هذه



الفواجع حتى فلتقى ؟! وهل كان لا بد لنا من اللقاء ؟؟ عجيبة ؟؟  
إن النامر الذى كان بيننا هو الطريق الذى أدى إلى لقائنا اليوم .  
لقد نشأ ولدانا فوجدانا متناقرين ، لم نتحد يوما على تربيتهما ،  
ولم نتأزر يوما من أجلهما ، كانت الصلات بين الأبوين مفككة  
هشة فنشأت أخلاق طفلينا مفككة هشة . بذلت أنا الأم ما فى  
وسعى ، ولم يكن للأب وسع ، فلم يبذل شيئا . ولكن هل بذلت  
ما فى وسعى حقا . . أترانى كنت أقوم بما يجب على ؟ . . أكن كل  
واجبى أن أحقق رغبات طفلى مهما تكن هذه الرغبات . . أكان  
يجدر بى أن أترك أباهما أمامهما يتضاعل ويضمحل حتى يصبح  
شيئا كالهباء من العدم ، فإذا هما يثشان بلا قدوة أمامهما ، ولا  
إيمان بشيء ولا احترام لشيء . . أكنت أستطيع أن أقيم من سنيان  
شيئا . . ما أظننى كنت مستطبعة ؟ ولكن هل حاولت ؟ لا . . لم  
أفعل . . ولم أحاول حتى أن أقيم خلق طفلى ، لم أحاول لهما شيئا  
إلا أن أنفذ ما يريدان ، ثم أنطرى على ألى ضئيلة به ، أخشى أن  
يزول ، كنت ألتذ ألى ، لأنه يحمل لى ذكريات من الشباب والهوى ،  
وفى غمرة من اللذة والألم والذكريات والشباب والهوى لم أحفل  
أمر ولدى فنشأ ضائعين فى بيداء لا هدف لهما فيها ، تائهين لا يحدد  
أملهما مطمح أو غاية .

كنت ضعيفة أمام ألى ، كما كنت ضعيفة أمام طفلى . كنت ضعيفة  
أمام ألى منذ اللحظة الأولى ، لقد هيات لى نفسى حينذاك أننى قوية ،  
وأننى أنتقم لى المهور .

فإذا بى أنتقم من نفسى ، وخيسل لى أننى فى انتقامى لى  
قوية ، ولكن هأنذا على الأيام أتبين أننى ما انتقم إلا عن ضعف ،

فالانتقام جميعه ضعف .. إنه لا يصدر إلا عن إنسان عجزت  
نفسه أن ترد الشر الصاخب فيها ، ولا يصدر إلا عن إنسان  
هانت عليه نفسه ، فعقله ضئيل ، وعاطفة النعمة عنده طاغية ، فهو  
مخلوب على أمره من عاطفته ، ومن عاطفة شريرة فيه .. كنت ضعيفة  
حين تزوجت سليمان ، هدى هجر ووصفى لى ، فلم أتمالك أمر  
نفسى وقسوت ، ثم .. هأنذى أرى أن قسوتى لم تكن منى  
إلا ضعفا ..

وكنت ضعيفة أمام طفلى .. فما زلت أجسم لنفسى أن ليس لى  
إلا هما ، فضعفت وكنت أعلل ضعفى دائماً بأننى لا أمل لى إلا هما ،  
ولو كان هذا المعنى عميق الغور فى نفسى لاستطعت .. أو لحاولت  
على الأقل أن أجعل منهما شيئاً آخر غير هذا الذى صاراً إليه ..  
ولكن الواقع أننى عشت فى الألم الذى خلقتة لنفسى منذ أول حياتى ،  
ثم أبيت أن أخرج عن هذا الألم ، فكان ما أقاسيه الآن من ابنة  
مطلقة ، وهى لا تزال فى أول بواكير الشباب ، وابن سجين وهو  
لا يزال فى أول بواكير الحياة .



بكرت الأشعة الأولى من الشمس ، فلم تجد سهير فى فراشها ،  
بل كانت قد استيقظت فى زوال الليل ، وارتدت ملابسها ، ومكنت  
تنتظر أن تعلن إليها هذه الأشعة أن اليوم الجديد قد جاء ، وأنها  
تستطيع أن تلتقى بابنها .. على أى حال ستراه ؟ .. إنها لا تدري  
ولا يهمها أن تدري ، كل ما تصبو إليه أن تراه .

واستيقظ سليمان مبكراً ، وعجل بارتداء ثيابه ، ونزل هو وزوجته  
إلى مقر النيابة التى سيحاكم فيها أحمد .

ودخلت سهير المحكمة .. الله للأيام ، لساذا يقسو عليها الزمان  
هذه القسوة ، أتدخل هي المحكمة لترى ابنها مقبوضا عليه ؟ ..

وفي ساحة المحكمة رأت سهير المساجين ، والشرطة ، يروحون  
بهم ويعدون ، وهم كالنسياء المستسلمة لا تملك من أمر نفسها أمرا ،  
القيود في أيديهم ، والملابس الزرقاء ملقاة عليهم ، واليأس يملأ  
عيونهم ، والمذلة تغشاهم . أهذه هي نهاية المطاف ؟ أيقدر لي  
أنا ان أرى ابني ندا لهؤلاء ، بعد أن أفنيه عمرى من أجله ، أكل ما قد  
فعلته ، وكل ما قد امتنعت عن فعله ، لا يثمر لي إلا هذه النهاية  
انكالحة الشوهاء .. أمن أجل هذا أهدرت ثيابى ، ولذات حيتى -  
وامال المطالع الأولى من اشراقات عمرى ، أمن أجل هذه النهاية  
لأزمت سليمان ، وقطعت كل خيط يصلنى بأمل من سعادة ، وحيت  
الى وأحييته كلما آذن بضعف ، وكلما أشرف به النسيان من الزمان  
على وهن . أنا من صنعت هذا المصير ، أترانى أنا من مهدت له ،  
أترانى أنا قد شغلت بألمى عن ولدى ، فكان هذا المصير الذى التقى  
به فى أخريات العمر منى ، وفى أوائل العمر منه . أو كنت أقدر ؟  
أم هل كنت أفكر ؟ .. لا .. ما فكرت فيما قد يصير إنيه ولدى ،  
ولا حتى فكرت فيما قد أصير إليه أنا ، ولكن هل أخطأت إلى هذا  
الحد ؟ هل كان خطئى كافيا وحده ليقودنى إلى هذا المكان ؟ .. هنا  
مع زوجات المجرمين وأمهاتهم ، أى فارق بينى وبين هذه المرأة  
هناك ؟ .. تلك التى تحيط بها أجواء من الجهل واليأس والألم ،  
وأى فارق بينى وبين تلك التى هنا تحمل طفلها على كتفها ، وترغو  
إلى زوجها الشاب ، يقاد إلى حيث لا تدري ولا يدري من مصير ..  
لعل هذه الأم خير منى ، لعلها هي لم تخطئ ولم تكن لها يد فى  
الجريمة التى ارتكبها زوجها ، ولعلها ترعى وليدها خيرا مما رعت

• ويدي • ولكن أكن خطئي يستحق هذا جميعه ؟ • أم أن سليمان  
دان مخطئا معي ؟ لا • لا أرى سليمان أخطأ في شيء ، لقد جرى  
على طبيعته لم يغيرها ، وكان على أنا أن أعوض ولديّ عن أبيهما •  
لا بل مال وحده ، ولكن بالرعاية والتقويم أيضا ، ولكن ماذا  
يفيد انندم الآن ؟ بل ماذا يفيد أي شيء الآن ؟ • لا • ما أظن  
شيئا يفيد !! •

وبينما سهير في غمرة من هذه الأفكار والذكريات ، أقبل وصفي  
إليها مصطحبا صديقه المحامي الكبير مصطفى باشا حسنى ، وما إن  
رأته حتى عصفت بنفسها نوازع شتى من الألم والاطمئنان والحسرة  
والجزع •

فقال وصفي :

— لماذا تجلسين هنا ؟

فقالت سهير :

— إن سليمان يقول إنه سيمر من هنا •

فصمت وصفي هنيهة ، ثم التفت إلى صديقه يقول :

— تذهب أنت إلى غرفة المحامين يا باشا •

وقال مصطفى باشا :

— وأتركك • لا يا أخى • لا طبعاً • سأنتظر هنا معكم •

حتى يبدأ التحقيق •

فقال وصفي :

— ألا تبلغ وكيل النيابة أنك هنا ؟

فقال مصطفى باشا :

— حين يجيء المتهم سأدخل لوكيل النيابة ، لا تتشغل يا باشا ،

كل شيء سيكون على ما يرام •

ومست كلمة المتهم قلب سهير ، ولكنها ما لبثت أن سفرت من نفسها وهي نسائها ، وبماذا يمكن أن يسمى .. إنه متهم .. وليس له هذا اسم آخر ..

وبيتم كانت سهير شاحصة إلى الباب ، لا تميل ببصرها عنه ، مال وصفى على سليمان :

— سليمان .. سهير متعبة ، التعب يبدو على عينيها بشكل واضح ، أرجوك أن تأخذها إلى البيت بمجرد أن ترى أحمد .  
— نعم يا باشا سأفعل .

وشمل الصمت أربعتهم بعض الحين ، ثم ما لبثت سهير أن رأت السيد عبد البديع يدخل من باب المحكمة مضطربا بآدى الألم ، ورآهم السيد ، فأقبل إليهم مسرعا ، وحياهم جميعا فى أدب حزين ، ثم أراد أن ينتهى ناحية ، ولكنه رأى جعفر وحسام يدخلان اساحة ، فوقف حيث هو ينتظرهما ، وقصد الشبان إلى حيث كان الجميع يجلسون ، وقالت سهير :

— كيف أنت يا حسام ، متى جئت من البلد ؟

— أمس مساء .. طلبتنى أمى .

ثم التفتت سهير إلى جعفر :

— كيف حالك يا جعفر ؟

— بخير يا عمتى .. الحمد لله .

ثم انتحى جعفر وحسام بالسيد ناحية مستترة ، وراحوا يدخنون فى صمت ، أنظارهم إلى الباب تنتظر مجىء أحمد .

ولم يطل بهم الانتظار ، فسرعان ما جاء أحمد مرتديا ملابسه العادية ، لم يزد عليها إلا القيد الذى يكبل يديه • ونظرت سهر إليه ، وزارت فى صدرها صرخة مجنونة ، لم يمتعها من الانطلاق إلا أنها فى صدر سهر تمور •• ولم تجد الصرخة سبيلا إلى الهواء إلا فى كلمة واحدة ، قالتها الأم فى صوت خفيض كسير ، ملتهب النغمات ، واله الرنين :

— أحمد •

ونظر سليمان إلى ابنه يقترب منه والقيد فى يديه ، ابنه المتكبر الذى لم يره فى القصر إلا على الرأس ، حاسم الأوامر ، شديد الترفع ، قليل الحنين لأبيه ، قليل الاحتفاء به •• أحمد الذى لم يستطع رغم علمه بما يدور فى نفسه نحوه إلا أن يحبه أشد الحب • حبا يستغنى ، لأنه لا يجد فرصة للظهور •• أحمد المتكبر الحبيب ، يقاد وفى يديه القيد •• وكالنبع تسده الصخور عن الجريان ، فيحطمها ويسيل ، سالت الدموع من عيني سليمان •

واقترب أحمد ، وراع القوم المنتظريه اشراقه فى وجهه ، لا تتدفق إلا عن نفس مطمئنة هادئة ، ونظرت الأم إلى ابنها ، وحاولت أن تبتمسم ، وجاهدت لتفرج فمها عن ابتسامة تصحب ابنها إلى التحقيق ، ويسر لها الأمر ابتسامة عريضة طالعتها من ولدها ، فلاقته بابتسامتها هى المخضلة بالدموع ، ثم لم تزد •

والتفت أحمد إلى أبيه فى أشفاق وحب واهتمام :

— لا ترع يا أبى •• لن يكون إلا ما يسرك •• أقسم لك يا أبى •• أقسم بحياتك أنه لن يكون إلا الخير كل الخير •

وخفق غؤاد سليمان في وجيب متدافع .. بحياتي أنا .. أحياتي  
أقسمت يا ولدي .. أحياتي عندك قسم .. ألى حياة عندك يا ولدي ..  
حذار يا ولدي أن يختطفك منى السجن .. في رعاية الله يا ولدي ..  
دعاء تردد في قلب الأب .. في كل خلجة من خجنت قلبه ، ولكن  
لسانه ظل مذهولا بالمفاجأة ، معقودا بالدموع ، لا يطيق أن يصل  
بهذا الدعاء إلى أذن ابنه ، ولكنه كان واثقا أن الدعاء قد بلغ آذان  
السماء •

ونظر أحمد إلى عمه وصفى باشا ، ومد له يده ، فوجد يده الأخرى  
تصاحبها ، فأطبق بيديه كليهما على يد عمه ، وقال ودمعة متألقة  
تموج في عينه تظل بها لا تسيل :

— يا عمي ، أنا مقدر مجيئك ، ومقدر كل ما تبذله من جهد لأجلي •  
أشكرك لا تكفى ، ولكنى لا أجد غيرها .. أشكرك •

وقال وصفى باشا في ثبات :

— أى شكر يا أحمد ؟ .. أنت ابنى .. أريدك أن تثبت ، بل لا أريد  
منك شيئا ، فهذا الذى أراه في وجهك فوق ما كنت أنتظر •

وأقبل الشبان الثلاثة على أحمد يحادثونه ، وحاولوا أن يبتعدوا  
بحديثهم عن العواطف ، وعن السياسة ، وعن التحقيق ، فلم يجدوا  
إلا كلاما أجوف وقع في نفس أحمد موقعا حلوا • لقد كان يدري  
ما يدور في نفوسهم ، وكان يقدره •

قص حسام عليه ما صنعه في البلاد ، وما ضاق به فيها ، وما سره ،  
وقص عليه السيد أمر عروسه وفرحها بأنها ستأتى الى مصر ،  
ووقف جعفر يعلق على الحديث جميعه ، محاولا المرح ، ما أتاحت

له نفسه هذا المرح ، حتى جاء الحجب آخر الأمر يستدعى أحمد  
للتحقيق الذى سبقه الى غرفته محاميه مصطفى ياشا . وقال الشبان  
لأحمد : انهم منتظرون . وودعته أمه وأبوه بدعوة تتصاعد  
الى السماء من عيونهم ، ومن دموعهم ، وقال له وصفى ياشا :

— كن كما أنت يا أحمد ..

ودخل أحمد غرفة التحقيق .

وحاولت سهير أن تعود الى مجلسها ، ولكن وصفى وسليمان  
والشبان اقنعوها ان التحقيق سيطول ، وانها لا تستطيع الانتظار ،  
وكانت الأم فى حال لا تحتمل معها كثرة اللجاج أو العناد فخضعت ،  
وخرجت يصحبها سليمان ووصفى .

مكث الشبان الثلاثة ينتظرون نتيجة التحقيق . وتمر بهم ضابط  
بوليس دخل غرفة التحقيق ، ومكث بها بعض الحين ثم خرج  
واتخذ لنفسه كرسيًا بجانب باب الغرفة .

وبعد ساعات طويلة انتهى التحقيق ، وخرج أحمد وانضم اليهم  
والاشراقة لا تزال ماثلة فى وجهه ، تشيع الاطمئنان حوله ، وتبعث  
به دافئًا الى قلوب اخوانه ، وسألوه عما دار بالتحقيق ، فأنبأهم  
بأنه لا دليل لدى النيابة ضده .

وقال السيد عبد البديع :

— أنا واثق ان التحقيق سيحفظ .. لقد حفظ التحقيق مع

فوزى عبد المجيد ولكن ..

ولكنه لم يكمل الجملة ، وكأنمسا أحس أنه ما كان له أن يذكر  
اسم فوزى .. أشعره بذلك هذا الوجوم الذى لصق بوجه حسام ،



ولكن أحمد كان مصغياً للحديث باهتمام ، فهو يقول لسيد محاولاً أن يخفف عنه الحرج الذى وضحت آثاره عليه :

— اذن فالقضية جميعها لا دليل فيها .. أنا واثق من ذلك ..  
لقد أرحمتنى يا سيد .. لأنك بشرتنى بأننى سأخرج •

وقال السيد فى أطراق :

— ان شاء الله •

وقال أحمد :

— يا أخى ، ليست هذه لهجة المتفائل .. ألم تقل ان فوزى  
قد أفرج عنه ؟ !

وقال السيد فى ألم ووجوم :

— لا .. لم أقل انه أفرج عنه ، ولكننى قلت ان التحقيق  
حفظ لعدم كفاية الأدلة •

وقال أحمد :

— التحقيق حفظ يعنى أن فوزى أفرج عنه •

وقال جعفر فى ثبات •

— لا .. النيابة أفرجت عنه ولكن البوليس اعتقله •

وبعت أحمد هنية ، ووجم حسام ، ولكن جعفر سارع قائلاً :

— أظن أنهم لن يعتقلوا أحمد ، فإذا فعلوا ، فأعتقد أن أبى  
سيجعلهم يطلقون سراحه •

وقال السيد :

— طبعاً •

وقال جعفر :

— لقد كنت أعلم أن فوزى معتقل ، فقد جاءنى صديق لى وله ،  
ورجائى أن أكلّم أبى ليشفع له فى الافراج عنه •

وامتنع وجه حسام ، وسارع السيد قائلا :

— بعد ما فعله يا جعفر بك !!

فقال جعفر :

— والله أنا أيضا لم أكلّم أبى ، ورغم أن صديقه أخبرنى أن  
أبا فوزى قد أصيب بالشلل ، ولم يعد للبيت رجل غير فوزى •

وظل حسام على وجومه ، وارتبك سيد فلم يقل شيئا ، وقال  
أحمد فى هدوء وثقة :

— ولماذا لم تكلم عمى ؟

وعلت وجوه الشبان الثلاثة دهشة ، كان جعفر أسرعهم فى  
التخلص منها ، وقال :

— الحق ، خشيت أن أغضب اثنين •• خشيت أن أغضبك ،  
وخشيت أن أغضب أبى ذاته •

ومست قلب حسام غصة لأن جعفر لم يخش أو لم يقل أنه خشى  
أن يغضبه هو أيضا ، فقد كان يجب أن يرتبط اسمه بأسرة خالته •  
وقبل أن يجيب أحمد ، خرج مصطفى باشا من غرفة التحقيق ، وعلى

وجهه فرحة متحفظة ، وشخص أربعتهم إليه ، وهو يقترب منهم ،  
حتى بلغهم وقال :

—مبروك يا أحمد .. لقد حفظ التحقيق لعدم كفاية الأدلة  
ولكن ..

وقال أحمد :

ولكن ماذا ؟

— أظن أن الأمن العام سيظل متحفظا عليك فترة أخرى .

وأطرق أحمد ، ووجم السيد وحسام ، وقال جعفر :

— المهم يا سعادة الباشا .. هل النيابة أمرت بالافراج ؟

فقال الباشا :

— نعم .

فقال جعفر :

— ألف شكر .. لا تخف يا أحمد .. كل شيء سيكون على

ما يرام .

وقال أحمد في ثقة :

— نعم ، أعرف .. كل شيء سيكون على ما يرام .

واقترب الضابط الذى كان جالسا الى جانب غرفة التحقيق ،  
وأمر الشرطى خارس أحمد أن يتبعه والسجين ، وفي صمت مشى  
الموكب حتى بلغ الباب الخارجى ، ووقف الضابط أمام سيارة ذات

صندوق كبير منطى بالقماش ، وقف الـركب خلفه ، وتقدم الشرطى الى باب الصندوق الخلفى ، ووقف بجانبه ناظرا الى أحمد الذى صعد فى سكون درج السيارة ، وجلس فى هدوء وأطمئنان ، وجلس الشرطى الى جانبه ، وصعد الضابط الى جانب السائق ، وأمره أن يسير ، وانطلقت السيارة ، وتبعتهما عيون الشبان الثلاثة ، حتى غابت عن الأنظار ، فأفاقوا الى وقفتهما ، وسارعوا الى سيارة حسام يركبونها صامتين .

( ٣٠ )

دخل انشبان الثلاثة القصر ، فوجدوا وصفى بائسا جالسا في  
البهو منكس الرأس ، ووجدوا الاضطراب يسود القصر جميعا ،  
حتى لم يلحظ أحد دخولهم ، على رغم الأنباء المهمة التي يحملونها ،  
ولم يرهم وصفى الا حين اقترب ابنه منه يسأله :

— أبى ، ماذا حدث ؟

وانتبه وصفى الى ابنه ورفع اليه عينين ، رأى جعفر فيهما آثار  
اضطراب وحيرة ، ولو أنعم جعفر النظر ، ولو كان رأى أباه يبكي  
قبل اليوم ، لأدرك أن ما بعينى أبيه آثار دموع ، ولكنه لم يلحظ  
شيئا من هذا ، وانما شغله أبوه بسؤاله :

— ماذا فعلتم ؟

وانتهى جعفر الى أبيه ما يحمله من أنباء ، فقفز وصفى عن  
كرسيه ، وهو يقول لابنه :

— سبهر حالتها خطيرة ، فاسألوا الأطباء عما يجب أن يقال  
لها ، وما لا يجوز أن يقال ، وأنا ذاهب الآن الى وزير الداخلية •

وخرج وصفى مسرعا ، وصعد جعفر وحسام الى الطابق الأعلى

فوجدوا باب سهر مقفلا عليها ، أو لا يكاد يقفل ، فأنخدم داخلون خارجون منه ينفذون أوامر الأطباء في وجوم وسرعة واضطراب ، فاختر الشبان مكانا لا يعمق الأرجل المتسارعة ، وجلسا في البهو ، وبعد حين خرجت هناء من حجرة أمها وهي تقول :

— ألم يأت الأكسوجين ؟

وسارع إليها حسام يسألها :

— هناء ، هل أستطيع أن أعمل شيئا ؟

وفي غمرة الخطر المرفرف في القصر نسي الاثنان ذكرياتهما ، والتقيا على هذه الأحداث المحيطة بهما ، ولكن هناء لم تستطع رغم هذا أن تمنع هذه الحمرة من الخجل أن تصعد الى وجهها ، دون أن يكون لها تأثير في استئنافها الحديث مع ابن خالتها وكأنها لم تصرع آماله .. لم تتلثم رغم اللهفة التي رأتها في حديثه إليها .. لهفة محب لم تستطع أن تختفي في جلال الموقف الذي يجمعها ، محب يصفح عن حبيبته ، ويهفو إليها ، ويأمل أن تقبله أملا لا يشوبه ذكريات زواجها من غيره .. في لحظة عابرة رأت هناء في عيني حسام صفحا وحببا ، وفي لحظة عابرة رأى حسام في عيني هناء اعتذارا واشفاقا .. واقبالا .. لحظة أومضت في الحوائك التي تحيط بهما ، ثم عادا الى الدوامة التي تصخب حوليهما ، قالت هناء :

— ماذا فعل أحمد ؟

فأنبأها حسام متلاحق الأنفاس ، وطلب اليها أن تسأل الأطباء  
ان كان يمكن أن يبلغا خالته .. وجمعهما الخطب ، وتبادلا جملا  
متقطعة عما يجب أن يفعلاه .. دارت هذه الجمل عن المرض وعن  
السجين ، وأحس حسام من هذا الحديث القاتم اشراقا ينساب الى  
نفسه ، ومأله فرحا أن مشاعر متحدة تجمعهم وهناك في أحد  
واحدة ، كلاهما مهتم بهما . وطلبت اليه هناك آخر الأمر أن يتعجل  
أنبوبة الأكسوجين فسارع يثب السلم والفرح يغمر نفسه ،  
ويزجر هذا الفرح عن نفسه أنه غير خليك به أن يفرح ، وخالته  
أم هواء تنتزع أنفاسها انزاعا ، وأحمد ملقى في السجن ، وتنحصر  
موجة الفرح هونا لتفسح مكانا لبعض شفقة ، أو بعض اشفاق ، ثم  
ما تلبث موجة الفرح أن تقطعى مرة أخرى هائلة بما يجب أن يحسه  
في لحظته تلك ، ساخرة مما تريد الظروف أن تفرض عليه من  
احساس ، محطمة كل ما يحاول أن يقف في طريقها من عقل  
أو منطق أو مشاعر غير الحب والفرح بهذا الحب .

\*\*\*

كان مرض سهر. أقوى حجة في يد وصفى حين قصد الى وزير  
الداخلية ، فما زال به حتى أصدر أمرا بالافراج عن أحمد ، وسارع  
وصفى الى السجن ، ليصبح أحمد الى البيت . وعلى باب السجن  
قال أحمد في هدوء ووثوق :

— عمى ، انى أشكرک ، ولكن لى رجاء عندک ؟

وقال وصفى باثنا :

— اركب أولا يا أحمد ، وقل رجاءك فى السيارة •

ولم يحفل أحمد اضطراب عمه ، بل قال فى هدوء :

— فوزى •

وقطب وصفى جبينه ، فما كن ينتظر أن يسمع هذا الاسم الآن ، ومن أحمد ، وفى هذا المكان ، وانتزعت الدهشة هنيهة من اضطرابه ليقول :

— ماله ؟ !

— معتقل ، وأبوه مشلول •

ونظر وصفى فى عينى أحمد بانعام ، وقد ازدادت الدهشة على وجهه ، يخالطها اعجاب واكبار ، ولكنه عاد يسأل فى تشكك :

— أما يزال صديقك ؟

— أتظن أنه يمكن أن يكون صديقى ؟

وآفاق وصفى الى الاجابة ، وأصبحت نظراته الى أحمد اعجابا خائفا ، وازداد تحديقا فيه ، وطالعتة معارف سهر من وجه أحمد : فانتفض جازعا وقال :



— طيب .. اركب .. اركب الآن يا أحمد .

— ولكن يا عمى أتعدنى ؟

— يا اخى أمك مريضة جدا .. أسرع .

واضطرب أحمد لهذا النبأ ، وأسرع يركب السيارة ، ولم ينتبه أنه سبق عمه فى الركوب ، وركب وصفى ، وأمر السائق ان يسرع الى القصر .. وفى الطريق راح أحمد يسأل عن تفاصيل مرض أمه ، ووصفى يجيبه ذاهلا ، حتى إذا لم يجد أحمد أسئلة أخرى ، غاص الى نفسه .. أتموته أمى ؟ .. أأكون أنا قاتلها ؟ .. أى حياة سألقاها من بعد ؟ .. حذار .. حذار أن أجر على نفسى الخسران فى دوامة هذه الأفكار .. ان الموت والحياة بيد الله .. الرحمة يا رب .. نجها يا رب .. أأطلب منه نجاتها لأنى أريدها ؟ .. أم لأنى لا أريد أن أكون أنا قاتلها .. انى على الحالين أناانى .. فأنا هى الباعث فى هذا الدعاء على أية حال .. أهذه هى الانسانية التى أريد أن أبلغ فيها شأوا ؟ وماذا بيدي ؟ .. كيف أسيطر على هذه الأفكار التى تمر برأسى ؟ .. نعم انى أستطيع ، ونظر الى وصفى وقال :

— أنا لن أذكرك بفوزى ثانية يا عمى .

ودهش وصفى هنيهة ، ثم بسدا وكأنه قدر ما يعتمل بنفس الشاب ، فقال له فى ثقة :

— لن تحتاج الى ذلك .

وبلغت السيارة باب القصر ، وجرى أحمد طموفا الى حجره

أمه ، وفتحها ودخل ، فوجد أمه تلقف أنفاسها من كمامة متصله  
بأنبوبة موضوعة الى جانبها ، وما ان رآته حتى أراحت الكمامة  
عن فمها وهتفت :

— أحمد .. أبني \*

وارتمى أحمد على صدرها يقبلها في كل مكان ، وراحت الأم  
تجذب أنفاسها ، وتقبل ولدها لحظات ، ثم لم تستطع ، وأحس  
أحمد ضعفها ، فسارع يبتعد عن وجهها ويعيد الكمامة اليها ، وهو  
راكع لا يزال بجانب سريرها ، وأحس أحمد يدا رقيقة تربت ظهره ،  
وسمع صوت أبيه يقول :

— الحمد لله على السلامة يا أحمد \*

ونظر أحمد فوجد أباه جالسا على طرف سرير أمه ، ينظر اليه  
في حذب ، فوضع رأسه على ركبته ، وانطلق في بكاء صامت ،  
تنسكب دموعه من فؤاد جازع حزين \* ورأت سهر ما فعل ابنها ،  
واستروحت المنظر .. وهدأت أنفاسها قليلا ، وراحت في سبات  
عميق \*

أيام قليلة مرت .. أيام قليلة استطاعت فيها سهير أن تنعم بهذه  
الاشراقة التي أصبحت لا تفارق وجه ابنها ، فتبعث في نفسها  
راحة تعينها على آلامها ، واستطاعت فيها أن ترى اقبال ابنها على  
أبيه ، اقبالا فيه اشفاق ، وفيه حب ، وفيه تمهيد للعذر ، وتقدير  
للطبايع ، وكادت سهير ترى خوالج ابنها الجديدة مجسمة أمامها ،  
ينبض بها قلب كبير بعيد عن الأنانية . وسمعت سهير ابنها يدعو الله  
أن يشفيها .. سمعت الله يهتف به أحمد ، فخيّل اليها أن قلبه هو  
الذي خفق بالهتفة خفقا شديدا ، كان أعلى دويا من حركة الشفاه  
واللسان .

ورأت سهير حسام لا يكاد يفارق بيتهم ، ورأت هناء تقبل عليه  
في غير ما تكلف وفي ود ، ورأت في عيني بفتها معاني اطمأنت لها  
نفسها ، وهذا لها هذا اضطرب الذي يعصف بها عصفاً جائحاً ..

أيام قليلة .. رأت سهير فيها سليمان يقبل على أحمد اقبال أب ،  
ويهتم بأمره في حذب ، ويلتقي وإيام على الطريق الذي سار فيه  
أحمد من حب .. حب بذل سليمان غاية جهده ليضع معاله ، ويظهر  
معارفه ، ولم يكن لسليمان جهد كبير في هذا الشأن ، ولكنه على  
أية حاله يحاول ، وسهير تسمى بمحاولته .

أيام قليلة .. رأت فيها سهر البيت كما كانت تتمنى أن تراه ..  
أو كما كانت تريد أن تصنعه .. وانها لتفكر أنه كان خليقا بأنبيت  
أن ينشأ ويظل على ما هو عليه الآن لو كان سليمان هذا شخصا  
آخر . نعم وصفى الذى كان لا يكاد يغيب عن القصر لحظة في هذه  
الأيام الأخيرة .. وصفى هذا .. ولكن ماذا يفيد الآن .. وما البأس  
بنا الآن .. أنا لا أتمنى شيئا اليوم الا أن أشفى .. فهل أشفى ؟

ولم يشأ القدر أن يحقق هذه الأمنية ، فماتت سهر ، وكان  
موتها بعد حين قصير من خروج الطبيب المعالج ، باسم الثغر ،  
يهتئ الأسرة والقصر بقرب شفاء المريضة العزيزة .. لم يكن الطبيب  
خاطئا كل الخطأ ، لقد شفيت من آلامها جميعا .. من آلام نفسها  
ومن آلام جسمها ، وانتقلت روحها إلى عليين لدى ملك لا يمنع  
الظل لائذا ، الرحمة الكبرى وراء سسمائه ، تلف التقى في سيبها  
والمعاصي .

أقبل المعزون ، ووقف سليمان وأحمد ووصفى يستقبلونهم ،  
لا يكاد واحد منهم أن يقيم أوده من الحزن ، وكان وصفى أشدهم  
ألما ، وأكثرهم اضطرابا ، لأنه الوحيد بينهم الذى لا يستطيع أن  
يتيح لأله طريقا يخرج منه إلى الحياة .. كانت الدموع تموز في  
عينيه فيحبسها ، فالعرف والتقاليد سياج حولها أن تسيل ، وترحم  
الدموع نفسه .. إنها دموع سنوات كثيرة .. إنها ذكريات الشباب  
الأولى ، والساعات المشرقة في حياته .. إنها دموع تحمل في رقرقتها

صور الماضي كلها ، والماضي قطعة من نفسه ، بل إنه عثد وصفى  
في موقعه هذا النفس كلها .. ويلجأ وصفى إلى القصر يبحث فيه عن  
مكان يستر دموعه المسائجة فلا يجد ، ويخرج من القصر إلى الحديقة ،  
وينفض المكان بعينيه ، فيرى جميع من في الحديقة مشغولاً بأمر  
المأثم ، وكما كان يفعل في الأيام الخوالي ، يسير الهويناً في المماشي  
حتى يبلغ السلم .. السلم القديم فيقفض المكان مرة أخرى دون  
أن يفكر فيما يفعل ، ثم ينزل السلم وثباً ، كأنه ذلك الشاب الذي  
كانه منذ حين بعيد .. بعيد غاية البعد ، وما يكاد وصفى يصل إلى  
المقاعد التي شهدت قطعاً كثيرة غالية من حياته ، ما يكاد حتى  
يرتمي إلى أحدها ، وينخرط في بكاء عالى التنشيج ، يستره القرآن  
الذى يتصاعد من المأثم أن يبلغ إلى أذن ، ويحيط به هذا القرآن  
نفسه في حنان واشفاق وسمو .

كان فوزى بين المعزين ، وقد انتهز فرصة انفراد فيها أحمد ، وجاء  
ليجلس إلى جانبه :

— البركة فيك يا أحمد .

ونظر إليه أحمد ، ثم لم يجب ، فقال فوزى :

— خرجت بالأمس من المعتقل ، وقد جئت أعزيك وأشكرك ، فقد  
عرفت أنك رجوت وصفى باشاً من أجلى ، ولولاه لكنت معتقلاً حتى  
الآن .. لقد كنت نبيلاً يا أحمد ، وكنت رجلاً .

وقل أحمد في هدوء وفي صوت خفيض :

— أقبل عزاءك مع الشكر ، أما شكرك فلا أقبله بحال من الأحوال .  
فقد سعيت لأخراجك اشفاقا على أبيك المريض ، وأمك التي أصبحت  
بلا عائل إلا أنت ، وإن رأيي فيك الذي قلته لك يوم طلقت هناء  
يزداد عمقا في نفسي .. وإن وصفك لي بالنبل أمر آخذة أنا عنى  
محمل الهجاء لا الحمد ، فمديح مثلك مسببة للممدوح .. وما زلت  
أرجو ألا أراك أبدا بعد اليوم .. أشكرك .

وقام أحمد عن فوزى في نفس الهدوء الذي كان يلقي به هذا  
الحديث .. ولم ينظر أحمد وراءه ليرى فوزى وهو ينصرف ، ولكنه  
أحسن على رغم قسوته أنه يسير في الطريق التي يريد لها لنفسه .

انتهت الليلة ، وبحث أحمد عن أبيه في السرايق فلم يجده ،  
فصعد إلى الدور الأعلى من القصر ، وقصد إلى حجراته ، ولكنه  
لم يجده ، فمجب بعض الشيء ، وقصد إلى غرفة نومه هو ، وراح  
يخلع ملابسه ، وما إن استبدلها بملابس النوم ، حتى جلس قليلا  
مطرقا ، ثم قام في هدوء خارجا من الغرفة ، قاصدا إلى غرفة أمه ،  
يسير إليها وكأنه يتوقع أن يجدها .. وفتح أحمد باب الغرفة  
قطالعه ظلام زاده قتا ما أن أغلق الباب من خلفه ، وقصد أحمد  
إلى حيث كان رأس سهير ، وركع إلى جانب السرير ، وغمر وجهه  
في الوسادة ، ولكن صوت نشيج ما لبث أن علا إلى أذنه يأتى إليه  
من قريب ، ورفق أحمد رأسه وأدار عينه إلى حيث النشيج ، ثم  
مد يده فلمست كتفا عرفها ، وزحف أحمد إلى جانب أبيه ، واحتضنه  
بذراعه ، وربت كتفه ، والتفت إليه أبوه ، وكانت عيناه أحمد  
قد تعودتا الظلمة ، فاستطاع أن يرى على ضوء شعاع ينسكب

من زجاج الباب وجه أبيه مغطى بالدموع ، واضطرب أحمد  
لدموع أبيه العسيرة ، وازداد اضطراباً حين وجد أباه يرتقي بين  
أحضانها ، وكأنما هو الابن فقد أمه .. اضطرب أحمد هنيهات ،  
ثم تمالك نفسه ، وسكن جأشه ، واحتوى أباه بذراعيه في حنان ..  
والثقت الدموع ١٠٠

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ١٥٣٤/١٩٧٧  
الترقيم الدولى ٠٦٠ — ٢٨٦ — ٩٧٧ ISBN

مطبعة نهضة مصر  
الجالة — القاهرة









مطبعة نهضة مصر  
القاهرة — القاهرة



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)